الجمهورية العربية السورية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة دمشق
كلية الشريعة
قسم علوم القرآن والحديث

أثر أسلوب القصر في التفسير

دراسة تطبيقيَّة في سور المفصَّل

رسالة مقدَّمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد

فهميه رفيق نوايا

إشراف

الدكتور زكريا حبيب الخولي

1443هـ - 2022م

شكر وتقدير

أحمد الله تعالى الذي وفقني لإتمام هذا البحث.

وأتوجَّه بخالص شكري وتقديري إلى رئاسة جامعة دمشق، وعمادة كلية الشريعة، ورئيسة قسم علوم القرآن والحديث، والسادة أعضاء مجلس القسم.

كما أتوجَّه بالشكر والعرفان للسادة الدكاترة أعضاء لجنة المناقشة؛ الدكتور زكريا حبيب الخولي الذي تفضَّل بالإشراف على رسالتي، والدكتور علي أسعد، والدكتور أيمن الشوا لِما قدَّموه من توجيهات مفيدة وتعليقات قيِّمة، سائلةً الله العلي العظيم أنْ يجزيهم عني خير الجزاء.

وأتوجَّه بالشكر والامتنان إلى كلّ مَن وقف بجانبي فأمدني بالعون والدعم ليرى هذا البحث النور.

إهـــــــــــداء

إلى سيد الخلق قاطبةً... سيدنا محمَّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

إلى مَن يشرفهما مقامي هذا... والديَّ وإخوتي وأخواتي

إلى زوجي الغالي ووالديه الفاضلين

إلى كلِّ محبّ لهذا الدين

أهدي هذا البحث

أثر أسلوب القصر في التفسير: دراسة تطبيقيَّة في سور المفصَّل

إعداد: فهميه رفيق نوايا.

إشراف: الدكتور زكريا حبيب الخولي.

المستخلَص

تناول البحث أثر أسلوب القصر في التفسير من خلال إجراء دراسة تطبيقيَّة في سور المفصَّل، تهدف الدراسة إلى كشف آثار أسلوب القصر في تفسير آيات المفصّل، وتحري الفروق بين المكيّ والمدنيّ منها، وتوضيح الاختلاف بين طرق القصر في تلك الآثار. وقد أُجري استقراء تامّ لآيات القرآن الكريم من بداية سورة ق إلى نهاية المصحف الشريف لاستخراج شواهد القصر، وبعدها دُرِست تلك الشواهد للتوصُّل إلى آثار أسلوب القصر في تفسيرها باستعمال المنهج التحليليّ. وتوصلت الدراسة إلى النتائج الآتية: شيوع أسلوب القصر في سور المفصَّل وبخاصة المكيّة منها؛ إذ بلغ عدد شواهده في المفصّل 253 شاهدًا. وقد تعدَّدت أنواع القصر الواردة فيه؛ إذ ورد باعتبار طرفيه كقصر صفة وقصر موصوف، وباعتبار الحقيقة كقصر حقيقي وقصر إضافي، وباعتبار المخاطَب كقصر قلب وقصر إفراد وقصر تعيين. وقد تنوَّعت طرق القصر في آيات المفصَّل سواء أكانت مكيَّة أم مدنيَّة، وكان القصر بتقديم ما حقّه التأخير أكثرها ورودًا، تلاه القصر بالنفي والاستثناء، وبعده القصر بتعريف طرفي الإسناد، ثم القصر بضمير الفصل، متبوعًا بالقصر بكلمتي (إنّما) و(أنّما)، وأخيرًا القصر بحروف العطف (لا، بل، لكن). وأمَّا الآثار التي يتركها أسلوب القصر فهي آثار جوهرية تتعلق بمعاني الجمل؛ إذ إنَّ اقترانه بالجملة يؤدي إلى اكتسابها معنى مختلفًا كليًّا عن معناها الأصلي، وقد يقوم بتعزيز المعاني وبتكثيرها، ويؤدّي أسلوب القصر تلك المعاني بإيجاز ودقّة. وقد ظهرت للقصر آثار متنوّعة في تفسير سور المفصَّل، وكان أبرزها وأكثرها تكرارًا أثر التأكيد، تلاه أثر الإثبات، وبعدهما أثر الإظهار، فأثر التعريض، ثمّ أثر الترهيب. ولوحظ انفراد القصر بآثار معينة في تفسير الآيات المكيّة وبآثار أخرى في تفسير الآيات المدنيّة، وكانت هناك فروق أساسية في الآثار بين طرق القصر. ومن أهم التوصيات: استعمال أسلوب القصر في الدعوة إلى الدين الحقّ لِقدّرته البالغة على التأثير في المخاطَب.

الكلمات المفتاحية: (أثر)، (أسلوب القصر)، (التفسير)، (سور المفصّل).

المقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربيٍّ مبين، والصلاة والسلام على أكرم المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أمَّا بعد:

فمن المعروف أنَّ القرآن الكريم معجزٌ ببلاغته، وقد عجز أفصح العرب عن الإتيان بمثله، وكانت بلاغة ذلك الكتاب وما زالت محطَّ اهتمام علماء المسلمين وغيرهم، ومن علوم البلاغة علم المعاني؛ وهو علم يُستعان به في الكشف عن إعجاز القرآن الكريم وأسراره، ومن مباحث هذا العلم القصر.

يعدُّ فهم اللغة التي نزل بها الوحي السبيلَ الوحيد لِفَهم مراد الله تعالى واتِّباع أحكامه، ولذلك أحببتُ أن يكون موضوع بحثي لِنيل درجة الماجستير دراسة أسلوب من أساليب العربيَّة في القرآن الكريم، وبعد تأمُّل واستشارة وتوجيه من أساتذتي الأفاضل استقرَّ الأمر على أن يكون الموضوع: (أثر أسلوب القصر في التفسير، دراسة تطبيقيَّة في سور المفصَّل).

أوّلًا– مشكلة البحث:

أولى الباحثون أسلوب القصر بطرقه المتعددة أهمية خاصّة من الناحية النظريّة، ولكنهم لم يعطوه النصيب الكافي من الدراسة من الناحية التطبيقيّة وخصوصًا في تفسير القرآن الكريم. وانطلاقاً ممَّا سبق يسعى البحث للإجابة عن السؤال الآتي: ما أثر أسلوب القصر بطرقه المختلفة في تفسير سور المفصَّل؟

تتفرَّع عن هذا السؤال أسئلة عدَّة؛ هي:

1- ما طرق وأنواع القصر في سور المفصَّل؟

2- ما الاختلافات المحتمَلة في أثر هذا الأسلوب بين المكيّ والمدنيّ من آيات المفصّل؟

3- ما الفروق المحتمَلة في أثر هذا الأسلوب في التفسير بين طرق القصر المختلفة؟

ثانيًا– أهداف البحث:

الهدف الرئيس من البحث هو: تحديد أثر أسلوب القصر بطرقه المختلفة في تفسير آيات المفصَّل، وأمَّا الأهداف الفرعيَّة له فهي:

1- حَصْر طرق وأنواع القصر الواردة في سور المفصَّل.

2- الوقوف على المكيّ والمدنيّ من آيات المفصّل لتحديد وجود اختلاف بينهما في أثر أسلوب القصر في تفسيرها من عدمه.

3- تعيين الفروق في الأثر بين طرق القصر المختلفة، والكشف عن المواضع والأحوال التي يُستعمَل فيها كلّ طريق.

ثالثًا- أهميَّة البحث:

تتجلّى أهمية البحث بالآتي:

1- تُعين دراسة أسلوب بلاغيّ مهمّ مثل أسلوب القصر في تدبُّر سور المفصَّل والتعمُّق في معانيها.

2- يساعد البحث في إدراك بعض أوجه إعجاز القرآن الكريم وأسراره.

3- يتعرّف القارئ على الفروق في أثر أسلوب القصر في التفسير بين المكيّ والمدنيّ من المفصَّل.

4- يتبيَّن القارئ الفروقَ في قوَّة طرق أسلوب القصر المختلفة، ممَّا يجعله يستشعر المقامات القرآنية.

رابعًا- مبررات البحث:

آثرتُ هذا الموضوع للسببين الآتيين:

1- شيوع أسلوب القصر في القرآن الكريم وبخاصَّة سورُ المفصَّل، والأثر العميق الذي يتركه في المخاطَبين.

2- عدم كفاية الدراسات التطبيقيَّة التي تناولت أسلوب القصر في القرآن الكريم.

خامسًا- حدود البحث:

1- دراسة أثر أسلوب القصر في تفسير مواضع الشاهد من آيات المفصَّل (من بداية سورة ق إلى نهاية المصحف الشريف).

2- طرق القصر المدروسة في هذا البحث هي:

أ- القصر ببعض الأدوات التي تدلُّ عليه بالوضع اللغويّ، وهي: النفي والاستثناء، وكلمتا (إنَّما) و(أنَّما)، وحروف العطف: (لا) و(بل) و(لكن).

ب- القصر بدلالات كلاميَّة تُفهَم بالفحوى من: تقديم ما حقّه التأخير، وإضافة ضمير الفصل، وتعريف طرفي الإسناد في الجملة.

3- الاعتماد في التفسير على ثمانية تفاسير؛ (جامع البيان في تأويل القرآن) للطبريّ (المتوفى: 310هـ)، و(الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) للزمخشريّ (المتوفى: 538هـ)، و(مفاتيح الغيب) للرازيّ (المتوفى: 606هـ)، و(أنوار التنزيل وأسرار التأويل) للبيضاويّ (المتوفى: 685هـ)، و(البحر المحيط في التفسير) لأبي حيَّان الأندلسيّ (المتوفى: 745 هـ)، و(إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) لأبي السعود العماديّ (المتوفى: 982هـ)، و(روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) للآلوسيّ (المتوفى: 1270هـ)، و(التحرير والتنوير) لِابن عاشور (المتوفى: 1393هـ).

سادسًا- الدراسات السابقة:

تنوَّعت الدراسات التي تناولت أسلوب القصر؛ فمنها مَا تناولته بشكل مجمل لا يتجاوز فصل أو مبحث من كتاب، وأخرى تناولته بشكل مفصّل. وأمَّا الدراسات التي تناولت أسلوب القصر بشكل مفصّل فهي:

أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغيَّ: كتاب من تأليف صبَّاح عبيد درّاز عام 1986م، وهو دراسة نظريّة لأسلوب القصر وفوائده البلاغيّة مع التمثيل له ببعض الشواهد من القرآن الكريم، ولم يتطرّق إلى الفروق بين طرق القصر، ولم يتناول الناحية التطبيقية بشكلٍ وافٍ.

القصر وأساليبه مع بيان أسرارها في الثلث الأول من القرآن الكريم: رسالة ماجستير من إعداد نجاح أحمد الظهار بإشراف الدكتور علي محمّد حسن العمّاري -كليَّة اللغة العربية- جامعة أم القرى (السعودية)- 1983م. تألَّفت الرسالة من تمهيد وبابين ثم خاتمة، وقد تناول الباب الأول دراسة الجانب النظريّ، وأمَّا الباب الثاني فَتناول الجانب التطبيقيّ لأسلوب القصر في الثلث الأول من كتابه تعالى، وقد قامت الباحثة باستنباط سر القصر عن طريق البحث في فقه الآية والسياق الذي وردت فيه -معرفة السِّبَاق واللِّحَاق- ولم تتعرض إلى الفروق بين طرق القصر، كما يبرز الفرق بين تلك الرسالة والرسالة الحالية في كون الأخيرة تتناول أثر أسلوب القصر في تفسير سور المفصَّل.

أسلوب القصر وبلاغته، دراسة تطبيقيَّة في سورة آل عمران: رسالة ماجستير من إعداد سوسن محمَّد عثمان جابر بإشراف الدكتور مبارك حسين نجم الدين- قسم اللغة العربيَّة-كليَّة اللغات- جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا (السودان)- 2007م. تألَّفت هذه الرسالة من تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، وقد تناولت الباحثة في الفصل الأوَّل تعريف القصر وأقسامه، وفي الفصل الثاني طرق القصر وبلاغته، وقد

ضمَّ هذا الفصل أسلوب القصر بطريق العطف (بل، لكن) وأسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء، وأسلوب القصر بطريق إنَّما، وأسلوب القصر بطريق التقديم، ثمَّ ذكرتْ بعض أوجه الاختلاف بين أدوات القصر، وعلاقة القصر بالاستثناء المفرَّغ، وبلاغة القصر ومزاياه، وأمّا الفصل الثالث فقد سردت فيه الفهارس. وقد اقتصرت هذه الدراسة التطبيقية على سورة آل عمران، ولم تدرس الباحثة القصر بحرف العطف (لا)، وبإضافة ضمير الفصل، وتعريف طرفي الإسناد، واعتمدت في بيان معنى موضع الشاهد في الآية على تفسير واحد في كلّ موضع.

القصر في سورة يس، دراسة وصفيَّة تحليليَّة بلاغيَّة: وهو بحث جامعيٌّ من إعداد ويرا فروتا بإشراف الدكتور اندوس عبد الله زين الرؤوف- قسم اللغة العربيَّة وآدابها- كلية العلوم الإنسانية والثقافة- الجامعة الإسلامية الحكومية بمالانج (أندونيسيا)- 2008 م. تألَّف هذا البحث من ثلاثة أبواب وخاتمة، كان أوَّل هذه الأبواب تمهيداً، أمَّا الثاني فقد تضمَّن البحث النظريَّ (تعريف القصر وطرقه، وأنواعه، وفوائده)، وأمَّا الباب الثالث فَذَكَر الباحث فيه لمحة عن سورة يس، وآيات السورة التي تضم أسلوب القصر، وطرق القصر وفوائده في سورة يس. وقد درس الباحث القصر في سورة يس فقط، ولم يشمل بعض طرق القصر الاصطلاحية؛ مثل: القصر بحرفي العطف (لا، لكن)، والقصر بإضافة ضمير الفصل، وبتعريف طرفي الإسناد في الجملة، ولم يتناول الفروق بين الطرق التي درسها، كما أنَّه لم يُحدِّد المقصور عنه في موضع الشاهد، ولم يذكر نوع القصر حسب حال المخاطَب، واقتصر على تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) عند ذكر معنى الشاهد في الآيات.

أسلوب القصر في سورة النساء وطريقة تدريسه، دراسة تحليليَّة بلاغيَّة: بحث جامعيٌّ من إعداد سرلي زهيرية بإشراف الدكتور أحمد دردیري والدكتور أندوس شمس العارفين- قسم تعليم اللغة العربيَّة- كلية التربية- جامعة شريف هداية الله الإسلاميَّة الحكوميَّة- جاكرتا (أندونيسيا)- 1432هـ / 2011م. تألَّف البحث من خمسة أبواب؛ كان الباب الأوَّل عبارة عن مقدمة، أمَّا الباب الثاني فهو إطار نظريَّ للموضوع، وأمَّا الباب الثالث فَضَمَّ مناهج البحث، وأمَّا الباب الرابع فقد احتوى على النتائج، وأمَّا الباب الخامس فكان الخاتمة. بلغ عدد صفحات البحث ثمانٍ وسبعين صفحة، واقتصرت الدراسة التحليليَّة للآيات على إحدى عشرة صفحة فقط. ولم تتَّبع الباحثة طريقة واحدة في بيان معنى الشاهد؛ فأحياناً تعود إلى تفسير واحد، وأحياناً أخرى تذكر المعنى دون الرجوع إلى أي تفسير، ولم تتطرّق إلى الفروق بين طرق القصر.

أسلوب القصر في القرآن الكريم، البنية والوظيفة: رسالة ماجستير من إعداد الباحث صافي الدين لعبابسة بإشراف الدكتور كمال قادري- قسم اللغة والأدب العربيّ- كليَّة الآداب واللغات- جامعة سطيف الثانية (الجزائر)- 2014م. تضمَّن البحث مدخلاً تحدَّث فيه الباحث عن بعض المفاهيم المتعلِّقة

بأسلوب القصر كما عرَّفها البلاغيون، وتلا ذلك ثلاثة فصول؛ الأوَّل بعنوان: القصر عند القدماء وبلاغته في القرآن الكريم، والثاني: بنية ووظيفة القصر من منظور النحو الوظيفيّ المعاصر، والثالث بعنوان: نقد وتقويم. قام الباحث في رسالته بدراسة نظريّة لأسلوب القصر مع ذكر بعض مواضع القصر في القرآن، ولم يتقيَّد بسورة أو جزء منه كمدونة، بل اعتمد ما تيسَّر له البحث فيه من أساليب القصر في القرآن، ولم يذكر الفروق بين طرق القصر.

أسلوب القصر وأنواعه في اللغة العربيَّة، دراسة تطبيقيَّة في سورتي البقرة وآل عمران: رسالة ماجستير من إعداد منى محمّد علي محمّد أحمد بإشراف الدكتور جعفر عمر الطيب يونس والدكتور حسن الأمين مصطفى- قسم اللغة العربيَّة والدراسات الإسلاميَّة-كليَّة العلوم التربويَّة- جامعة الجزيرة- 2018م. ويشمل البحث مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، وقد ذكرت الباحثة في الفصل الأوَّل تعريف القصر وأطرافه ومواقعه، وفي الفصل الثاني أنواع القصر باعتبار الحقيقة والواقع وباعتبار حال المخاطَب، وأما في الفصل الثالث فتناولت أسلوب القصر وأنواعه في سورتي البقرة وآل عمران. كانت الرسالة بمجملها اثنتين وسبعين صفحة، ويُلاحَظ أنَّ الفصلين الأوَّل والثاني قد تناولا دراسة أسلوب القصر من الناحية النظريَّة وعلى امتداد ست وثلاثين صفحة، في حين كان الفصل الثالث الذي يضمُّ الدراسة التطبيقية في سورتي البقرة وآل عمران أربع عشرة صفحة فقط، كانت معالجة موضوع الدراسة سطحيَّة، إذ لم يكن هناك تحليل كافٍ للآيات موضع الشاهد، واقتصرت على ذكر نوع القصر دون أن تُحدِّد أثر ذلك القصر على المعنى في أغلب الآيات.

اعتمدت أغلب الدراسات السابقة في بيان معنى الشاهد على تفسير واحد، كما لم تتناول أيٌّ منها دراسة أسلوب القصر في سور المفصَّل.

سابعًا- منهج البحث:

اتَّبعتُ في البحث المنهج الوصفي التحليليّ؛ فقد أجريتُ استقراءً تامًّا لآيات القرآن الكريم من بداية سورة ق إلى نهاية المصحف الشريف لأستخرج منها الشواهد التي ورد فيها أسلوب القصر، وبعدها قمتُ بدراستها دراسةً تحليليةً محدِّدةً أركانَ أسلوب القصر وأنواعه وفق القواعد الواردة في كتب البلاغة، وقارنتُ تلك العناصر مع ما ورد في تفسير الشواهد للتوصُّل إلى أثر هذا الأسلوب في التفسير.

ثامنًا– الإجراءات المتَّبعة في البحث:

1– طريقة الدراسة:

تتمثَّل الطريقة التي سُلِكت في الدراسة فيما يأتي:

أ– استقراء سور المفصَّل من القرآن الكريم –سورة بعد سورة وآيةً بعد آية– لاستخراج الشواهد التي ورد فيها أسلوب القصر.

ب– تصنيف الشواهد المستخرَجة حسب طريق القصر ضمن ستة فصول، ومن ثمَّ تقسيمها إلى مكيّ ومدنيّ ضمن مبحثين، باعتبار أنَّ المكيّ ما نزل قبل الهجرة وإن كان بالمدينة، والمدنيّ ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة؛ وهو أشهر الأقوال وأرجحها في التفريق بين المكيَّ والمدنيَّ من القرآن الكريم، وقد اعتُمِد –في هذا التقسيم– على كتاب (الإتقان في علوم القرآن) للسيوطيّ، واستُعِين بتفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير) عند الحاجة.

ج– جَمْع المادة العلمية التي تتعلَّق بتفسير شواهد القصر الواردة في سور المفصَّل من التفاسير الثمانية المعتمدة في هذا البحث، واستخراج أسباب النزول إذا كان المعنى لا يتَّضح إلَّا بها، الأمر الذي يُسهِّل معرفة نوع القصر في الشاهد من حيث الحقيقة والإضافة، وحال المخاطَب، وعلى هذا كان لا بدّ لتحديد نوع القصر من مراعاة سياق الكلام، والمقام، وحال المخاطَب.

د– تحديد أثر أسلوب القصر في تفسير الشواهد، وذلك بالاستعانة بما يبدو بالنظر والتدبّر فيها، وبالاستفادة من أقوال العلماء –أصحاب التفاسير الثمانية– في تفسيرها وسياق كلامهم، فإنْ كان لهم آراءٌ متباينة لا يمكن الجمع بينها يتم الترجيح.

هـ– تصنيف مواضع الشاهد تصنيفًا موضوعيًا وفقًا لآثار استعمال أسلوب القصر بمختلف طرقه إلى مجموعات فرعية أُطلِق عليها تسميات تعكس المعاني التي تحتويها، وقُصِد بهذه التسميات معانيها المعجمية لا معانيها الاصطلاحية في العلوم المختلفة؛ فأثر التأكيد قُصِد به التشديد والتقوية لا مصطلح التوكيد المستعمَل في علم النحو، وأثر الإظهار قُصِد به الكشف والجلاء لا مصطلح الإظهار المعتمَد في علم التجويد، ونحو ذلك.

و– تحرِّي التشابه بين آثار أسلوب القصر في تفسير الآيات الكريمات، وتصنيفها تحت ثلاثة آثار رئيسة؛ هي:

– بيان المعنى: يقرر المفسّرون في هذا القسم أنَّ أثر ورود أسلوب القصر في الآيات ينحصر ببيان معنى الكلام؛ فيكشف عن هذا المعنى دون زيادة أو نقصان.

– تعزيز المعنى: وهنا يرى المفسّرون أنَّ لِوُرود أسلوب القصر أثراً في تعزيز معنى الكلام وتقويته، إضافة إلى بيانه.

– إضافة معنى جديد إلى معنى القصر: يُلاحَظ من أقوال المفسّرين أنّ هذا الأثر يتجلّى بتعدّي بيان المعاني المرادة من الكلام وتعزيزها إلى إضافة معانٍ أخرى إلى معنى القصر.

من ناحية أخرى، يُلاحَظ أنّ معنى القصر كان حاضرًا دائمًا عند هؤلاء المفسّرين في تفسيرهم لِشَواهد القصر، سواء بمعناه الأصلي فقط –وهو البيان– أم بمعناه الأصلي معزّزًا، أم بمعناه الأصلي مضيفًا معنى آخر.

نظرًا لما سبق أُدرِجت الآثار الفرعية لأسلوب القصر كفروع ضمن ثلاثة مطالب، هي: بيان المعنى، وتعزيز المعنى، وإضافة معنى جديد؛ ابتداءً بأكثر تلك الآثار شيوعًا وانتهاءً بأقلّها.

ز– عَرْض دراسة تحليليَّة لِشاهدٍ واحد فقط لكلّ أثرٍ، دفعًا لِتَضخّم حجم البحث بسبب زيادة عدد مواضع القصر في سور المفصَّل عن مئتي موضع، وأمَّا باقي المواضع فقد ضُمّنت في الجداول التي عَرضت نتائج البحث.

ك– دراسة نتائج استقراء أسلوب القصر في سور المفصّل، بكلّ طريق على حِدة، واستنتاج خلاصات عُرِضت في نهاية كلّ فصل من فصول الرسالة.

ل– إدراج نتائج طرق القصر المختلفة المدروسة ضمن الخاتمة، والمقارنة بينها للتوصُّل إلى استنباطات نظريَّة عامّة لأثر أسلوب القصر في التفسير. والجدير بالذكر هنا أنَّ تبرير النتائج كان في الخاتمة فقط، وذلك لِتجنب التكرار ضمن فصول الرسالة وليتسنى للقارئ مراجعتها بسهولة.

2– طريقة الكتابة:

اتُّبِع في كتابة الرسالة الأمور الآتية:

أ– كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني –معتمدةً على نسخة مصحف المدينة المنورة برواية حفص عن عاصم– ووَضْعها بين قوسين زهراويين ﴿ ﴾، وذِكْر اسم السورة ورقم الآية بين معقوفتين [ ] في المتن بجانب الآية.

ب- كتابة الأحاديث النبوية الشريفة بين قوسين من الشكل « » في المتن، وتخريجها في الحاشية مع ذكر اسم الراوي وحكم علماء الحديث عليها، وفي حال ورود الحديث في صحيحي البخاريّ ومسلم أو في أحدهما فقد اكتُفِي بذِكْره دون غيره، وأمَّا إنْ كان الحديث في غير الصحيحين خُرّج من كتب السنن وغيرها.

ج- تخريج الآثار بالرجوع إلى مظانها.

د- تشكيل الآيات القرآنيَّة، والأحاديث والآثار، والأشعار وغيرها ممَّا يحتاج إلى الضبط.

هـ- ترجمة الأعلام ما عدا الأنبياء والرسل، وعزو الأشعار، والتعريف بالمصطلحات عند أول ورود لها في الرسالة.

و- وضع النصوص المنقولة حرفيًا بين علامتي تنصيص من الشكل " " واتباعهما برقم الإحالة إلى الحاشية فيُذكر فيها اسم المرجع أو المصدر مباشرة، والإشارة إلى الحذف من النصّ المنقول -إنْ وُجِد- بثلاث نقاط متتابعة بشكل أفقي على النحو الآتي: (...)، وأمّا عند إعادة صياغة النصّ المنقول فيُوضَع رقم الإحالة في نهاية الفكرة، ويُكتَب في الحاشية كلمة (انظر) قبل اسم المصدر أو المرجع.

ز- عزو النصوص المنقولة إلى أصحابها مع مراعاة الأقدمية عند التوثيق من أكثر من مصدر أو مرجع؛ إذ تُرتَّب المراجع حسب تاريخ وفاة المؤلف، فيُقدَّم مرجع المؤلف الذي تُوفِّيَ أوَّلًا على مرجع المؤلف الذي تُوفِّيَ آخرًا.

ك- ذِكْر معلومات المصدر أو المرجع في الحاشية حسب نوعه، وفقًا لما يأتي:

- كتب اللغة: عنوان المصدر، الاسم الأخير أو اسم شهرة المؤلِّف، الجزء والصفحة بين قوسين، ومادة الكلمة بين قوسين.

- مصادر علوم الشريعة الإسلامية: عنوان المصدر، الاسم الأخير أو اسم شهرة المؤلّف، الجزء والصفحة بين قوسين. وإذا تكرر التوثيق من المصدر مرتين متتاليتين أو أكثر في صفحة واحدة، يُكتَب في التكرار الثاني وما بعده: المصدر نفسه.

- كتب تخريج الأحاديث والآثار: عنوان المصدر فالاسم الأخير أو اسم شهرة المؤلّف، ترجمة الكتاب والباب الذي ورد فيه الحديث، رقم الجزء والصفحة بين قوسين، رقم الحديث في المصدر بين قوسين.

- مراجع الكتب المعاصرة: إذا كان الكتاب لمؤلّف واحد: عنوان الكتاب، اسم المؤلّف، الجزء والصفحة بين قوسين. وإذا كان الكتاب لمؤلّفين أو ثلاثة: عنوان الكتاب، أسماء المؤلّفين مرتّبة حسب ما جاءت في صفحة الغلاف، الجزء والصفحة بين قوسين. وإذا كان للكتاب أكثر من ثلاثة مؤلّفين: عنوان الكتاب، اسم أوّل مؤلّف ورد في صفحة الغلاف، ويتبعه بكلمة: وآخرون، والجزء والصفحة بين قوسين. وإذا تكرر التوثيق من المرجع مرتين متتاليتين أو أكثر في صفحة واحدة، يُكتَب في التكرار الثاني وما بعد: المرجع نفسه.

- الرسائل والأطروحات: عنوان الرسالة أو الأطروحة كاملًا، اسم الباحث، نوع الدراسة: (رسالة ماجستير / أطروحة دكتوراة)، الجزء والصفحة بين قوسين.

-ترقيم الحواشي بشكل مستقل لكلّ صفحة.

-ترتيب المصادر والمراجع في نهاية البحث بالاعتماد على الترتيب الألفبائي لاسم المصدر أو المرجع.

- الاقتصار في فهرس الآيات الكريمات على فهرسة الشواهد القرآنية المعروضة داخل الرسالة، وترتيبها حسب ورودها في المصحف الشريف.

تاسعًا- خطّة البحث:

تشمل خطّة البحث: مقدمة، ثمَّ مدخلًا نظريًّا لموضوع الدراسة، يلي المدخل ستة فصول؛ يتضمّن كلّ فصل منها تمهيدًا تأصيليًّا تليه دراسة تطبيقية لِطريق من طرق القصر ثمَّ خلاصة، وفي النهاية الخاتمة، وَمِن ثَمَّ يتضمَّن البحث الآتي:

- المقدمة.

- المدخل: يتضمن توطئة، يليها تعاريف متعلِّقة بالبحث، ثم أركان القصر وطرقه وأنواعه، وبعد ذلك يتناول المدخل الحديث عن المكيّ والمدنيّ من سور المفصَّل.

- الفصل الأول: أثر أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في تفسير آيات المفصَّل.

- الفصل الثاني: أثر أسلوب القصر بكلمتي (إنَّما) و(أنَّما) في تفسير آيات المفصَّل.

- الفصل الثالث: أثر أسلوب القصر بحروف العطف: (لا، بل، لكن) في تفسير آيات المفصَّل.

- الفصل الرابع: أثر أسلوب القصر بتقديم ماحقّه التأخير في تفسير آيات المفصَّل.

– الفصل الخامس: أثر أسلوب القصر بتعريف طرفي الإسناد في تفسير آيات المفصَّل.

– الفصل السادس: أثر أسلوب القصر بضمير الفصل في تفسير آيات المفصَّل.

– الخاتِمة: وتتضمَّن النتائج والتوصيات.

عاشرًا– الصعوبات:

وفي بناء هذا البحث واجهتني صعوبات كثيرة، أهمها:

– استخراج مواضع الشاهد المتعلِّقة بأسلوب القصر من سور المفصَّل، وصعوبة عرضها جميعًا على مستوى فصول الرسالة نظرًا لِوَفرتها؛ لذلك عرضت دراسة تحليليَّة لشاهد واحد لكلّ أثرٍ، بحيث تكون الشواهد شاملة لكلّ أنواع القصر الواردة في المكيّ والمدنيّ من آيات المفصّل.

– معرفة أثر أسلوب القصر في تفسير مواضع الشاهد، ومحاولة التصنيف الدقيق لتلك المواضع الكثيرة حسب ذلك الأثر خاصةً عند تعدّد الآراء التفسيرية وصعوبة ترجيح رأي على آخر؛ فالتعامل مع النصّ القرآني يختلف عن التعامل مع النصوص البشرية التي يمكن الجزم بالحكم عليها نظرًا لِقُدسيَّته.

– صعوبة تحديد نوع القصر في بعض الآيات القرآنية؛ إذ يكون تقدير حال المخاطَب نسبيًا لِعَدم وجود شرح مقامي مرافق لِشواهد القصر على غرار الشرح الذي ذكره البلاغيّون في أمثلتهم.

– عدم إمكانية إجراء توازن في حجوم الفصول والمباحث والمطالب بين أجزاء الرسالة؛ لاختلاف عدد آثار القصر بين الطرق المدروسة من جهة، وبين الآيات المكيّة والآيات المدنيّة من جهة أخرى.

وقد بذلت ما في وسعي لِتجاوز تلك الصعوبات، أسأل الله تعالى ذِكْره التوفيق والسداد والقبول، وأرجوه العفو عن الزلل والخطأ.

المدخل

توطئة:

جاء القرآن الكريم مبيّنًا ومعجزًا في لفظه ومعناه، وقد ذكر الله تعالى فيه حال الجنّ حينما سمعوه وقولهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجنّ: 1].

ويرى عبد القاهر الجُرْجَاني أنَّ الفصاحة والبلاغة هما مصدر الإعجاز في القرآن الكريم[1]. ويعدُّ الجرجاني مؤسس علم البلاغة[2]، وكتاباه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) من أفضل الكتب التي أُلِّفت في هذا المجال، حتّى كاد أن لا يبقي لِمَن بعده شيئًا يضيفه فيه سوى بعض الاصطلاحات.

ويُقسَم علم البلاغة إلى ثلاثة علوم: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع[3]. وقد عرَّف سراج الدين السكاكيّ علم المعاني بأنَّه تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتَّصل بها لِيُحترَز عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذِكره[4]، وعُرِّف أيضًا بأنَّه العلم الذي تُعرَف به أحوال اللفظ العربيّ التي يطابق بها مقتضى الحال[5]، وفيه يُحترَز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد[6]. وينحصر المقصود منه في ثمانية أبواب منها القصر[7].

---

(1) انظر: **دلائل الإعجاز، الجرجانيّ** (ص 385-406). و**عبد القاهر الجُرْجَاني** هو عبد القاهر بن عبد الرحمن، أبو بكر، من أهل جرجان، تُوفِّيَ سنة 471هـ. وكان من كبار أئمة العربية والبلاغة، وقد أخذ النحو عن أبي الحسين محمّد بن علي الفارسي، ومن تصانيفه: (أسرار البلاغة)، و(دلائل الإعجاز)، و(المغني) في شرح الإيضاح. انظر: **فوات الوفيات، صلاح الدين** (2/ 369، 370)، **وبغية الوعاة، السيوطيّ** (2/ 106)، **والأعلام، خير الدين الزركلي** (4/ 48، 49).

(2) انظر: **دلائل الإعجاز، الجرجانيّ** (ص 3).

(3) انظر: **المعجم الميسر، محمد أمين صناوي** (ص 230).

(4) انظر: **مفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 161). **سراج الدين السكاكيّ** هو يوسف بن أبي بكر بن محمّد الخوارزمي، أبو يعقوب السكاكيّ، وُلِد في خوارزم سنة 555 هـ، وتُوفِّيَ فيها سنة 626 هـ، عالم في النحو والتصريف والمعاني والبيان والعروض والشعر، متكلِّم فقيه متفنن في علوم شتى، ومن تصانيفه: (مفتاح العلوم)، و(رسالة في علم المناظرة). انظر: **معجم الأدباء، الروميّ** (6/ 2846)، **والأعلام، خير الدين الزركلي** (8/ 222). **والحال** هو الأمر الداعي للمتكلِّم إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المراد خصوصية ما، وتلك الخصوصية هي مقتضى الحال. انظر: **مختصر المعاني، التفتازاني** (ص 20، 21).

(5) انظر: **الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (1/ 52)، **وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيديّ** (33/1).

(6) انظر: **الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (1/ 50).

(7) انظر: **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيديّ** (1/ 35).

وكان للنّحاة الأوائل السبق في استعمال التراكيب الدالّة على القصر منذ القرن الثاني الهجري عند سِيبوَيْه، وممّا ذَكَره في كتابه: "فأمَّا الوجه الذي يكون فيه الاسم بمنزلته قبل أن تلحق (إلَّا) فهو أن تُدخِل الاسم في شيء تنفي عنه ما سواه، وذلك قوله: ما أتاني إلّا زيد، وما لقيت إلّا زيدًا، وما مررت إلّا بزيد... ولكنك أدخلت (إلَّا) لِتوجب الأفعال لهذه الأسماء ولِتنفي ما سواها، فصارت هذه الأسماء مستثناة"[1]، ومع أنَّ سِيبوَيْه لم يُصرّح بأسلوب القصر إلّا أنَّه أفاد معناه الاصطلاحي، ثمَّ أتى عبد القاهر الجرجانيّ في القرن الخامس الهجري فخصّص في كتابه (دلائل الإعجاز) بابًا للقصر سمَّاه (باب القصر والاختصاص)[2]، ولكنَّ مصطلح القصر لم يُشرَح بالتفصيل -بِمعناه وطرقه- إلَّا في القرن السابع الهجري على يد السكاكيّ في كتابه (مفتاح العلوم)[3]، وعنه نقل مَن جاء بعده. وقد قام الخطيب القزوينيّ بِتقسيم القصر الحقيقيّ والإضافيّ إلى الأقسام (الأنواع) المعروفة حاليًّا[4].

أوَّلًا- تعاريف متعلِّقة بالبحث:

وفيما يأتي بعض التعاريف لِبيان عنوان البحث:

1- الأثر:

لغةً: "الهمزة والثاء والراء، له ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وَذِكْرُ الشيء، وَرَسْمُ الشيء الباقي"[5]،

---

(1) **الكتاب، سيبويه** (2/ 310). **سِيبوَيْه** هو عمرو بن عثمان بن قَنْبَر الحارثي بالولاء، أبو بشر، وُلِد في إحدى قرى شيراز (البيضاء) سنة 148هـ، وتُوفِّيَ بشيراز سنة 180 هـ، وكان إمام النحاة، أخذ النحو عن الخليل بن أحمد، وناظر الكسائي، ومن تصانيفه: (الكتاب) في النحو. انظر: **تاريخ العلماء النحويين، التنوخي** (ص 91-112)، و**الأعلام، خير الدين الزركلي** (5/ 81).

(2) انظر: **دلائل الإعجاز، الجرجانيّ** (ص 328).

(3) انظر: **مفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 288-300)، و**دلالات التراكيب، محمد أبو موسى** (ص 45).

(4) انظر: **الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (3/ 9- 17). **الخطيب القزوينيّ** هو محمّد بن عبد الرحمن القزوينيّ، أبو المعالي، وُلِد بالموصل سنة 666هـ، وتُوفِّيَ بدمشق سنة 739 هـ. وكان قاضي القضاة، أتقن الأصول والعربية والمعاني والبيان، وأخذ عن الأيكي، وسمع الحديث من العزِّ الفاروثي، وخرّج له البرزالي، ومن تصانيفه: (تلخيص المفتاح) في المعاني والبيان، و(الإيضاح) في شرح التلخيص. انظر: **الدرر الكامنة، ابن حجر** (5/ 249-253)، و**بغية الوعاة، السيوطيّ** (1/ 156،157).

(5) **مقاييس اللغة، ابن فارس** (1/ 53)، مادة (أثر).

والجمع آثار، ومن الأصل الأخير قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾[يس: 12][1]، أَي ما خلَّفه السابقون[2]، ويقال: خرجْتُ في إِثْره وفي أَثَره، أَي: بعده[3]، ويبدو أنَّ لهذه الأصول الثلاثة مآلًا واحدًا، وهو حصول ما يدلّ على وجود الشيء[4].

اصطلاحًا: ذكر الشريف الجُرْجَاني أنَّ للأثر ثلاثة معانٍ: "الأوَّل: بمعنى النتيجة، وهو الحاصل من الشيء، والثاني: بمعنى العلامة، والثالث: بمعنى الجُزْء"[5]، وعرَّفه غيره بأنَّه: "حصول ما يدلّ على وجود الشيء والنتيجة"[6].

ويُلاحَظ أنَّ للأثر في اللغة والاصطلاح معنيين متقاربين؛ يلتقيان عند كلّ ما يدلّ على وجود الشيء، وما يبقى منه، ومن مصاديقه: الحديث المأثور.

ويُقصَد بالأثر في هذا البحث كلّ ما يطرأ على معنى الجملة من تغيير نتيجة استعمال أسلوب القصر، ويُلْحَظ هذا الأثر من خلال مقارنة معنى التركيب اللغويّ قبل استعمال أسلوب القصر فيه وبعده.

2- الأُسْلوب:

لغةً: "الطريق"[7]، وكلّ طريق ممتد فهو أسلوب. والأسلوب: الوجه والمذهب، وسلك أسلوبه أي طريقته، ويقال: هم في أسلوب سوء، ويُجمَع على أساليب. والأُسلوب أيضًا الفن، ويقال: أخذ فلان في

(1) انظر: **المفردات، الراغب الأصفهاني** (ص 62)، مادة (أثر)، و**المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون** (1/ 5)، مادة (أثر).

(2) انظر: **المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون** (1/ 5)، مادة (أثر).

(3) انظر: **لسان العرب، ابن منظور** (4/ 5)، مادة (أثر)، و**المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون** (1/ 5)، مادة (أثر).

(4) انظر: **المفردات، الراغب الأصفهاني** (ص 62)، مادة (أثر).

(5) **التعريفات، الشريف الجرجاني** (ص 9). **الشريف الجُرْجَاني** هو علي بن محمَّد بن علي الجُرْجَاني، وُلِد في تاكو (قرب استراباد) سنة 740 هـ، وتُوفِّيَ في شيراز سنة 816 هـ، من كبار العلماء بالعربية، فقيه وفيلسوف وفلكي. وله نحو خمسين مصنَّفًا، منها: (التعريفات) وهو من أوائل المعاجم الاصطلاحية في التراث العربي، و(الحواشي على المطوَّل للتفتازاني)، و(شرح السراجية) في الفرائض، و(الكبرى والصغرى في المنطق)، و(شرح كتاب الجغميني) في الهيئة، وغيرها. انظر: **الضوء اللامع، السخاوي** (5/ 328- 330)، و**الأعلام، خير الدين الزركلي** (5/ 7).

(6) **التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي** (ص 38).

(7) **القاموس المحيط، الفيروزآبادي** (ص 98)، مادة (سلب).

أساليب من القول، أي أفانين منه[1]. ويبدو أنَّ مآل تلك الأقوال واحد؛ فالأسلوب هو الطريقة أو المذهب أو الفن الذي يسلكه المتكلِّم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه.

اصطلاحًا: الأسلوب هو عرض معانٍ وأفكار في عبارات وجمل مختارة لِتناسب ما يجب بِكلّ مقام من المقال، أو هو فن العرض والتأثير والإقناع، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ للتعبير بها عن المعاني[2]. "وعلى هذا فأسلوب القرآن الكريم هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، ولا غرابة أنْ يكون للقرآن الكريم أسلوب خاصّ به، فإنَّ لِكلّ كلام إلهيّ أو بشريّ أسلوبه الخاصّ به، وأساليب المتكلِّمين وطرائقهم في عرض كلامهم من شعر أو نثر تتعدّد بِتعدّد أشخاصهم، بل تتعدّد في الشخص الواحد بِتعدّد الموضوعات التي يتناولها والفنون التي يعالجها"[3]، ولله المثل الأعلى.

3- القصر:

لغةً: القاف والصاد والراء أصلان صحيحان؛ أحدهما يدلُّ على عدم بلوغ الشيء مَدَاه ونهايته، والآخر على الحَبْس. وأمَّا الأوَّل فالقِصَر خِلَاف الطول، ويقول: قَصَّرْتُ الثوب والحبل تَقْصِيرًا، ويقال: قَصْرُ الصلاة: وهو عدم إتمامها لِسفر مثلًا. وأمَّا الثاني فالقَصْر الحَبْس، يقال: قَصَرْتُه إذا حَبَسْتُه، وهو مَقْصُور، أي مَحْبُوس، قال الله تعالى: ﴿ **حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ** ﴾ [الرحمن: 72]، وامرأة قاصرة الطرف: لا تَمُدُّه إلى غير زوجها، كأنّها تَحْبِس طَرْفَها حَبْسًا، قال الله سبحانه: ﴿ **فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ** ﴾ [الرحمن: 56][4]. وهذان الأصلان متقاربان ويجتمعان في معنى واحد وهو عدم المجاوزة إلى الغير؛ فَعَدَم بلوغ الشيء مداه ونهايته كان بِسبب حبسه على الحال التي هو عليها.

---

(1) انظر: **تاج العروس، المرتضى الزَّبيدي** (3/ 71)، مادة (سلب)، و**المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون** (1/ 441)، مادة (سلب).

(2) انظر: **التدرّج في دعوة النبي، إبراهيم المطلق** (ص 16-17). **المقام** هو الحال التي يقال فيها الكلام، كأنْ يكون المقام مقام حزنٍ وبكاء، أو مقام فرحٍ وسرور، أو مقام تكريم، أو مقام ذمّ، أو غير ذلك من المقامات. انظر: **مفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 168)، و**الجملة العربية والمعنى، فاضل السامرائي** (ص 63).

(3) **مناهل العرفان في علوم القرآن، محمّد الزُّرْقاني** (2/ 303).

(4) انظر: **مقاييس اللغة، ابن فارس** (5/ 96، 97)، مادة (قصر)، و**أساس البلاغة، الزمخشريّ** (2/ 81)، مادة (قصر)، و**لسان العرب، ابن منظور** (5/ 98، 99)، مادة (قصر).

اصطلاحًا: يرجع معنى القصر كما ذكره السكاكيّ إلى تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثانٍ أو بوصف مكان آخر أو إلى تخصيص الوصف بموصوف دون ثانٍ أو بموصوف مكان آخر[1]، وعُرِّف القصر أيضًا بأنّه "تخصيص شيء بِشيء وحصره فيه، ويُسمَّى الأوَّل: مقصورًا، والثاني: مقصورًا عليه"[2]؛ أي جَعْل الشيء خاصًّا بِشيء معين لا يتعدَّاه.

وقد استعمل جلال الدين السيوطيّ في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) القصر بمعنى الحصر، فقد أطلق اسم (الحصر والاختصاص) على باب يبحث فيه القصر، وعرَّفه فقال: "أمَّا الحصر، ويقال له: القصر، فهو تخصيص أمر بِآخر بِطريق مخصوص، ويقال أيضًا: إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عمَّا عداه"[3].

وأُطلِق على القصر قبل السكاكيّ مصطلحا الاختصاص[4] والحصر[5]، وهما يفيدان نفس معناه؛ فالاختصاص لغةً: خصَّه بالشيء واختصَّه: أفرده به دون غيره، ويقال: اختصَّ فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد، وخصَّ غيره واختصّه بِبره، ويقال: فلان مخصّ بفلان أي خاصّ به، والخاصَّة: خلاف العامّة، والخاصّة: مَن تخصّه لِنفسك[6]. وأمَّا الحصر فهو لغةً: الحبس والمنع والجمع، والحاء والصاد والراء أصل واحد[7]، ويقال: حَصَرَتْ وأَحْصَرَتْ، وحَصَرَهُ يَحْصُرُهُ حَصْرًا، فهو مَحْصُورٌ وحَصِيرٌ، وقيل: حصرني الشيء وأحصرني أي حَبَسَني، ومن معانيه: الضيق، وحَصَرَهُ يَحصُرُهُ حَصْرًا: ضيَّق عليه وأحاط به، والحصير: المَحْبِس، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: 8]، وهو من حَصَرْته أَي حَبَسْتُه[8]. وبذلك

(1) انظر: **مفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 288).

(2) **التعريفات، الشريف الجرجاني** (ص 175)، و**التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي** (ص 272).

(3) انظر: **الإتقان في علوم القرآن، السيوطيّ** (3/ 166). **جلال الدين السيوطيّ** هو عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري، وُلِد سنة 849 هـ، وتُوفِّيَ بروضة المقياس سنة 911 هـ، كان إمامًا حافظًا ومؤرخًا وأديبًا، من شيوخه: العلم البلقيني، والشرف المناوي، والعزّ الحنبلي، ومن تلاميذه: شمس الدين الداوودي. وله نحو 600 مصنَّفًا؛ منها: (الإتقان في علوم القرآن)، و(تاريخ أسيوط)، و(عقود الجمان في المعاني والبيان). انظر: **الضوء اللامع، السخاوي** (4/ 65- 70)، و**الكواكب السائرة، الغزي** (1/ 227-232)، و**الأعلام، خير الدين الزركلي** (3/ 301- 302).

(4) انظر: **دلائل الإعجاز، الجرجانيّ** (ص 328).

(5) انظر: **الإتقان في علوم القرآن، السيوطيّ** (3/ 166).

(6) انظر: **لسان العرب، ابن منظور** (7/ 24، 25)، مادة (خصص).

(7) انظر: **مقاييس اللغة، ابن فارس** (2/ 72)، مادة (حصر).

(8) انظر: **لسان العرب، ابن منظور** (4/ 193، 194)، مادة (حصر).

فإنَّ المصطلحات الثلاثة (الاختصاص، والحصر، والقصر) ذات معنى لغويّ واحد، وهو حبس شيء في آخر دون أن يتعدّاه إلى غيره، وهو معنى القصر في اصطلاح البلاغيّين.

وقد خالف بهاء الدين السُّبْكي علماء المعاني، فنقل عن والده في كتاب (الاقتناص في الفرق بين الحصر والاختصاص) تفرقته بين الاختصاص وبين القصر والحصر بأنَّ الاختصاص عامّ يشمل أساليب القصر الاصطلاحي وغيره، وقد عَرَّف الاختصاص بأنَّه قصد المتكلِّم إفادة السامع خصوصَ شيءٍ من غير تعرُّض لِغيره بنفي أو إثبات، وأمَّا الحصر فقائم على النفي والإثبات[1]. في حين لا فرق بين هذه المصطلحات في العرف البلاغيّ، ويكون معنى القصر والحصر والاختصاص كما ذكره السكاكيّ[2].

ويُلاحَظ بالعودة إلى التعاريف اللغويّة لكلٍّ من القصر والحصر والاختصاص ما مفاده أنَّ معنى القصر والحصر قائمٌ على النفي والإثبات، وكذلك الحال في الاختصاص فالقول: (خصَّه بالشيء واختصَّه: أفرده به دون غيره) يتضمن معنى النفي والإثبات؛ فعبارة (أفرده به) تتضمن معنى الإثبات، و(دون غيره) تتضمن معنى النفي. وبناءً عليه فإنَّ القصر والحصر والاختصاص بمعنى اصطلاحي واحد، ولا مشاحة بالتعبير عنه تارة بالقصر وأخرى بالحصر أو الاختصاص.

مفهوم الصفة والموصوف في القصر: لا يُقصَد بالصفة النعت النحويّ، إنَّما هي الصفة المعنويَّة التي هي معنى قائم بالغير[3]، وأمَّا الموصوف فهو الذي يتَّصف بهذا المعنى، ففي قولك: (ما فعل هذا إلّا محمّد) يكون الفعل (فعل) صفة لأنّه يدلّ على معنى هو الفعل، وهذا المعنى يتّصف به الغير أي الفاعل (محمّد)، وهو الموصوف، وليس بالضرورة أنْ يكون الموصوف ذاتًا، فقد يكون معنى أيضًا. وقد تتقدم الصفة على الموصوف في بعض أنواع القصر، وتكون حقيقيَّة أو مجازيَّة[4].

---

(1) انظر: **عروس الأفراح، السبكي** (1/ 384-388). **بهاء الدين السُّبْكي** هو أحمد بن علي السبكي، وُلِد سنة 719 هـ، وتُوفِّيَ بمكة سنة 763 هـ. وكان إمامًا وقاضيًا وأديبًا، له اليد الطولى في العربية والمعاني والبيان، أخذ عن أبي حيَّان والرشيدي والأصبهاني، وتفقَّه على المجد الزنكلوني وابن القمَّاح، وولي تدريس الشافعي والحاكم، وله تعليق على الحاوي، و(عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح). انظر: **الدرر الكامنة، ابن حجر** (1/247- 254)، و**البدر الطالع، محمّد الشوكاني** (81/1، 82).

(2) انظر: **مفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 288).

(3) انظر: **الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (3/ 8)، و**الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ابن عربشاه** (1/ 47)، و**بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي** (2/ 222)، و**أساليب بلاغية، أحمد مطلوب الناصريّ** (ص 178).

(4) انظر: **دلالات التراكيب، محمّد أبو موسى** (ص 79-80).

4- التفسير:

لغةً: تفعيل من الفَسْرِ، و"الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلّ على: بيان الشيء وإيضاحه"[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: 33].

اصطلاحًا: اختلفت عبارات العلماء في تعريف علم التفسير، ولا حدود لاجتهاداتهم في ذلك، فكلّ عالم عرَّف علم التفسير بما يراه الأدقّ من وجهة نظره.

قال ابن جُزَيّ: "معنى التفسير: شرح القرآن، وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصّه أو إشارته أو نجواه"[2]، وأمَّا أبو حيَّان فقد عرّف التفسير بقوله: "التفسير: علمٌ يُبحَث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفراديَّة والتركيبيَّة، ومعانيها التي تُحمَلُ عليها حال التركيب، وتتمات ذلك"[3]، وعرَّفه الزَّرْكَشِيُّ بأنَّه: "علمٌ يُعرَف به فَهْم كتاب الله المنَزَّل على نبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمه. واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو، والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات. ويحتاج لِمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ"[4].

---

(1) **مقاييس اللغة، ابن فارس** (4/ 504)، مادة (فسر).

(2) **التسهيل لعلوم التَّنْزيل، ابن جُزَي** (1/ 15). **ابن جُزَيّ** هو محمّد بن أحمد الكَلْبي، وُلِد بغرناطة سنة 693هـ، وتُوفِّيَ في الكائنة بطريف سنة 741 هـ. وكان فقيهًا من العلماء بالأصول واللغة والتفسير، قرأ على أبي جعفر بن الزبير وأبي الحسن بن سمعون، وهو من شيوخ لسان الدين ابن الخطيب، ومن مؤلفاته: (تقريب الوصول إلى علم الأصول)، و(التسهيلِ في علومِ التَّنْزيلِ). انظر: **الدرر الكامنة، ابن حجر** (5/ 88، 89)، **والأعلام، خير الدين الزركلي** (5/ 325).

(3) **البحر المحيط، أبو حيَّان** (1/ 26). **أبو حيَّان** هو محمّد بن يوسف الأندلسيّ الجياني، وُلِد في غرناطة سنة 654هـ، وتُوفِّيَ في القاهرة سنة 745 هـ، كان نحوي عصره، ولغويه، ومفسّره، ومحدثه، ومقرئه، ومؤرخه. وقد أخذ عن أربعمائة وخمسين شخصًا، منهم: أبو علي بن أبي الأحوص والقطب القسطلاني وابن الأثماطي، ومن كتبه: (البحر المحيط) في تفسير القرآن، و(تحفة الأريب) بما في القرآن من الغريب. انظر: **الدرر الكامنة، ابن حجر** (6/ 58- 65)، **وبغية الوعاة، السيوطيّ** (1/ 280- 282).

(4) **البرهان في علوم القرآن، الزركشيّ** (1/ 13). **الزَّرْكَشِيُّ** هو محمّد بن بهادر الزركشيّ، تركي الأصل، وُلِد في القاهرة سنة 745 هـ، وتُوفِّيَ فيها سنة 794هـ، عالم بالفقه والأصول والحديث والتفسير، أخذ عن جمال الدين الإسنوي والشيخ سراج الدين البلقيني وابن كثير والأذرعي، ومن تصانيفه: (البحر المحيط) في أصول الفقه، و(التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح)، و(البرهان في علوم القرآن). انظر: **الدرر الكامنة، ابن حجر** (5/ 133-135)، **والمدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان** (ص 58).

ولعلَّ أفضل تعريف للتفسير هو: "علمٌ يُبحَثُ فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله بقدر الطاقة البشريَّة"[1].

فبيان أثر أسلوب القصر في التفسير -هذا المركَّب الإضافيّ- يُخرِج بيان أثر أسلوب القصر في غير التفسير؛ أي: في غير المعاني القرآنية.

5- المفصَّل من القرآن:

ذهب العلماء إلى أنَّ القرآن الكريم أربعة أقسام: الطوال والمئون والمثاني والمفصَّل، وعن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «أُعطِيتُ مكانَ التَّوراةِ السَّبْعَ، وأُعطيتُ مكانَ الزَّبورِ المِئِينَ، وأُعطيتُ مكانَ الإنجيلِ المثانيَ، وفُضِّلْتُ بالمفَصَّلِ»[2].

والمفصَّل هو السور الأخيرة من القرآن الكريم، وسُمِّي بالمفصَّل لِكثرة الفصل بين سوره بالبسملة نظرًا لِقصرها، وقيل لِقلّة المنسوخ منه، وآخره سورة الناس اتّفاقًا[3].

وقد اختُلِف في تعيين أوَّله على اثني عشر قولًا؛ الأوَّل: الجاثية، والثاني: القتال، والثالث: الحجرات، والرابع: ق، والخامس: الصافَّات، والسادس: الصف، والسابع: تبارك، والثامن: الفتح، والتاسع: الرحمن، والعاشر: الإنسان، والحادي عشر: سَبِّح، والثاني عشر: الضحى[4]. والصحيح عند أهل الأثر أنَّ أوَّله سورة ق؛ لِحديث أوس بن حذيفة[5] الآتي: "فَسَأَلْنا أصحابَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وَسلَّمَ حينَ

(1) **مناهل العرفان في علوم القرآن، محمّد الزُّرْقاني** (2/ 3).

(2) انظر: **البرهان في علوم القرآن، الزركشيّ** (1/ 244). تخريج الحديث: **مسند أبي داود الطيالسي**: واثلة بن الأسقع عن النبي (2/ 351)، رقم الحديث (1105). **ومسند أحمد**: واثلة بن الأسقع (28/ 188)، رقم الحديث (16982)، واللفظ له. **والمعجم الكبير، الطبرانيّ**: أبو مليح بن أسامة الهذليّ عن أبي أمامة (8/ 258)، رقم الحديث (8003). **ومسند الشاميين، الطبرانيّ**: سعيد عن قتادة عن أبي مليح (4/ 62)، رقم الحديث (2734). **وشعب الإيمان، البيهقيّ**: ذكر الحواميم (4/ 108)، رقم الحديث (2255). وصحّح إسناده السيوطيّ والألبانيّ في **السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير** (2/ 773).

(3) انظر: **البرهان في علوم القرآن، الزركشيّ** (1/ 245)، **والإتقان في علوم القرآن، السيوطيّ** (1/ 221)، **ومناهل العرفان في علوم القرآن، محمّد الزُّرْقاني** (1/ 352).

(4) انظر: **البرهان في علوم القرآن، الزركشيّ** (1/ 245، 246)، **والإتقان في علوم القرآن، السيوطيّ** (1/ 221).

(5) **أوس بن حذيفة**: هو أوس بن حذيفة بن ربيعة بن أبي سلمة بن غيرة بن عوف الثقفي، تُوفِّيَ سنة 59هـ، وقد سكن الطائف، قدم في الوفد على النبي صلَّى الله عليه وسلَّم وروى عنه، وروى له أبو داود والنّسائيّ وابن ماجة، وصحَّ من طريقه أحاديث. انظر: **أسد الغابة، ابن الأثير** (1/ 167-169)، **والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر** (1/ 297).

أصبحْنا؟ قالَ: قُلْنا: كيفَ نُحَزِّبونَ القرآنَ؟ قَالُوا: نُحَزِّبُهُ ثلاثَ سورٍ، وخمسَ سورٍ، وسبعَ سورٍ، وتسعَ سورٍ، وإحدى عشرةَ سورةً، وثلاثَ عشرةَ سورةً، وحِزْبُ المفصَّلِ مِنْ ق حتَّى نَخْتِمَ"[1]. وبعد عدِّ ثمانٍ وأربعين سورة يكون أوَّل المفصَّل السورة التاسعة والأربعون من أوّل سورة البقرة لا من سورة الفاتحة أي: سورة ق[2]، وآخر طواله سورة عمَّ، وأوساطه منها للضحى، وقصاره منها لآخر القرآن[3].

ويُرجَّح أنَّ التسمية بالمفصَّل توقيفيَّة عن النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم، فقد وردت أحاديث كثيرة ذُكِر فيها بهذه التسمية، منها في الصحيحين وغيرهما؛ "كان معاذ بن جبل يصلِّي مع النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، ثمَّ يرجع، فيؤمُّ قومه، فصلَّى العشاء، فقرأ بالبقرة، فانصرف الرجل، فكأنَّ معاذًا تناول منه، فبلغ النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم فقال: «فَتَّانٌ، فَتَّانٌ، فَتَّانٌ» ثلاثَ مرارٍ وأمره بسورتين من أوسط المفصَّل"[4].

وتوجد آثار كثيرة عن فضل المفصَّل؛ منها الحديث المذكور سابقًا عن أقسام القرآن الكريم وقول عبد الله بن مسعود[5] رضي الله عنه: "إنَّ لِكلِّ شيءٍ سَنامًا، وإنَّ سنامَ القرآنِ سورةُ البقرةِ، وإنَّ لكلِّ شيءٍ

(1) انظر: **تفسير القرآن العظيم، ابن كثير** (7/ 392)، **والبرهان في علوم القرآن، الزركشيّ** (1/ 246، 247)، **وفتح الباري، ابن حجر** (9/ 43). تخريج الحديث: **مسند أحمد**: حديث أوس بن حذيفة (31/ 362)، رقم الحديث (19021)، واللفظ له. **وسنن ابن ماجه**: باب ما جاء في كم يستحب (2/ 369)، رقم الحديث (1345). **وسنن أبي داود**: باب تحزيب القرآن (2/ 540)، رقم الحديث (1393). **ومصنف ابن أبي شيبة**: كتاب صلاة التطوع والإمامة وأبواب متفرقة، في القرآن، في كم يختم؟ (2/ 242)، رقم الحديث (8583). **والمعجم الكبير، الطبرانيّ**: باب في فضل قراءة القرآن (1/ 220)، رقم الحديث (599). وحسَّن إسناده ابن كثير في **فضائل القرآن** (ص 148).

(2) انظر: **تفسير القرآن العظيم، ابن كثير** (7/ 392)، **والبرهان في علوم القرآن، الزركشيّ** (1/247، 248).

(3) انظر: **الإتقان في علوم القرآن، السيوطيّ** (1/221، 222).

(4) **صحيح البخاريّ**: كتاب الأذان، باب إذا طَوَّلَ الإمام وكان للرجل حاجة فخرج وصلَّى (1/ 142)، رقم الحديث (701)، واللفظ له. **وصحيح مسلم**: كتاب الصلاة، باب القراءة في العشاء (1/ 339)، رقم الحديث (465). **معاذ بن جبل** هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، تُوفِّيَ بالطاعون في الشام سنة 18هـ، أعلم الأمَّة بالحلال والحرام، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي صلّى الله عليه وسلَّم. وقد شهد العقبة مع الأنصار السبعين، وشهد المشاهد كلّها مع رسولنا الكريم صلّى الله عليه وسلَّم، وبعثه رسول الله بعد غزوة تبوك قاضيًا ومرشدًا لأهل اليمن. انظر: **أسد الغابة، ابن الأثير** (4/ 418-421)، **والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر** (6/ 107-109).

(5) **عبد الله بن مسعود** هو الصحابي عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، تُوفِّيَ بالمدينة سنة 32هـ، فقيه ومقرئ ومحدّث، هاجر الهجرتين وصلَّى القبلتين، كان كثير الملازمة للنبيّ صلَّى الله عليه وسلّم، أُخِذت من فيهه سبعون سورة، وقد وردت آثار كثيرة تشهد بمنزلة ابن مسعود العالية في التفسير، شهد سائر المشاهد مع رسول الله، وشهد اليرموك بعد وفاته، وشهد له رسولنا الكريم بالجنَّة. انظر: **أسد الغابة، ابن الأثير** (3/280- 286)، **والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر** (4/ 200).

لُبابًا، وإنَّ لبابَ القرآنِ المفصَّلُ"[1].

ثانيًا– أركان القصر:

للقصر أربعة أركان هي:

1– المقصور: وهو المخَصَّص، صفة كان أو موصوفًا، أي الحكم الذي يُراد حصره بالمقصور عليه.

2– المقصور عليه: وهو المخَصَّص به، صفة كان أو موصوفًا، أي ما ينحصر به الحكم.

3– المقصور عنه: وهو المنفي المستبعَد بالقصر.

4– المقصور به: أي طريق القصر.

ففي كلمة التوحيد (لا إله إلّا الله): المقصور هو صفة الألوهية، والمقصور عليه هو الله عزّ وجلّ، والمقصور عنه هو كلّ ما سوى الله تعالى، والمقصور به هو النفي (لا) والاستثناء (إلَّا)[2].

ثالثًا– طرق القصر:

هناك أربعة طرق تدلُّ على القصر:

الطريق الأوَّل: أن تدلَّ عبارة القصر عليه بمادَّتها اللغويَّة صراحة، مثل: هذا مقصورٌ على هذه.

الطريق الثاني: يكون القصر بدليل خارج عن النصّ؛ دليل عقليٍّ أو حسِّيٍّ أو تجريبيٍّ أو دليل من القرائن الذهنيَّة أو الحاليَّة.

الطريق الثالث: يكون القصر ببعض الأدوات التي تدلُّ عليه بالوضع اللغويّ؛ وهي: النفي والاستثناء، وكلمتا (إنَّما) و(أنَّما)، والعطف بالحروف الآتية: (لا) و(بل) و(لكن).

---

(1) **سنن الدارمي**: في فضل سورة البقرة (4/ 2126)، رقم الحديث (3420)، واللفظ له. و**شعب الإيمان، البيهقيّ**: ذكر الحواميم (4/ 109)، رقم الحديث (2258). و**مصنف ابن أبي شيبة**: ما جاء في فضل المفصَّل (6/ 154)، رقم الحديث (30294). و**فضائل القرآن، ابن الضريس**: باب في فضل سورة البقرة (ص 88)، رقم الحديث (178). و**المعجم الكبير، الطبرانيّ** (9/ 129)، رقم الحديث (8644). وفي السند عاصم ابن بهدلة، وهو ثقة وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح. انظر: **مجمع الزوائد، الهيثميّ** (7/ 159).

(2) انظر: **البلاغة العربية، عبد الرحمن حَبَنَّكَة الميداني** (1/ 526، 527).

الطريق الرابع: يكون القصر بدلالات كلاميَّة تُفهَم بالفحوى من: تقديم ما حقّه التأخير، وتعريف طرفي الإسناد في الجملة، وإضافة ضمير الفصل.

والطريقان الأوَّل والثاني لا حصر لهما، ولم يوجِّه البلاغيُّون عنايتهم لِتفصيلهما[1]، ولعلّ ذلك يرجع إلى أنَّ الأمر غير منضبط عند استعمالهما في القصر[2]؛ إذ تتباين دلالتهما عليه.

وقد ذكر السيوطيُّ طرقًا عديدة للقصر، يندرج أكثرها تحت ما تقدَّم من طرق؛ فقد عدَّ (إنَّما) و(أنَّما) طريقين للقصر، وَعَدَّ ما يدخل تحت تقديم ما حقّه التأخير طرقًا مستقلَّة للقصر[3]، ونقل أنَّ بعض ألفاظ التوكيد المعنويّ تفيد الحصر؛ كلفظ (نفس)، نحو: جاء زيدٌ نفسه، وأنَّ تعدُّد أدوات التوكيد في الجملة من باب الحصر نحو: إنَّ زيدًا لقائم[4]، وأنَّ قلب بعض حروف الكلمة يفيد الحصر والاختصاص كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ [الزمر: 17]؛ فأصل لفظ (الطاغوت) على وزن (فَعَلُوت)؛ طَغَوُوت من الطغيان، كملكوت ورحموت، حدث فيه قلب بتقديم اللام على العين؛ فأصبح وزنه فَلْعُوت، وفي هذا مبالغة وهي التسمية بالمصدر، والقلب للاختصاص إذ لا يُطلَق على غير الشيطان[5].

وأمَّا البلاغيّون فقد ذهبوا إلى تضييق أساليب القصر فَجَعلوها ستة طرق اصطلاحية؛ لِدقَّة وجه الدلالة فيها وغناها بالاعتبارات التي تتطلب من الدارس المزيد من الاهتمام لِيكشف ما وراء التعبير من

(1) انظر: **البلاغة العربية، عبد الرحمن حَبَنَّكَة الميداني** (1/ 545)، و**دلالات التراكيب، محمّد أبو موسى** (ص 37). و**القرائن**: مفردها القرينة؛ أمرٌ يشير إلى المطلوب، ولها أنواع عدَّة؛ منها: اللفظيَّة، المعنويَّة، الحاليَّة. انظر: **التعريفات، الشريف الجرجاني** (ص 174). و**فحوى الكلام**: المفهوم منه وهو مخالف لاصطلاح الأصوليين؛ فإنَّ الفحوى عندهم مفهوم الموافقة لا مفهوم المخالفة، وما نحن فيه مفهوم مخالفة. انظر: **عروس الأفراح، السبكي** (1/ 408). و**الإسناد** في النحو العربي هو ضمّ إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الإفادة التامَّة؛ أي: على وجهٍ يحسن السكوت عليه. انظر: **التعريفات، الشريف الجرجاني** (ص 23).

(2) انظر: **دلالات التراكيب، محمّد أبو موسى** (ص 37).

(3) انظر: **الإتقان في علوم القرآن، السيوطيّ** (3/ 166-178).

(4) انظر: **عروس الأفراح، السبكي** (1/ 406)، **والإتقان في علوم القرآن، السيوطيّ** (3/ 173).

(5) انظر: **الإتقان في علوم القرآن، السيوطيّ** (3/ 173).

معانٍ وأسرار، وهذه الطرق هي: النفي والاستثناء، وكلمتا (إنّما) و(أنّما)، وحروف العطف (لا، بل، لكن)، وتقديم ما حقّه التأخير، وتعريف طرفي الإسناد في الجملة، وضمير الفصل[1].

رابعًا– أنواع القصر:

1– القصر باعتبار الحقيقة والواقع:

يُقسَم القصر باعتبار الحقيقة والواقع إلى حقيقيّ وإضافيّ[2]، ولم يُصرّح السكاكيّ بتقسيم القصر إلى هذين النوعين، ولكنَّ تعريفه لمعنى القصر كان شاملًا للحقيقيّ وغيره[3].

أ– قصر حقيقيّ: إذا كان المقصور عنه جميعَ ما سوى المقصور عليه، ويُقسَم إلى قسمين:

– حقيقيّ تحقيقيّ: وفيه مضمون القصر مطابقًا للواقع، كقولك: (لا إله إلَّا الله)، أي: لا يوجد في الوجود كلّه معبود بحقّ سوى الله عزّ وجلّ.

– حقيقيّ ادعائيّ أو مجازيّ: وفيه مضمون القصر غير مطابق للواقع، إلَّا أنَّه جاء على سبيل الادعاء والمبالغة مجازًا، مثل: (لا سيف إلّا ذو الفقار)[4].

ب– قصر إضافيّ: إذا كان المقصور عنه خاصًّا منحصرًا في دائرة خاصَّة يجري الكلام فيها؛ فالقصر الإضافيّ ليس قصرًا حقيقيًّا عامًّا، وإنّما هو قصر بالإضافة إلى موضوع خاصّ يدور حول احتمالين أو أكثر من احتمالات محصورة بعدد خاصّ[5]، ويُستدَلُّ عليها بالقرائن، كقوله تعالى: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ**

---

(1) انظر: **دلالات التراكيب، محمّد أبو موسى** (ص 92–94).

(2) انظر: **الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (3/ 7)، **ومختصر المعاني، التفتازاني** (ص 115)، **وجواهر البلاغة، أحمد الهاشمي** (ص 170)، **وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيديّ** (2/ 221)، **وعلم المعاني، عبد العزيز عتيق** (ص 152)، **وأساليب القصر، صبَّاح درّاز** (ص 61)، **والبلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، فضل عباس** (ص 363)، **ودلالات التراكيب، محمّد أبو موسى** (ص 38).

(3) انظر: **مفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 288–301).

(4) انظر: **مختصر المعاني، التفتازاني** (ص 116)، **وأساليب القصر، صبَّاح درّاز** (ص 61–71)، **والبلاغة العربية، عبد الرحمن حَبَنَّكَة الميداني** (1/ 523، 524)، **ودلالات التراكيب، محمّد أبو موسى** (ص 38–54). والأمثلة مأخوذة من البلاغة العربية.

(5) انظر: **مختصر المعاني، التفتازاني** (ص 116)، **وجواهر البلاغة، أحمد الهاشمي** (ص 170)، **وعلم المعاني، عبد العزيز عتيق** (ص 152)، **وأساليب القصر، صبَّاح درّاز** (ص 75)، **والبلاغة العربية، عبد الرحمن حَبَنَّكَة الميداني** (1/ 524)، **ودلالات التراكيب، محمّد أبو موسى** (ص 55).

خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [آل عمران: 144]، فالموضوع الخاصّ الذي يدور الكلام حوله هو كَون محمّد صلَّى الله عليه وسلَّم رسولًا لا يموت كما يموت سائر الناس، فجاء النصّ مبيّنًا قصره على كَونه رسولًا فقط، والمقصور عنه أمر خاصّ هو كونه لا يموت، لا سائر الصفات غير صفة كونه رسولًا؛ إذ له صفات كثيرة لا حصر لها، وهي لا تدخل في المقصور عنه[1].

وحاصله أنَّه من الممكن التفريق بين القصر الحقيقيّ والإضافيّ حسب اعتبار المعتبِر؛ فإن اعتُبِر التخصيص بالنسبة إلى جميع الصفات الباقية فهو حقيقيّ سواء وُجِد الجميع أم لم يوجد منه شيء، وإن اعتُبِر التخصيص بالنسبة إلى بعضها فهو إضافيّ وإن لم يكن موجودًا غيرها[2].

2- القصر باعتبار طرفيه:

يُقسَم القصر باعتبار طرفيه (المقصور والمقصور عليه) سواء أكان القصر حقيقيًّا أم إضافيًّا إلى نوعين:

أ- قصر صفة على موصوف: هو أن تُحبَس الصفة على موصوفها، فلا يتَّصف بها غيره، وقد يتَّصف هذا الموصوف بغيرها من الصفات، مثاله من الحقيقيّ: (ما في الدار إلَّا زيد)؛ أي: صفة الحصول في الدار المعينة مقصورة على الموصوف زيد، ومثاله من الإضافيّ: (ما شاعر إلَّا زيد) [3].

ب- قصر موصوف على صفة: هو أن يُحبَس الموصوف على الصفة دون غيرها، وقد يشاركه غيره فيها، مثاله من الحقيقيّ: (ما زيد إلَّا كاتب) إذا أردت أنَّه لا يتَّصف بصفة غير الكتابة، ومثاله من الإضافيّ: (ما زيد إلَّا قائم) لِمن يعتقد أنَّ زيدًا قاعد لا قائم[4].

وقد ذكر بعض البلاغيّين أنَّه لا يكاد يكون قصرُ موصوف على صفة قصرًا حقيقيًّا موجودًا في الكلام؛ لأنَّه ما مِن متصوَّر إلَّا وتكون له صفات تتعذر الإحاطة بها أو تتعسر[5]، ولعلَّ قصرُ موصوف

---

(1) انظر: **البلاغة العربية، عبد الرحمن حَبَنَّكَة الميداني** (1/ 524).

(2) انظر: **حاشية الدسوقي على مختصر المعاني** (2/ 214).

(3) القصر في المثال إضافيّ لأنَّ هناك شعراء غير زيد.

(4) انظر: **مفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 288)، **والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (3/ 7-16)، **ومختصر المعاني، التفتازاني** (ص 115)، **وجواهر البلاغة، أحمد الهاشميّ** (ص 171)، **وعلم المعاني، عبد العزيز عتيق** (ص 156، 157)، **والبلاغة العربية، عبد الرحمن حَبَنَّكَة الميداني** (1/ 524، 525). والأمثلة مأخوذة من الإيضاح.

(5) انظر: **الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (3/ 9)، **ومختصر المعاني، التفتازاني** (ص 116)، **وعلم المعاني، عبد العزيز عتيق** (ص 156)، **والبلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، فضل عباس** (ص 363).

على صفة قصرًا حقيقيًّا غير شائع في الكلام، ولكنَّه موجود كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [النازعات: 13]، فقد قُصرَ أمر الله بإحياء الموتى على صفة الوَحْدة قصرًا حقيقيًّا تحقيقيًّا، وكقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: 52]، فقد قُصرَت أقوال الأقوام عند إتيان الرسل على صفة تكذيبهم لِرسلهم قصرًا حقيقيًّا مجازيًّا.

3- القصر باعتبار حال المخاطَب:

قسَّم أغلب البلاغيّين القصرَ الإضافيّ -بنوعيه السابقين- حسب حال مَن يُوجَّه له الكلام إلى ثلاثة أنواع؛ هي: قصر إفراد، وقصر قلب، وقصر تعيين[1]، في حين أنَّ عبد الرحمن حَبَنَّكَة قسَّم القصرَ حسب تلك الحال إلى أربعة أنواع؛ هي: قصر إعلامي ابتدائي، وقصر إفراد، وقصر قَلب، وقصر تعيين، وعدَّ الأنواع الأربعة السابقة أنواعًا للقصر بوجه عامّ؛ أي: أنواعًا للقصر الحقيقيّ، وللقصر الإضافيّ[2]، وَمِن ثَمَّ فإنَّ أنواع القصر هي:

أ- القصر الإعلامي الابتدائي: "يكون الكلام المشتمل على القصر موجَّهًا لِخالي الذهن، أو إعلانًا عن اعتقاد المتكلِّم، أو اعترافه بِمَضمون ما يقول، أو تعبيره عمَّا في نفسه لِمجرد الاعلام به"[3].

ب- قصر الإفراد: يكون الكلام المشتمل عليه موجَّهًا لمن يراد إعلامه بخطأ تصوره مشاركة غير المقصور عليه في المقصور، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النساء: 171]، ردًّا على مَن اعتقد أنَّ الله ثالث ثلاثة.

---

(1) انظر: **الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (3/12-16)، و**جواهر البلاغة، أحمد الهاشميّ** (ص 173)، و**علم المعاني، عبد العزيز عتيق** (ص 158)، و**أساليب القصر، صبَّاح درّاز** (ص 75-76)، و**دلالات التراكيب، محمّد أبو موسى** (ص57- 58).

(2) انظر: **البلاغة العربية، عبد الرحمن حَبَنَّكَة الميداني** (1/ 529). و**عبد الرحمن حَبَنَّكَة** هو عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، تُوفِّيَ سنة 1425هـ، أستاذ في جامعة أم القرى في مكة، دَرَّس في معهد التوجيه الإسلامي الذي أنشأه والده، وتخرج منه عدد من علماء دمشق المعروفين كالأستاذ الدكتور محمّد سعيد رمضان البوطي، ثم درس في الأزهر الشريف. ومن مؤلفاته: تفسيره (معارج التفكُّر ودقائق التدبُّر)، و(قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله)، و(البلاغة العربيَّة). انظر: **عبد الرحمن حبنّكة الميداني العالم المفكر المفسر، عائدة الجرَّاح** (ص 12، 14-17، 53- 56).

(3) **البلاغة العربية، عبد الرحمن حَبَنَّكَة الميداني** (1/ 528).

ج- قصر القَلب: يكون الكلام المشتمل على القصر موجَّهًا لمن اعتقد عكس الحكم الذي تُثْبِته، فيُعلَم بخطأ تصوره نسبة المقصور إلى غير المقصور عليه، نحو: (ما سافر إلَّا عليٌّ) ردًّا على مَن اعتقد أنَّ المسافر خليل لا عليٌّ، فقد قلبتَ وعكستَ اعتقاده.

د- قصر التعيين: يكون الكلام المشتمل عليه موجَّهًا لمن يُراد إزالة تردّده وشكّه؛ هل المقصور منسوب إلى المقصور عليه أو إلى غيره، كما إذا كان المخاطَب متردِّدًا في كَون الأرض متحرِّكةً أو ثابتة، فتقول: (الأرض متحرِّكة لا ثابتة)، ردًّا على مَن شكَّ وتردَّد في ذلك الحكم[1].

وقد اتُّخِذ في البحث منحى أغلب البلاغيّين الذين اكتفوا بالأنواع الثلاثة الأخيرة، ولم يذكروا القصر الإعلامي الابتدائي اكتفاءً منهم بالمفاهيم العامّة المعروفة من توجيه الكلام.

وجديرٌ بِالذِّكْر أنَّ التركيب اللغويّ الواحد يَصلُح أنْ يكون قصر إفراد أو قصر قلب، أو قصر تعيين، من دون إجراء تغيير في بنيته؛ لأنَّ ذلك مرهون بحال المخاطَب، فيقال لِمن يعتقد أنَّ زيدًا شاعر وخطيب: (ما زيدٌ إلَّا خطيب)، فيكون قصر إفراد، وتقال العبارة ذاتها لمن يعتقد أنَّ زيدًا جاهل بالخطابة، فيكون قصر قلب، وتقال للمتردّد في صفة زيد، أهو خطيب أم تاجر، فيكون قصر تعيين[2].

وقد أدخل السكاكيّ قصر التعيين في قصر الإفراد[3]، وتبعه في ذلك التفتازانيّ[4]؛ وقد مَثَّل السكاكيّ لاستعمال (إنّما) في قصر الموصوف على الصفة قصر إفراد ما يأتي: (إنّما زيد جاء)، و(إنّما زيد يجيء) لِمن يردّده بين المجيء والذهاب من غير ترجيح لأحدهما، وفي تخصيص الصفة بالموصوف إفرادًا:

---

(1) انظر: **الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (3/13-16)، **الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ابن عربشاه** (47/1)، **وجواهر البلاغة، أحمد الهاشميّ** (ص 173)، **وأساليب القصر، صبّاح درّاز** (ص 75- 76)، **والبلاغة العربية، عبد الرحمن حَبَنَّكَة الميداني** (1/ 528، 529)، **ودلالات التراكيب، محمّد أبو موسى** (ص 57- 58). والأمثلة مأخوذة من جواهر البلاغة.

(2) انظر: **البلاغة العربية من منابعها، علم المعاني، محمّد هيثم غرَّة** (ص 131).

(3) انظر: **مفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 291).

(4) انظر: **مختصر المعاني، التفتازاني** (ص 118). **التَّفْتَازَانِي** هو مسعود بن عمر، وُلِد بتفتازان سنة 712 هـ، وتُوفِّيَ بسمرقند سنة 793 هـ، كان من أئمة العربية والبيان والأصول والتفسير والكلام، أخذ عن قطب الدين محمود الرازي وعضد الدين الإيجي وطبقته. ومن كتبه: (المطوَّل) في البلاغة، و(مقاصد الطالبين) في الكلام، و(إرشاد الهادي) في النحو، و(حاشية على شرح العضد على مختصر ابن الحاجب) في الأصول، و(شرح التصريف العزي) في الصرف، و(حاشية الكشاف) في التفسير ولم يكملها. انظر: **بغية الوعاة، السيوطيّ** (2/ 285)، **والبدر الطالع، محمّد الشوكاني** (2/ 303-305).

(إنّما يجيء زيد) لِمن يردّد المجيء بين زيد وعمرو أو يراه منهما[1]، ولعلّ ما ذهب إليه أغلب البلاغيين في تقسيمهم القصر الإضافيّ إلى إفراد وتعيين وقلب هو الصواب؛ لأنَّه مبنيّ على تفريقهم الدقيق بين قصر الإفراد؛ وهو إزالة الشركة الاعتقاديّة عند المخاطَب (الحقيقيّة بالنسبة له)، وبين قصر التعيين؛ وهو إزالة الشركة الاحتماليّة وتعيين ما هو غير مُعيّن عنده[2].

ولم يشترط السكاكيّ شروطًا في قصر الإفراد وقصر القلب[3]، وأمَّا الخطيب القزوينيّ فاشترط في قصر الموصوف على الصفة إفرادًا عدم تنافي الوصفين، وقلبًا تحقّق تنافيهما، وقد عدَّ قصر التّعيين أعمّ من قصر الإفراد وقصر القلب؛ لأنَّ اعتقاد كَون الشيء موصوفًا بأحد أمرين معيّنين على الإطلاق لا يقتضي جواز اتّصافه بهما معًا ولا امتناعه، وبهذا عُلِم أنَّ كلّ ما يَصلُح أنْ يكون مثالًا لِقصر الإفراد أو القلب يَصلُح أنْ يكون مثالًا للتعيين من غير عكس[4]. ولعلَّ رأي السكاكيّ بعدم الاشتراط هو الصواب؛ فقولك: (ما زيد إلَّا شاعر) لمن اعتقد أنَّه كاتب وليس بشاعر قصر قلب مع عدم تنافي الشعر والكتابة في الواقع.

خامسًا- المكيّ والمدنيّ من سور المفصَّل:

المشهور والراجح لدى جمهور العلماء أنَّ المراد بالمكيِّ والمدنيِّ هو ما يتعلَّق بالزمان؛ فكلّ ما نزل قبل الهجرة يُعدُّ مكيًّا، سواء أكان في مكة أم خارجها، وكلّ ما نزل بعد الهجرة يُعدُّ مدنيًّا، سواء أكان في المدنية أم خارجها، حتَّى وإنْ كان في مكة[5].

ووصف السورة بأنَّها (مكيّة) أو (مدنيّة) ليس توقيفيًّا عن الله تعالى أو نبيِّه صلّى الله عليه وسلّم، وإنّما هو بِحَسب المنقول عن السلف في ذلك؛ فَمِنْه ما هو متَّفَق عليه، وَمِنْه ما هو مختلَف فيه[6]، وقد نقل

(1) انظر: **مفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 291).

(2) انظر: **حاشية الدسوقي على مختصر المعاني** (2/ 234).

(3) انظر: **مفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 288-301).

(4) انظر: **الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (3/ 18-20).

(5) انظر: **البرهان في علوم القرآن، الزركشيّ** (1/ 187)، **ومناهل العرفان في علوم القرآن، محمّد الزُّرْقاني** (1/ 194).

(6) انظر: **الإتقان في علوم القرآن، السيوطيّ** (1/ 37، 38)، **والواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا ومحيي الدين ديب مستو** (ص 64، 65).

الإمام السيوطيّ في كتابه (الإتقان) أقوالًا كثيرةً في تعيين السور المكيَّة والمدنيَّة من القرآن الكريم، لعلَّ من أصحِّها ما نقله عن الإمام أبي الحسن الحصَّار، وهو الآتي:

1- عدد السور المدنيَّة باتّفاق عشرون سورة، وهي سور: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والنور، والأحزاب، ومحمَّد، والفتح، والحجرات، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والجمعة، والمنافقون، والطلاق، والتحريم، والنصر.

2- عدد السور المختلَف فيها اثنتا عشرة سورة، قال بعضهم نزلت بمكة، وقال الآخرون نزلت بالمدينة، وهي: الفاتحة، والرعد، والرحمن، والصف، والتغابن، والمطففين، والقدر، والبينة، والزلزلة، والإخلاص، والفلق، والناس.

3- ما بقي من السور فهو مكيٌّ باتّفاق، ويبلغ عدده اثنتين وثمانين سورة[1].

وبناءً عليه فَعدد سور المفصَّل خمسٌ وستون سورة، منها ثلاث عشرة سورة مدنيَّة، والباقي مكيَّة.

وسأقف في هذا البحث عند أثر أسلوب القصر بطرقه الستة الاصطلاحية -النفي والاستثناء، وكلمتي (إنَّما) و(أنَّما)، وحروف العطف: (لا) و(بل) و(لكن)، وتقديم ما حقّه التأخير، وتعريف طرفي الإسناد في الجملة، وإضافة ضمير الفصل- في تفسير المكيّ والمدنيّ من سور المفصَّل، وذلك بالاستعانة بأقوال المفسّرين.

(1) انظر: **الإتقان في علوم القرآن، السيوطيّ** (1/ 44، 45). **أبي الحسن الحصَّار** هو علي بن محمّد الخزرجي الإشبيلي الفاسي، المتوفى بالمدينة سنة 611 هـ، الإمام الفقيه الأصولي المفسّر. وقد أخذ عن: أبيه، وابن حميد، وابن رشد الوراق، والسهيلي وغيرهم. وأخذ عنه: محمّد بن عبد الله الخروف، وأبو العباس بن العزام، وعبد العظيم المنذري، وغيرهم. ومن مؤلفاته: الناسخ والمنسوخ، والبيان في تنقيح البرهان، وأرجوزة في أصول الدين. انظر: **الذيل والتكملة، المراكشي** (5/ 70)، **والوافي بالوفيات، الصفدي** (22/ 83).

الفصل الأول

أثر أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في تفسير آيات المفصَّل

تمهيد.

المبحث الأول: أثر أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة.

المبحث الثاني: أثر أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة.

المبحث الثالث: عرض النتائج وتحليلها.

خلاصة.

تمهيد:

يعدُّ أغلب البلاغيين طريقة النفي والاستثناء الأصل في باب القصر، ويقيسون عليه غيره من طرق القصر[1]، ودلالته على القصر بالوضع[2].

ويتحقَّق هذا الطريق من خلال ركنين: أحدهما النفي، والآخر الاستثناء[3]، "وإنَّما احتجت إلى النفي والاستثناء؛ لأنَّك إذا قلت: (جاءني زيد) فقد يجوز أنْ يكون معه غيره، فإذا قلت: (ما جاءني إلَّا زيد) نفيت المجيء كلّه إلَّا مجيئه"[4]. ويُعرَّف الاستثناء بأنَّه "صرف اللفظ عن عُمومه بإخراج المستثنى مِن أنْ يتناوله الأوّل"[5]؛ أي: إخراج الاسم الواقع بعد أداة الاستثناء (إلَّا أو ما يقابلها في المعنى) من الحكم الذي يقع على الاسم الواقع قبلها[6]، وانطلاقًا من اجتماع النفي مع الاستثناء في التركيب، عُدَّ تركيبًا مفيدًا معنى القصر، ولعلَّ ذلك يعود إلى كَون معنى النفي هو عدم الوجود الذي يثير في النفس تساؤلًا حول ماهيّة النفي، فعندما نقول: (ما زيدٌ)، فإنَّنا نثبت عدم الوجود لهذه الذَّات، وفي وسط جوِّ التساؤل والتأهُّب، تأتي أداة الاستثناء لِتُخرِجَ إحدى الصفات التي حُكِم عليها بالنفي إلى دائرة الإثبات، فنقول: (إلَّا شاعر)[7].

وقد اتَّفق البلاغيّون على أنَّ النفي والاستثناء يفيد القصر اصطلاحًا إذا كان الاستثناء مفرَّغًا؛ فالأصل في طريق النفي والاستثناء النصّ على المثبَت دون المنفي[8]، وسُمِّي مفرَّغًا لأنَّ العامل فيه يتفرَّغ لما

(1) انظر: **دلائل الإعجاز، الجرجانيّ** (ص 333)، **ومفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 300).

(2) انظر: **مفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 292)، **والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (3/ 30)، **والأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ابن عربشاه** (1/ 48)، **وجواهر البلاغة، أحمد الهاشمي** (ص 169)، **وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيديّ** (2/ 233).

(3) انظر: **الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ابن عربشاه** (1/ 544).

(4) **المقتضب، المبرّد** (4/ 389).

(5) **شرح المفصل، ابن يعيش** (2/ 46).

(6) انظر: **الاستثناء ومعالمه بين القاعدة النحوية والواقع الاستعمالي من خلال معلقات العرب العشر: دراسة إحصائية دلالية استعمالية، خالد الشراري، رسالة دكتوراة** (ص 12).

(7) انظر: **دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، أحمد درويش** (ص 134).

(8) انظر: **مفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 293)، **والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (3/ 31)، **والأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ابن عربشاه** (1/ 48)، **وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيديّ** (2/ 234).

بعد أداة الاستثناء[1]. وعُلِّلت إفادة الاستثناء المفرّغ القصرَ بأنَّ النفي فيه يتوجَّه إلى مُقدَّر وهو مستثنى منه، والاستثناء إخراج، فَيَحتاج إلى مُخرَج منه، ولا بدَّ أنْ يكون عامًّا؛ لأنَّ الإخراج لا يكون إلَّا من عامّ، ولا بدَّ أنْ يكون مناسبًا للمستثنى في جنسه، مثل: (ما قام إلَّا زيد) أي أحد، و(ما أكلت إلَّا تمرًا) أي مأكولًا، ولا بدَّ أن يوافقه في صفته، أي: إعرابه، فحينئذ يجب القصر إذا أوجب منه شيء بـ (إلَّا) ضرورة، ويبقى ما عداه على صفة الانتفاء[2].

ويفيد الاستثناء التامّ المنفي القصرَ قطعًا، ولكن الخلاف في جَعْله من طرق القصر الاصطلاحية؛ لأنَّه ينصّ على المثبَت والمنفي معًا، كقولك: (ما قام القوم إلَّا زيدًا)، والأصل في طريق النفي والاستثناء النصّ على المثبَت فقط، كقولك: (ما قام إلَّا زيد). وهذا ليس بشيء؛ إذ لا نصّ فيه على المنفي لأنَّ المراد بالنصّ التفصيل، والمنفي في الجملة وهو (القوم) مجمل لعدم النصّ فيه على الأفراد واحدًا واحدًا[3]، وَكأنَّه لم يُذْكَر.

ولا يُعدُّ الاستثناء التامّ الموجب مفيدًا القصرَ؛ إذ القصد فيه هو تصحيح الحكم الإيجابي فهو بمنزلة تقييد طرف الحكم، وقولك: (جاءني الرجال إلَّا الجهال) ليس قصرًا؛ لأنّه كقولك: (جاء الرجال العلماء)، وهذا بخلاف الاستثناء من النفي كقولك: (ما جاءني إلَّا زيد) الذي يفيد قصر الحكم على زيد لا تحصيل الحكم، وإلَّا لقيل: (جاءني زيد)[4]. في حين خالف السبكي هذا الرأي، وذهب إلى أنَّ الاستثناء سواء أكان مع النفي أم مع الإثبات يفيد القصر، وقولك: (قام الناس إلَّا زيدًا) يدلّ على قصر عدم القيام على زيد بالنسبة إلى الناس[5].

وقد اتخذت هذه الدراسة منحى أغلب البلاغيين مع عدم وجود ضير في إفادة الاستثناء التامّ الموجب القصرَ؛ فالاستثناء المفرَّغ والاستثناء التامّ المنفي يفيدان القصر عن طريق المنطوق الصريح، لأنَّ

---

(1) انظر: **البلاغة العربية، عبد الرحمن حَبَنَّكَة الميداني** (1/ 563). **العامِل**: ما أوجب كَون آخر الكلمة على وجه مخصوص من الإعراب. انظر: **التعريفات، الشريف الجرجاني** (ص 145).

(2) انظر: **الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (3/ 42)، و**مختصر المعاني، التفتازاني** (ص 127)، و**الإتقان في علوم القرآن، السيوطيّ** (3/ 68).

(3) انظر: **حاشية الدسوقي على مختصر المعاني** (2/ 268).

(4) انظر: **الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ابن عربشاه** (1/ 544)، و**مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ابن يعقوب الولالي المغربي** (428/1، 429).

(5) انظر: **عروس الأفراح، السبكي** (1/ 401).

(ما) وغيرها من أدوات النفي تفيد النفي الصريح، و(إلّا) وما في معناها تفيد الإثبات الصريح، في حين أنَّ الاستثناء التامّ الموجب يفيد القصرَ بطريق المفهوم، فنفي الحكم فيه ليس صريحًا، وإنّما هو مستفاد من فحوى الاستثناء.

ويكون الاستثناء بإحدى أدواته، وهي أربعة أقسام:

القسم الأول: حرفان هما (إلّا) عند جميع النحويين، و(حاشا) عند سيبويه وأكثر البصريين.

القسم الثاني: فعلان هما (ليس) عند الجمهور، و(لا يكون).

القسم الثالث: متردّدان بين الحرفية والفعلية وهما (خلا) عند جميع النحويين، و(عدا) عند غير سيبويه.

القسم الرابع: اسمان هما (غير)، و(سوى) بلغاتها؛ (سِوى، سُوى، سَوَاء، وسِوَاء)[1].

ويكون النفي بإحدى أدواته؛ مثل: (ليس)، و(ما)، و(إنْ)، وغيرها[2]، وأدوات النفي كثيرة ومتعدِّدة، وَلِكلِّ أداةٍ عمل ومعنى، ومِن ثَمَّ فإنَّ النَّفي كثير الدَّلالات، ولا يجوز استعمال أداة ما بَدَل أخرى وإن كانت الأداتان متشابهتين في الدَّلالة؛ فهناك (إنْ) النافية بجرسها الخاطف ومقطعها المغلق، تختلف عن (ما) بفتحتها الطويلة، وإذا كانت (ما) تفيد التوكيد فإنَّ (إنْ) أكثر توكيدًا؛ إذ تَرِد (إنْ) في الأحوال التي تحتاج إلى مزيد من التركيز في النفي؛ لأنّها توحي بالثبات، وبأنَّ مدخولها محقَّق، أو بشيء من المبالغة والدعوى كما في أقوال المعاندين[3].

ويجب التنبيه إلى أنَّه لا يجوز استعمال (لـمَّا)، ويصرَّح باستعمال غيرها؛ لاستحالة إفادتها المعنى الصحيح، فهي تنفي الحدث حتّى لحظة التكلُّم، وأمَّا المعنى الحاصل بالقصر فيثبت جزءًا من الماضي كان منفيًا، وهذا لا يتناسب مع دلالتها[4].

وقد يأتي الاستفهام بمعنى النفي مع (إلَّا) فيفيد القصر[5]، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 135]، فالقصر هنا واقع باستعمال الاستفهام والاستثناء إلَّا أنَّ هذا الاستفهام خارج عن

(1) انظر: **التصريح بمضمون التوضيح، الوقّاد** (1/ 537، 538).

(2) انظر: **حاشية الدسوقي على مختصر المعاني** (2/ 246).

(3) انظر: **أساليب القصر، صبّاح درّاز** (ص 147).

(4) انظر: **دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، أحمد درويش** (ص 131).

(5) انظر: **أساليب القصر، صبّاح درّاز** (ص 155)، **وعلم المعاني، بسيوني فيود** (36/2).

معناه الحقيقي إلى معنى النفي؛ فَمَعنى الآية الكريمة: وما يَغْفِر الذنوب إلَّا الله[1].

ويكون المقصور عليه في طريق النفي والاستثناء بعد أداة الاستثناء[2]؛ كقولك في قصر الموصوف على الصفة: (ما زيد إلَّا شاعر)، فزيد مقصور والشعر مقصور عليه، وأمَّا قولك في قصر الصفة على الموصوف: (ما قائم إلَّا زيد)، فالقيام مقصور وزيد مقصور عليه، وتحقيق وجه القصر في الأوَّل أنَّه متى قيل: (ما زيد) توجَّه النفي إلى صفته لا ذاته؛ لأنَّ أنفس الذوات يمتنع نفيها، وإنَّما تنفي صفاتها، ولا نزاع في طوله وَقِصَره وما شاكل ذلك، وإنّما النزاع في كونه شاعرًا أو كاتبًا تناولهما النفي، فإذا قيل: (إلَّا شاعر) جاء القصر، وفي الثاني أنَّه متى قيل: (ما قائم) فأُدخِل النفي على الوصف المسلم ثبوته -القيام- لغير من الكلام فيهما، كزيد وعمرو مثلًا، توجَّه النفي إليهما، فإذا قيل: (إلَّا زيد) جاء القصر[3].

ويجوز تقديم المقصور عليه مع أداة الاستثناء معًا على المقصور، كقولك: (ما ضرب إلَّا عمرًا زيد)[4]، فالاختصاص يقع في الذي يلي (إلَّا) دون الذي قبلها[5].

ويأتي القصر بالنفي والاستثناء في مقامات الإنكار كثيرًا، وفي المواقف التي تُنزَّل منزلة الإنكار، أو المجهولة بالنسبة للمخاطَب ولا ينكرها[6]، وقد يُخرَج عن ذلك فيُنزَّل المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب، نحو: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾[آل عمران: 144]؛ فإنَّه خطاب للصحابة وهم لم يكونوا جاهلين لِرسالة النبي صلَّى الله عليه وسلَّم، ونُزِّل استعظامهم له عن الموت منزلة مَن يجهل رسالته؛ لأنَّه لا بدَّ من موته مثل غيره مِن الرسل، ومَن استبعد موته فكأنَّه استبعد رسالته[7].

---

(1) انظر: **علم المعاني، بسيوني فيود** (36/2).

(2) انظر: **الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (40/3- 43)، **وجواهر البلاغة، أحمد الهاشمي** (ص 168)، **وعلم المعاني، عبد العزيز عتيق** (ص 151)، **والبلاغة العربية، عبد الرحمن حَبَنَّكَة الميداني** (1/ 531)، **والبلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، فضل عباس** (ص 368).

(3) انظر: **مفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 290)، **والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (3/ 23، 24).

(4) انظر: **الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (3/ 44)، **ومختصر المعاني، التفتازاني** (ص 126، 127).

(5) انظر: **دلائل الإعجاز، الجرجانيّ** (ص 340)، **والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (3/ 45).

(6) انظر: **دلائل الإعجاز، الجرجانيّ** (ص 332)، **ومفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 294، 295)، **وجواهر البلاغة، أحمد الهاشميّ** (ص 170).

(7) انظر: **الإتقان في علوم القرآن، السيوطيّ** (3/ 68).

المبحث الأول

أثر أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة

يتضمَّن هذا المبحث آثارَ أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في تفسير الآيات المكيَّة من المفصَّل، وشواهدَ لتلك الآثار.

المطلب الأول: بيان المعنى:

الفرع الأول: الإظهار: قوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك: 9].

موضع الشاهد: (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق النفي (إِنْ) والاستثناء (إِلَّا)، والاستثناء في قوله: (إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ) استثناء من صفات أو أحوال محذوفة، والتقدير: (إِنْ أنتم في حالة من الحالات إِلَّا في حالة ضلال كبير) هذا من حيث المعنى، وأمَّا من حيث اللفظ فهو استثناء من الأخبار الصالحة للمبتدأ.

المقصور: المبتدأ (أَنْتُمْ)، وهو الموصوف.

وفي جملة (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ) وجهان؛ الوجه الأوَّل: أن تكون من قول الكفَّار وخطابهم للمنذِرين[1]، والوجه الثاني: أن تكون من كلام خزنة جهنّم للكفَّار[2]. والمقصور على الوجه الأوَّل هو معشر الرسل، وأمَّا على الوجه الثاني فيكون الكفَّار، ولعلَّ الوجه الأوَّل هو الصواب؛ لأنَّه الظاهر، ويقوِّي أبو حيَّان هذا الوجه، فقد رأى أنَّ القائل في حيرة عظيمة، فقد أنكر أوَّلًا أنَّ الله نزَّل شيئًا، واستجهل ثانيًا مَن أخبر بأنَّه تعالى أرسل إليهم الرسل[3].

---

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 510)، و**الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 578)، و**مفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 587)، و**أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 229)، و**البحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 224)، و**إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 5)، و**روح المعاني، الآلوسي** (15/ 12).

(2) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 26).

(3) انظر: **البحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 224).

المقصور عليه: (فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ)، خبر ونعت يحملان صفة تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الضياع والبعد عن الحقّ؛ أي: إنَّ المقصور عليه هو صفة البعد عن الحقّ.

المقصور عنه: كلّ الصفات ما عدا صفة البعد عن الحقّ.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ إذا عُدَّ موضع الشاهد من قول الكفَّار للمنذِرين فقد قُصِر معشر الرسل على صفة البعد عن الحقّ، وأمَّا إذا عُدَّ الشاهد من كلام الخزنة للكفَّار فقد قُصر الكفَّار على تلك الصفة.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ الصفات ما عدا صفة البعد عن الحقّ، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي عاقبة الكفَّار المكذِّبين للبعث والنشور.

- باعتبار حال المخاطَب:

– حسب الوجه الأوَّل لقائل الشاهد يكون الخطاب للرسل الذين جاءوا نُذُرًا إلى الكفَّار، والقصر قصر إفراد؛ وذلك لنفي شركة الصفات الأخرى لِصفة البعد عن الحقّ كصفة الهداية مثلًا، وهذا يتوافق مع ما ذهب إليه بعض المفسّرين في تفسير الشاهد[1].

– وأمَّا على الوجه الثاني فالخطاب للكفَّار، والقصر قصر قَلْب؛ فقد قُلِب وعُكِس عليهم اعتقادهم، فما الحال التي هم عليها إلَّا ضلال وليس هدى، وهذا يتوافق مع ما ذهب إليه ابن عاشور في تفسيره[2].

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد قولان؛ أحدهما: ما أنتم في ادّعاء تنزيل الله لآياتٍ تُنذرونَنا بما فيها إلَّا في

(1) انظر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 229)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 224)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 5)، **وروح المعاني، محمود الآلوسي** (15/ 12).

(2) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 26). **وابن عاشور** هو محمَّد الطاهر بن محمَّد الشاذليُّ بن عبد القادر بن محمَّد بن عاشور، تُوُفِّيَ بتونس سنة 1284 هـ، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وأحد كبار علمائها، مفسر، لغوي، نحوي، أديب، له كتب عِدّة؛ منها: (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، و(شفاء القلب الجريح) في شرح البردة، و(هدية الأريب) في النحو، وغيرها. انظر: **الأعلام، خير الدين الزركلي** (173/6)، **ومعجم المفسرين، عادل نويهض** (2/ 542).

ضلال كبير[1]، والشاهد عند أصحاب هذا التفسير من قول الكفَّار للرسل، والقول الآخر: ما حالكم التي أنتم متلبّسون بها إلَّا الضلال، وليس الهدى كما تدّعون[2]، والشاهد عند أصحاب هذا التفسير من كلام الخزنة للكفَّار، ولعلَّ القول الأوَّل هو الصواب؛ لأنَّه الظاهر، فَمَوضع الشاهد تتمة لإجابة الكفَّار عن سؤال خزنة جهنم.

واختلف المفسّرون في المراد من قوله تعالى: (ضَلَالٍ) على أقوال؛ الأوَّل: ما كانوا عليه من الضلال في الدنيا، والثاني: عقاب ضلالهم، والثالث: هلاكهم[3]، والرابع: البعد عن الحقّ[4]، ولعلّ القول الأخير هو الصواب؛ فهو القول المناسب للظاهر، وأمَّا الأقوال الأخرى فهي خلاف الظاهر.

وقد جاء القصر بالنفي والاستثناء في هذه الآية المكيّة مُظهِرًا مبالغة الكفَّار في تكذيب رسل الله الصادقين، وتماديهم في نسبة رسلهم إلى الضلال[5]، فَكَان هذا الطريق من القصر مناسبًا لِإظهار مقدار وقاحة الكفّار وجحودهم، ولا يبدو هذا الأثر في حال عدم استعمال هذا الأسلوب كما في الجملة: (أنتم في ضلال كبير)، وَمِن البلاغة قوله تعالى: (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ)، وكأنَّه قيل: (ليس كما قلتم بل أنتم في ضلال كبير).

الفرع الثاني: الإعلام والتنبيه: قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: 30].

موضع الشاهد: (مَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ).

(1) انظر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 229)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 224)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 5)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 12).

(2) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 26).

(3) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 578)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 587، 588)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 224).

(4) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 510)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 229)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 5)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 12)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 26).

(5) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 5).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق النفي (ما) والاستثناء (إِلَّا)، والاستثناء في (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) استثناء من صفات أو أحوال محذوفة، والتقدير: (ما تحصل مشيئتكم في حالة من الحالات إلَّا في حالة حصول مشيئة الله)[1]، هذا من حيث المعنى، وأمَّا من حيث اللفظ فهو استثناء من عموم المفاعيل.

المقصور: مشيئة العباد؛ أي: اختيار المكلَّفين مِنْهم، وهو الموصوف.

المقصور عليه: (أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)، وهي جملة فعليّة تحمل صفة تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة حصول مشيئته التي ارتضاها لهم؛ أي: إنَّ المقصور عليه هو صفة حصول المشيئة الإلهية.

المقصور عنه: الصفات الأخرى غير صفة حصول المشيئة الإلهية.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فقد قُصِرت مشيئة العباد على حصول المشيئة الإلهية.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ تحقيقيّ؛ فالله هو خالق القوانين والأسباب والأدوات المتاحة للناس لِتنفيذ إرادتهم، وليس هناك وسيلة للخروج عليها أو بديل للاستعاضة عنها، وكذلك كلّ فعل يقع منهم يكون مرجعه إلى الله وبإذنه ومشيئته.

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد ثلاثة أقوال؛ الأوَّل: ما تشاؤون اتخاذ السبيل إلَّا أنْ يشاء الله ذلك لكم[2]، والثاني: ما تشاؤون الطاعة إلَّا أَنْ يشاء الله قسركم عليها[3]، والثالث: لا تحصل مشيئتكم إلَّا بمشيئة الله

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 413).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 119)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 273)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (76/9)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 184).

(3) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 676).

لِمشيئتكم[1]، ويبدو أنَّ القول الأخير هو الراجح؛ إذ إنَّ الحكم الوارد في الشاهد عامّ[2]، وأمَّا القول بأنَّ الشاهد مخصوص بِمشيئة القهر والإلجاء فهو مخالف لِظاهر النصّ بلا دليل[3].

وقد استُعمِل القصر بالنفي والاستثناء في الشاهد للحديث عن أمر لا يتصوَّر فيه إنكار المخاطَب؛ لِجَعله يقينًا لا شكّ فيه، فجاء القصر إعلامًا وتنبيهًا للناس إلى أنَّ مشيئتهم المتعلِّقة بالأفعال غير كافية فَهُم مفتقرون إلى الله تعالى، ولا قدرة لهم على ما لم يُقدِّره عزّ وجلّ؛ وذلك لِيراعوا هذا المعنى في أنفسهم[4]، وهو ما يُعبَّر عنه بِالكسب عند الأشعري[5]، فلا دخل لمشيئة العبد إلَّا في الكسب وإنّما الخلق والتأثير لمشيئة الله عزّ وجلّ. ولا يظهر هذا المعنى في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (تشاؤون بمشيئة الله)؛ إذ إنَّها لا تدلّ على نفي مشيئتهم بمشيئة غيره سبحانه.

الفرع الثالث: الإثبات: قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: 46].

موضع الشاهد: (لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق النفي (لَمْ) والاستثناء (إِلَّا)، والاستثناء في (إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا) في المعنى واللفظ استثناء من عموم الظروف، والتقدير: (لم يلبثوا مدَّةً إلَّا عشية أو ضحاها).

المقصور: البقاء في الدنيا أو في القبر، وهو الموصوف.

المقصور عليه: (عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا)، مفعول فيه ومعطوف بحرف عطف، يحملان صفة تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة قِصَر مدّة البقاء؛ أي: إنَّ المقصور عليه هو قِصَر المدّة.

المقصور عنه: كلّ الصفات ما عدا صفة قِصَر المدّة.

---

(1) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 762)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 370)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 184)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 413).

(2) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 762).

(3) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (15/ 184).

(4) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 413).

(5) **الأشعري** هو علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن الأشعري، وُلِد سنة 260 هـ، وتُوفِّيَ سنة 324هـ، إمام الأشعريّة، كان معتزليًا بادئ الأمر ثمّ خلع عباءة الاعتزال وأخذ ينافح عن عقائد أهل السنَّة، ومن مؤلفاته: (الإبانة عن أصول الديانة)، و(مقالات الإسلاميين)، وغيرها. انظر: **سير أعلام النبلاء، الذهبي** (15/85-90)، **والأعلام، خير الدين الزركلي** (4/ 263).

نوع القصر:

■ باعتبار المقصور والمقصور عليه: قَصْر موصوف على صفة؛ فقد قُصِر البقاء في الدنيا أو في القبر على صفة قِصَر المدّة.

■ باعتبار الحقيقة والواقع: قَصْر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ الصفات ما عدا صفة قِصَر المدّة، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي قيام الساعة وأهوالها.

■ باعتبار حال المخاطَب: قَصْر إفراد؛ ردًّا لِاستبطاء المشركين وقوع الساعة الذي يرمون به إلى تكذيب حلولها، وهو ما تضمّنه قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ [النازعات: 42]، فجاء الجواب بأنّها واقعة لا محالة، وكأنّهم يوم وقوعها ما لبثوا منتظرين إلَّا تلك المدّة اليسيرة[1].

أثر القصر في التفسير:

ذهب المفسّرون إلى أنَّ معنى الشاهد: كأنَّ هؤلاء المشركين حين يرون الساعة وقد فاجأتهم بأهوالها، لم يلبثوا إلَّا بمقدار عشية أو ضحاها[2]، ولكنهم اختلفوا في المراد من قوله تعالى: (يَلْبَثُوا) على قولين؛ الأوَّل: المكث في الدنيا[3]، والثاني: المكث في القبور[4]، ولعلَّ القول الأوَّل هو الراجح؛ إذ يناسب السِّبَاق، فقد قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ ﴾ [النازعات: 34- 38]. وأمَّا قوله تعالى: (عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا) فللمفسّرين فيه أربعة

(1) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 106)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 238)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 98).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 214)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 699)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (31/ 51)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 285)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 403)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 106)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 238)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 98).

(3) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 214)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 699)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (31/ 51)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 285)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 403)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 106)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 239).

(4) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 699)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 285)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 239).

أقوال؛ الأوَّل: "آخر يوم أو أوّله"[1]، والثاني: ساعة من يوم[2]، والثالث: "بعض يوم"[3]، والرابع: وقتًا قليلًا[4]، ومع أنَّ موضع الشاهد كقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ ﴾ [يونس: 45]، وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ﴾[الأحقاف: 35]، إلَّا أنَّ مآل هذه الأقوال واحد، إذ يراد من التشبيه المستفاد من (كَأَنَّهُمْ) تقريبُ معنى المشبه من المتعارف؛ أي: للتعبير بكلمة (عَشِيَّةً) عن مدّة يسيرة من زمان طويل، وقوله: (أَوْ ضُحَاهَا) تخيير في التشبيه على نحو قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة: 19]، وفي هذا العطف زيادة في تقليل المدة؛ لِأنَّ حصة الضحى أقصر من حصة العشية[5].

وقد أُوثِر استعمال النفي والاستثناء في الشاهد للتعبير عن أمر ينكره المخاطَبون ويشكّون فيه، وهو البعث والساعة، وجاء القصر بهذا الطريق إثباتًا لِقِصَر المقام في الحياة الدنيا إذا ما قورن بِهول يوم القيامة[6]؛ فَكَان استعماله مُسَاعدًا في إدراك حقيقة أنَّ الحياة الدنيا قصيرة منقضية، ولا يظهر هذا المعنى في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (يلبثوا عشية أو ضحاها)؛ فهي لا تدلّ على نفي مكثهم غير تلك المدَّة.

المطلب الثاني: تعزيز المعنى:

الفرع الأول: التأكيد: قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [النجم: 29].

موضع الشاهد: (لَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا).

---

(1) **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 214). وانظر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 285)، و**البحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 403).

(2) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 699)، و**مفاتيح الغيب، الرازيّ** (31/ 51)، و**إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 106).

(3) **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 98).

(4) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (15/ 238).

(5) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 98).

(6) انظر: **البحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 403).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق النفي (لَمْ) والاستثناء (إلَّا)، والاستثناء في (إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) في المعنى واللفظ استثناء من عموم المفاعيل، والتقدير: (لم يُرِدْ شيئًا إلَّا الحياة الدنيا).

المقصور: إرادة المشركين، وهو الموصوف.

المقصور عليه: (الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)، مفعول به ونعته، يحملان صفة تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الزوال؛ أي: إنَّ المقصور عليه هو صفة الزوال.

المقصور عنه: كلّ الصفات ما عدا صفة الزوال كصفة الخلود.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فقد قُصِرت إرادة المشركين على الحياة الدنيا أي على صفة الزوال.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ الصفات ما عدا صفة الزوال، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، فسورة النجم تدور حول موضوع الرسالة في إطارها العامّ، وعن موضوع الإيمان بالبعث والنشور[1].

- باعتبار حال المخاطَب: القصر قصر إفراد، وذلك لِنفي شركة الآخرة للحياة الدنيا في إرادة المشركين في عموم أحوالهم؛ أي: إنَّهم لم يثبتوا وراء الحياة الدنيا شيئًا آخر يعملون له.

أثر القصر في التفسير:

ذهب المفسّرون إلى أنَّ المعنى: فدعْ يا محمَّد مَن استنكف عن الإيمان والقرآن، وانهمك في الدنيا بِأنْ كانت هي منتهى همته وقصارى سعيه[2]، وفي الآية إشارة إلى إنكارهم البعث والنشور وعدم إيمانهم بالحياة

(1) انظر: **صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني** (3/ 256).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (22/ 530)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 424)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (28/ 260)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 160)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 19)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 160)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 59)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 116).

الآخرة، ويؤيد هذا قولهم: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا﴾ [المؤمنون: 37][1]، ولو آمنوا بها على حقيقتها لأرادوها، وهذا ما يؤكّده السياق، فقد قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [النجم: 30][2].

ومع أنَّ الخطاب في الشاهد للرسول صلَّى الله عليه وسلَّم-الذي ملأ الإيمان قلبه، وعرف أنَّ الحياة الحقيقيّة تكون بعد الموت، وأمَّا الدنيا فهي الفانية- كان القصر بالنفي والاستثناء لِيُناسب الحديث عن مطلب منكِري البعث؛ لأنَّ الموقف يحتاج إلى الشدّة والحسم.

وجاء القصر بالنفي والاستثناء تأكيدًا على عناد المشركين وإصرارهم على الباطل؛ فقد آثروا الدنيا بما فيها من نعيم زائل ومتعة فانية على الآخرة وما عند الله من نعيم دائم، ولا يظهر هذا المعنى في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (يريد الحياة الدنيا)؛ إذ لا تدلّ على نفي إرادة غيرها، فهي مُجرَّد إخبار عن إرادتهم لِشيء ما، ولا تتعدَّى إلى الكشف عمَّا يندسّ وراءه من اعتقاد فاسد.

واستعمال أسلوب القصر بالنفي والاستثناء يجعل المخاطَب يتوجَّه نحو نتيجة واحدة دون النظر إلى احتمالات أخرى، ممَّا يُضمِّن الجملة بعدًا حِجاجيًا ينافح عن اعتقادهم الباطل[3]، ويمكن استنباط صورة الاستدلال المنطقي كالآتي: تولَّى عن الذكر، فأعرض النبيّ عليه الصلاة والسلام عنه، إذن لم يُرد إلَّا الحياة الدنيا.

الفرع الثاني: التعليل: قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].

موضع الشاهد: (مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق النفي (ما) والاستثناء (إِلَّا)، والاستثناء في (إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) استثناء من علل محذوفة عامّة على طريقة الاستثناء المفرَّغ، واللام في (لِيَعْبُدُونِ) لام العلَّة، والتقدير: (ما

(1) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (28/ 260).

(2) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 118). **السياق** هو مجرى الكلام وتسلسله واتّصال بعضه ببعض. انظر: **حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع** (30/1)، **والجملة العربية والمعنى، فاضل السامرائي** (ص 63).

(3) **الحِجاج**: عرَّف بيرلمان Perelman (المتوفى 1404هـ) وتيتكاه Tyteca (المتوفى 1407هـ) علم الحِجاج بأنَّه دراسة تقنيات الخطاب التي تؤدي بالذهن إلى التسليم بما يُعرَض عليه من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم. انظر: **الحجاج في القرآن، عبد الله صولة** (ص 27).

خلقتهم لِعلّة إلَّا علّة عبادتهم إيّاي)[1] هذا من حيث المعنى، وأمَّا من حيث اللفظ فهو استثناء من عموم المفاعيل.

المقصور: علَّة خلق الله الإنس والجنّ، وهو الموصوف.

المقصور عليه: (لِيَعْبُدُونِ)، وهي جملة فعلية تحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة العبودية لله الواحد الأحد.

المقصور عنه: علل عامّة ما عدا العبودية مثل طلب الرزق والإطعام.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فقد قُصِرت علّة خلق الله للإنس والجنّ على صفة العبودية[2]، ولا تخرج عبادة الإنسان لِربه عن كَونها محقّقة للمقصد من خلقه وعلّة لِحصوله عادة[3].

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ[4] وليس قصرًا حقيقيًّا؛ فَحِكَم الله تعالى من أفعاله كثيرة لا يُحاط بها، وذِكْر بعضها لا يقتضي عدم وجود حكمة أخرى، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: 118، 119][5]، والمقصور عنه هو علل عامّة ما عدا العبادة كطلب الرزق والإطعام، ولكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي موقف الأمم الطاغية من أنبيائهم وما حلَّ بهم من العذاب والدمار.

- باعتبار حال المخاطَب: وباعتبار مفعول (لِيَعْبُدُونِ) فإنَّ القصر قصر قلب، والتقدير: (إلَّا ليعبدوني وحدي)؛ أي: لا لِيشركوا غيري في العبادة، فهو ردّ للإشراك[6].

---

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 25).

(2) انظر: **المصدر نفسه** (27/ 26).

(3) انظر: **المصدر نفسه** (27/ 27).

(4) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (14/ 22)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 26).

(5) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 27).

(6) انظر: **المصدر نفسه** (27/ 26).

أثر القصر في التفسير:

اختلف المفسّرون في معنى الآية على أقوال؛ الأوَّل: وما خلقت الجنّ والإنس الطائعين إلَّا لِعبادتي[1]، والثاني: ما خلقت الجنّ والإنس إلَّا لِعبادتي، والتذلّل لأمري[2]، فعلى هذا القول الجنّ والإنس عامّ، ويؤيد هذا المعنى ظاهر اللفظ، والثالث: ما أرضى لِوجودهم إلَّا أنْ يُقرّوا لي بالتفرّد بالألوهية[3]، ولعلَّ القول الأخير هو الصواب؛ لأنَّ السياق يدلُّ عليه فقد قال تعالى: ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴾ [الذاريات: 57] كناية عن عدم الاحتياج إليهم، وهذا القول يغني عن القولين الآخرين في تفسير الآية ويردّهما؛ إذ كثير من الإنس غير عابد بِدليل المشاهدة هذا من جهة، وقد حكى الله عن بعض الجنّ أنَّهم غير عابدين[4] من جهة أخرى.

وبعد أنْ بيَّن الله تعالى لرسوله صلَّى الله عليه وسلَّم حال الأنبياء السابقين من التكذيب، جاء القصر بالنفي والاستثناء في هذه الآية تعليلًا وتأكيدًا على أنَّ خَلْق الجنّ والإنس كان للإذعان لله بالعبودية دون غيره[5]، فَيَعلم المطيع من العاصي، وبذلك يكون القصر قد عزّز المعنى.

ولا يبدو أثر التعليل جليًّا لو ورد الشاهد مُجرَّدًا من القصر كما في الجملة: (خلقتُ الجنَّ والإنس لِيعبدون)؛ فهي لا تدلّ على نفي خلقهم لِعِلّة أخرى، ولكن بِدخول القصر تقلّصت الاحتمالات الممكنة للجملة، وجُعِلت النتيجة واحدة، ويكون الاستدلال المنطقي كالآتي: يجب تذكير الخلق بالخالق، ولكن لا يراد منهم رزقًا ولا طعامًا، إذن خَلْقهم بغية عبادة الله تعالى، ممَّا يوجب عليهم التذكّر والعبادة.

---

(1) انظر: **البحر المحيط، أبو حيَّان** (9/ 561).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (22/ 445)، و**الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 406)، و**مفاتيح الغيب، الرازيّ** (28/ 192)، و**أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 151)، و**البحر المحيط، أبو حيَّان** (9/ 561)، و**إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 144)، و**روح المعاني، الآلوسي** (14/ 20).

(3) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 25).

(4) انظر: **المصدر نفسه** (27/ 26، 28). **الكناية**: "أن يُريد المتكلِّمُ إثباتَ معنًى من المعاني، فلا يذكُرُه باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكنْ يَجيءُ إلى معنى هو تاليهِ وردِْفُه في الوجود، فيومئ به إليهِ، ويجعلهُ دليلاً عليه". **دلائل الإعجاز، الجرجانيّ** (ص 66).

(5) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 144).

المطلب الثالث: إضافة معنى جديد:

الفرع الأول: التأييس: قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ [الرحمن: 33].

موضع الشاهد: (لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق النفي (لا) والاستثناء (إلَّا)، والاستثناء في قوله: (إِلَّا بِسُلْطَانٍ) في المعنى واللفظ استثناء من صفات أو أحوال محذوفة، والتقدير: (لا تنفذون في حالة من الحالات إلَّا في حالة لديكم قدرة عظيمة).

المقصور: نفوذ الجنّ والإنس، وهو الموصوف.

المقصور عليه: (بِسُلْطَانٍ)، جار ومجرور يحملان صفة تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة القدرة العظيمة.

المقصور عنه: الأحوال أو الصفات الأخرى للجنّ والإنس.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فقد قُصِر نفوذ الجنّ والإنس على صفة القدرة العظيمة.
- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ مجازيّ؛ فالمقصور عنه هو الأحوال الأخرى للجنّ والإنس التي يقدر فيها أحد منهم على الخروج بأمر الله وإرادته.

أثر القصر في التفسير:

هناك قولان في تفسير الآية؛ أوَّلهما: يا معشر الجنّ والإنس إنْ قدرتم أنْ تخرجوا من جوانب السماوات والأرض هاربين من قضاء الله فاخرجوا، لا تقدرون على الخروج إلَّا بقوّة وقهر، وأنَّى لكم ذلك[1]،

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 42)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 448، 449)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 361، 362)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 173)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 64)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 181)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 111)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 259).

وثانيهما: يا معشر الجنّ والإنس إن قدرتم أن تعلموا ما في السماوات والأرض فاعلموا، لكنْ لا تعلمون إلَّا ببيّنة[1]، ولعلّ القول الأوَّل هو الصواب؛ لأنَّه الأنسب للمقام، فالمقام هنا مقام تهديدٍ ووعيد، كما أنَّ سياق الآية السابق واللاحق يردُّ القول الثاني، والظاهر يدلُّ على أنَّ الآية سيقت لِبيان أهوال الآخرة وشدائدها، بدليل قوله تعالى قبلها: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾[الرحمن: 31]، وقوله بعدها: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ [الرحمن: 35]، فناسب ذلك استعمال النفي والاستثناء للقصر في الشاهد.

وقد أفاد النفي والاستثناء قَصْر النفوذ على امتلاك السلطان، وَلَمَّا كان لا يملك السلطانَ إلَّا اللهُ أضاف هذا القصر معنى آخر للشاهد وهو تعجيز الجنّ والإنس وتأييسهم من ذلك النفوذ؛ إذ لا قدرة لهم على الخلاص من جزاء الله وعقابه، فَهُم في قبضته، ولا مهرب ولا مخرج لهم[2]، ولا يبدو هذا المعنى واضحًا في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (تنفذون بسلطان)؛ فهي لا تدلّ على نفي نفاذهم بِغير تلك الصفة.

الفرع الثاني: التهكم والاستهزاء: قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾ [المدثر: 24].

موضع الشاهد: (إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق النفي (إِنْ) والاستثناء (إلَّا)، والاستثناء في قوله: (إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ) استثناء من صفات أو أحوال محذوفة، والتقدير: (ما الذي يقوله محمَّد في حالة من الحالات إلَّا في حالة كونه سحر ينقله ويرويه عن السحرة) هذا من حيث المعنى، وأمَّا من حيث اللفظ فهو استثناء من أخبار متوهَّمة للمبتدأ كلّها منفية إلَّا هذا الخبر وهو السحر.

المقصور: المبتدأ (هَذَا)؛ أي: ما يقوله رسولنا صلَّى الله عليه وسلَّم، والمقصود هنا القرآن الكريم، وهو الموصوف.

المقصور عليه: (سِحْرٌ يُؤْثَرُ)، خبر ونعته، يحملان صفة تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة البعد عن الحقّ؛ أي: إنَّه باطل.

المقصور عنه: كلّ الصفات ما عدا صفة البعد عن الحقّ.

---

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 43، 44)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 362)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 173)، **والبحر المحيط، أبو حيّان** (10/ 64).

(2) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 258، 259).

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فقد قُصِر القرآن الكريم على صفة البعد عن الحقّ.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ الصفات ما عدا صفة البعد عن الحقّ، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي قصة الوليد بن المغيرة الذي سمع القرآن وعرف أنَّه كلام الله، لكنَّه استكبر عن الإيمان، وزعم أنَّه من قبيل السحر الذي تعارفه الناس[1].

- باعتبار حال المخاطَب: الخطاب للرسول صلَّى الله عليه وسلَّم، ولا يعقل في هذا القصر مراعاة حال المخاطَب بل حال المتكلِّم وإحساسه بالمعنى المتقرِّر في نفسه؛ لأنَّ الرسول مقرٌّ بأنَّ القرآن كلام الله، في حين أنكر الكفَّار كَونه رسولًا، واتَّهموه بالسحر.

والقصر قصر تعيين؛ إذ جالت في نفس ذلك المشرك أقوال كثيرة، فقال: ما هو بكلام شاعر، ولا بكلام كاهن، ولا بكلام مجنون[2].

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد قولان؛ أحدهما: ما هذا الذي يقوله محمَّد إلَّا سحر يرويه عن الأقدمين[3]، والآخر: ما يقوله محمَّد شبيه بالسحر ينقله عن غيره[4]، ولعلّ القول الأوّل هو الراجح؛ فقوله تعالى: (فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ) "إنّما ذكره بفاء التعقيب لِيعلم أنَّه لمَّا ولّى واستكبر ذَكَر هذه الشبهة"[5].

(1) انظر: **أسباب نزول القرآن، الواحدي** (ص 447). **والوليد بن المغيرة** هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي، قُتِل كافرًا يوم بدر في السنة الثانية من الهجرة، كان يكنَّى أبو الحكم فكنَّاه النبي -عليه السلام- أبا جهل فغلب عليه، وكان أشد الناس عداوة للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم في صدر الإسلام، وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية. انظر: **سلم الوصول إلى طبقات الفحول، حاجي خليفة** (4/ 127)، **والأعلام، خير الدين الزركلي** (5/ 87).

(2) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 310).

(3) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 649)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 138)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 310).

(4) انظر: **البحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 331).

(5) **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 707).

ونتيجةً لِاستعمال أسلوب القصر في هذه الآية المكيّة فقد أفاد أكثر من معنى؛ المعنى الأوّل: القرآن هو سحر لا غير –وهو معنى القصر– المعنى الثاني: السخرية والاستهزاء من القرآن الكريم، والإيحاء بأنَّه بِمنأى عن الحقّ[1]، وبذلك استطاع القصر بالنفي والاستثناء التعبير عن إنكار مَن نزلت الآيات فيه واستكباره عن الإيمان، ولا تظهر هذه المعاني عندما يقال: (هذا سحر يؤثر)، وَمِن البلاغة قوله تعالى: (إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ)، فكأنَّه قيل: (ما هو كما يقول بل هو سحر يؤثر).

الفرع الثالث: الإنكار والإبطال: قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن: 26، 27].

موضع الشاهد: (فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ).

المقصور به: والقصر في الآية عن طريق النفي (لَا) والاستثناء (إِلَّا)، والاستثناء متَّصل من عموم المفاعيل (أَحَدًا) في المعنى واللفظ؛ إذ جاء نكرة في سياق النفي فأفاد العموم، والتقدير: (لا يُظهِر الله على غيبه أحدًا إلَّا رسولًا ارتضاه)[2].

المقصور: (فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا)، وهي جملة فعلية تحمل صفة تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الاطّلاع على الغيب؛ فقد عُدّي الفعل (يُظْهِرُ) –وهو من الظهور أي المشاهدة– بحرف الجر (على) لِتضمينه معنى: يُطْلِع[3].

المقصور عليه: (مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ)، والمقصود إلَّا الرسل الذين ارتضاهم؛ إذ إنَّ (مِنْ) بيان لإبهام مَنِ الموصولة، فَدَلَّت على ما صدق من جماعة من الرسل[4].

---

(1) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (15/ 138).

(2) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 248).

(3) انظر: **المصدر نفسه. والتضمين** هو "إشراب اللفظ معنى لفظ آخر وإعطاؤه حكمه لتصير الكلمة تؤدي مؤدى كلمتين؛ نحو: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ [النور: 63] أي: يخرجون، ... ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾[الأحقاف: 15] أي: بارك لي". **شرح الأشموني لألفيَّة ابن مالك** (446/1).

(4) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 632)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 678)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 254)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 304)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 47)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 249).

واختلف المفسّرون في المراد من قوله: (مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) على قولين؛ الأوَّل: الرسل من بين المرتضين؛ أي: الرسل المرتضين من البشر[1]، والثاني: يشمل (رَسُول) كلَّ مرسل من الله تعالى؛ أي: يشمل الملائكة المرسلين إلى الرسل لإبلاغهم الوحي، كما يشمل الرسل من البشر المرسلين إلى الناس لإبلاغ أمر الله تعالى[2]، ولعلَّ القول الأوّل هو الراجح؛ لأنّ الرسول في الآية الكريمة ظاهر في الرسول البشري لِقوله تعالى: (فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا)، وذلك ليس إلَّا فيه.

المقصور عنه: كلّ الكائنات ما عدا الرسل المختارين.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة الاطّلاع على الغيب على الرسل الذين اصطفاهم الله.
- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ تحقيقيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ الكائنات ما عدا الرسل المختارين؛ فيُظهِرهم على ما شاء من الغيب المختصّ عِلْمه به سبحانه وتعالى.

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد ثلاثة أقوال؛ الأوَّل: لا يُطلِع الله على غيبه -وهو وقت قيام القيامة- أحدًا، لكنْ مَن ارتضى من رسول الله فإنَّه يسلك من بين يديه ومن خلفه حفظة يحفظونه من شرّ الشياطين[3]، والثاني: لا يُطلِع الله على جميع غَيْبِهِ المختصّ به علمه أحدًا، لكن المرتضى الذي يكون رسولًا يُعلِمه بعض الغيوب[4]، والثالث: لا يُطلِع الله أحدًا على شيء من الغيب إلَّا الرسل المرتضين، فيُظهِرهم على بعضه[5]، ولعلَّ القول الأخير المفيد للقصر هو الراجح؛ إذ إنَّ الله تعالى لا يُطلِع إلَّا رسلَه المرتضين على بعض الغيب

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 671)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 632، 633)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 679)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 254)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 304، 305)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 47)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 108).

(2) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 249).

(3) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 679).

(4) انظر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 254)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 108).

(5) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 671)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 632)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 304، 305)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 47)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 247- 249).

ممَّا تقتضيه الحكمة التشريعية التي عليها يدور فلك الرسالة، وأمَّا الْمُخِلُّ بها كبيان وقت قيام الساعة فلا يُطلِع عليه أحدًا.

وقد اختلف المفسّرون في دلالة الآية على اطّلاع بعضهم على بعض الوقائع المستقبلية، أي: بعض الغيب، على قولين؛ أوَّلهما: في الآية إبطال للكرامات؛ لأنَّ مَن تُنسَب إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين لكنهم ليسوا برسل، وفيها أيضًا إبطال الكهانة والتنجيم؛ لأنَّ أصحابهما ليسوا بمرتضين بل مسخوط عليهم[1]، وثانيهما: لا دلالة في الآية على نفي كرامات الأولياء[2]، ولا إبطال الكهانة والتنجيم[3].

وقد يكون الشاهد غير دالّ على نفي كرامات الأولياء، ولكن يجب التمييز بين حال الرسول وحال الولي؛ فإخبار الرسول بِشيء من الغيب معجزة له، ويكون جازمًا في هذا الإخبار، وأمَّا الولي إذا أخبر بشيء فظهر يكون إخباره مبنيًّا على رؤياه أو فراسته، وهو غير جازم عليه[4].

واستدلّ مَن جَوَّز الكرامات بِما ورد في السنة الشريفة من آثار؛ ومنها ما روي من قول النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم: «قدْ كانَ يكونُ في الأُممِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثونَ، فَإِنْ يَكُنْ في أُمَّتِي مِنْهُمْ أحدٌ، فَإِنَّ عُمرَ بْنَ الخطَّابِ مِنْهُمْ». وأمَّا مَن لم يجعل الآية دالَّة على منع الدلائل النجومية فقد استمد ذلك من الحوادث والمشاهدات؛ فمثلًا نُقِلت أخبار قريبة من التواتر أنَّ كاهنين كانا يخبران بظهور نبينا محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم قبل زمان ظهوره، وهذه المشاهدات والحوادث غير مختصّة بالأولياء، بل قد تكون من السحرة[5]، ويمكن ردّ هذا القول بأنَّ ما يذكرونه منقول عن الرسل السابقين[6].

---

(1) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 632، 633)، و**البحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 304، 305).

(2) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 678، 679)، و**أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 254)، و**إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 47)، و**روح المعاني، الآلوسي** (15/ 108)، و**التحرير والتنوير، ابن عاشور** (9/ 248).

(3) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 678، 679).

(4) انظر: **مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي** (3/ 554).

(5) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 679). تخريج الحديث: **صحيح البخاريّ**: كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار (4/ 174)، رقم الحديث (3469). و**صحيح مسلم**: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه (4/ 1864)، رقم الحديث (2398)، واللفظ له. قال ابن وهب: تفسير مُحَدَّثُونَ: مُلْهَمُونَ. والراوي: أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(6) انظر: **مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي** (3/ 554).

وَلَمَّا كان الموقف يحتاج إلى حسم استُعمِل النفي والاستثناء للقصر في الشاهد، فَعِلْم الغيب مقتصرٌ على الله إلَّا ما يُطْلِع عليه رسله المرتضين في حدود ما يعينهم على تبليغ رسالاتهم، وَلِأنَّ هؤلاء الرسل يحاطون بِمَن يحفظهم ممَّا يعترض البشر من الضعف والنقص حتّى تمام التبليغ -كما جاء في اللِّحَاق- فقد أضاف هذا القصر معنى آخر هو إبطال الكهانة والتنجيم[1]؛ فَظاهر هذه الآية دالّ على نفيها، ولا يبدو هذا المعنى واضحًا في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (يُظهِر على غيبه مَن ارتضى مِنْ رسول)؛ فهي لا تدلّ على نفي الاطّلاع على الغيب لِغير مَن تلك صفته.

الفرع الرابع: الإكرام والإعلاء: قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [القلم: 52].

موضع الشاهد: (مَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق النفي (ما) والاستثناء (إلَّا)، والاستثناء في قوله: (إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) استثناء من صفات أو أحوال محذوفة، والتقدير: (ما هو في حالة من الحالات إلَّا في حالة كونه ذِكْرًا للعالمين) هذا من حيث المعنى، وأمَّا من حيث اللفظ فهو استثناء من أخبار عامّة محذوفة، والتقدير: ما هو شيءٌ إلَّا ذِكْرٌ للعالمين.

المقصور: (هُوَ).

وقد اختلف المفسّرون في عود الضمير (هُوَ) على قولين؛ الأوَّل: رسولنا عليه الصلاة والسلام[2]، والثاني: القرآن الكريم[3]، ولعلَّ القول الثاني هو الراجح؛ فقولهم: ﴿إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾[القلم: 51] قالوه في سياق تكذيبهم بالقرآن، ثمّ قال تعالى بعده: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [القلم: 52]، أي: وما القرآن إلَّا ذِكْر وما الرسول إلَّا مُذكِّر، ويقوّي ما ذُهِب إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: 69]، و﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: 21].

وبناءً على ما تقدَّم يكون المقصور: القرآن الكريم، وهو الموصوف.

---

(1) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 632، 633)، و**البحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 304، 305).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 565).

(3) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 597)، و**مفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 619)، و**أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 238)، و**البحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 250)، و**إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 20)، و**روح المعاني، الآلوسي** (15/ 44)، و**التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 108).

المقصور عليه: (ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ)، وهذه العبارة تحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة التذكير؛ أي: إنَّ المقصور عليه هو صفة التذكير.

المقصور عنه: كلّ الصفات ما عدا صفة التذكير.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فقد قُصِر القرآن الكريم على صفة التذكير.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ الصفات ما عدا صفة التذكير، ولكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي إثبات نبوَّة سيدنا محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم.

- باعتبار حال المخاطَب: القصر قصر قَلْب؛ فقد عكست هذه الآية على الكفَّار اعتقادهم، فقولهم: ﴿إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾[القلم: 51] يُقصَد به أنَّ القرآن كلام مجنون، وما هذا القرآن المعجز إلَّا تذكير وعِظة لهم.

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين قولان في معنى الشاهد؛ أوَّلهما: ما محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم إلَّا ذِكْر ذَكَّر الله به العالمين[1]، وثانيهما: ما القرآن الكريم إلَّا موعظة وتذكرة للعالمين[2]، ولعلّ القول الثاني هو الراجح؛ فالقرآن كما أشرت سابقًا هو الذِكْر.

وقد أفاد النفي والاستثناء في الشاهد قصر ما يتلوه رسولنا -عليه الصلاة والسلام- على كونه ذِكرًا للعالمين، فأعطى بذلك الحكمَ الفصل وأنهى ادّعاء الكافرين وجحودهم، وقد نتج عن استعمال القصر لحسم جدالهم معنى آخر يضاف إلى معنى القصر وهو تعظيم القرآن الكريم؛ إذ إنَّ هدايته للعالمين[3]،

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 565).

(2) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 597)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 619)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 238)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 250)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 20)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 44)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 108).

(3) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (15/ 44).

فكيف يُدْعى مَن يتلوه مجنونًا! ولا يظهر هذا الأثر في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (هو ذِكْرٌ للعالمين)، فهذه الجملة خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب؛ أي: تحتمل كَونه ذِكْرًا وتحتمل عدمه.

الفرع الخامس: التكذيب: قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل: 17- 20].

موضع الشاهد: (الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى).

المقصور به: القصر في الشاهد عن طريق النفي (لا) والاستثناء (إلَّا)، والاستثناء متَّصل عن محذوف؛ والتقدير: (لا يؤتي ماله لِسبب من الأسباب إلَّا لِابتغاء وجه ربّه)[1]، فالاستثناء مفرَّغ من أعمّ العلل والأسباب، وقوله تعالى: (يُؤْتِي مالَهُ) مثبَت والاستثناء المفرَّغ مختصّ بالنفي عند الجمهور، لكنَّه لما عُقِّب بقوله: (وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى) كان المعنى متضمِّنًا نفي الرياء والسمعة دالًّا على التقدير المذكور[2].

المقصور: إيتاء الأموال في وجوه الخير، وهو الموصوف.

المقصور عليه: (ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى)، تحمل هذه العبارة صفة تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الإخلاص لله تعالى أو طلبًا لِرضاه عزّ وجلّ؛ أي: إنَّ المقصور عليه هو صفة الإخلاص لله تعالى.

المقصور عنه: كلّ الصفات ما عدا صفة الإخلاص لله تعالى.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة، فقد قُصِر إيتاء الأموال في وجوه الخير على صفة الإخلاص لله تعالى.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ الصفات ما عدا صفة الإخلاص لله تعالى، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي ذِكْر نموذج للمؤمن الصالح.

---

(1) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 764)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 318)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 494)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 168)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 371).

(2) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (15/ 371).

■ باعتبار حال المخاطَب: المخاطَبون هم كفَّار مكة، والقصر قصر تعيين ردًّا على مَن شكَّ وتردَّد في إعتاق سيدنا أبي بكر الصدّيق[1] رضي الله عنه للرقاب؛ إذ لم يلتمس منهم جزاء، وإنّما أراد به مرضاة الله تعالى.

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد قولان؛ أحدهما: ما لأحد عنده من جزاء على إيتائه المال لكنْ فعل ذلك ابتغاء وجه الله[2]، والآخر: لا يؤتي ماله لِسبب من الأسباب إلَّا ابتغاء لِوجه ربّه[3]، ولعلَّ القول الثاني المفيد للقصر هو الصواب؛ فقد نزلت الآيات في حقّ أبي بكر الصدّيق -رضي الله عنه- حين أعتق رقابًا في سبيل الله[4].

ومع أنَّ قوله تعالى: (وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى) يُراد به بعض مَن شمله عموم قوله: (الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى) إلَّا أنَّه من قبيل ذِكر بعض أفراد العامّ، وهو غير مخصّص لِلعموم[5]، وبذلك جاء القصر بالنفي والاستثناء تقريرًا لِكون إيتاء سيدنا أبي بكر الصدّيق للمال خالصًا لله تعالى لا لِغير ذلك، وتكذيبًا للمشركين الكارهين لإيتائه رضي الله عنه[6]، هذا من جهة، وتصريحًا بالمعيار الإسلامي لِقبول عمل العبد

(1) **أبو بكر الصدّيق** هو عبد الله بن أبي قُحَافَة التيمي القرشيّ، وُلِد في مكة سنة 51 ق هـ، وتُوفِّيَ في المدينة سنة 573 هـ، وكان من سادات قريش، وأول من آمن برسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الرجال، بويع بالخلافة يوم وفاة النبي سنة 11 هـ، فحارب المرتدين والممتنعين عن دفع الزكاة، دامت خلافته سنتين وثلاثة أشهر ونصف، وافتتحت خلالها بلاد الشام وقسم كبير من العراق، وكان موصوفًا بالحلم والرأفة بالعامَّة. انظر: **أسد الغابة، ابن الأثير** (3/ 310-331)، و**الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر** (4/ 144-150).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 480)، و**الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 764)، و**مفاتيح الغيب، الرازيّ** (31/ 188)، و**أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 318)، و**البحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 494)، و**إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 168)، و**روح المعاني، الآلوسي** (15/ 371)، و**التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 391).

(3) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 764)، و**أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 318)، و**البحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 494)، و**إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 168)، و**روح المعاني، الآلوسي** (15/ 371).

(4) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 479)، و**أسباب نزول القرآن، الواحدي** (ص 456)، و**مفاتيح الغيب، الرازيّ** (31/ 189)، و**أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 318)، و**إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 168)، و**روح المعاني، الآلوسي** (15/ 371)، و**التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 391).

(5) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 391).

(6) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (15/ 371).

وتشرّفه بالجزاء؛ إذ لا بدّ من كَونه خالصًا لِوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته من جهة أخرى، فاستعمال القصر أعطى جمالية للمعنى وجعل الشاهد يضمّ أكثر من معنى. ولا تظهر هذه الآثار في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (يؤتي ماله ابتغاء وجه ربّه)؛ إذ لا تدلّ على نفي إيتائه المال لِغير تلك الغاية، فقد يؤتيه رغبةً في جزاء، أو مخافة العذاب في الآخرة، أو غير ذلك من الغايات.

الفرع السادس: الترهيب: قوله تعالى: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المطففين: 12، 13].

موضع الشاهد: (وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق النفي (ما) والاستثناء (إلَّا)، والاستثناء في قوله: (إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) استثناء من صفات أو أحوال محذوفة، والتقدير: (ما يكذِّب به في حالة من الحالات إلَّا في حالة كونه معتديًا أثيمًا إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) هذا من حيث المعنى، وأمَّا من حيث اللفظ فهو استثناء من عموم الفاعلين.

المقصور: (يُكَذِّبُ بِهِ)، وهي جملة فعلية تحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة التكذيب بيوم الدين؛ أي: إنَّ المقصور هو صفة التكذيب بيوم الدين.

المقصور عليه: (كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)، وهناك قولان فيه: أوَّلهما: إنَّه الوليد بن المغيرة[1]، وثانيهما: إنَّه عامّ في حقّ جميع الموصوفين بهذه الصفات[2]، ولعلَّ المراد في الآية العموم؛ "لأنَّ كلمة كلّ معتد ظاهر في عدم التخصيص"[3]؛ أي: إنَّ المقصور عليه هو كلّ مَن اتَّصف بالأوصاف الثلاثة، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ المكلَّفين ما عدا مَن جَمَعَ الأوصاف المذكورة.

---

(1) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (31/ 88)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 428)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 127)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 279)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 198).

(2) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (31/ 88)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 127)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 279)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 198).

(3) **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 198).

نوع القصر:

■ باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة التكذيب بيوم الدين على المعتدين الآثمين الزاعمين القرآن أساطير الأولين[1].

■ باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ تحقيقيّ؛ إذْ لا يكذّب بيوم الدين إلَّا المشركون والوثنيون وأضرابهم مِمَّن جَمَع الأوصاف الثلاثة، فالذين يكذّبون به هُم مشركو العرب ومَن شابههم مثل الدهريين، فقد تحقَّقت فيهم الصفتان الأولى والثانية وهي الاعتداء والإثم -وهذا ظاهر- وأمّا الصفة الثالثة وهي زعمهم أنَّ القرآن الكريم أساطير الأولين فهو قول المشركين من العرب وَهُم المقصود ابتداء، وأمَّا غيرهم مِمَّن لم يُنقَل عنهم هذا القول فَهُم متهيئون لأنْ يقولوه، أو يقولوا ما يساويه أو يؤول إليه؛ فلو عُرِض القرآن على مَن لم يُعرَض عليه منهم لَكذَّب به تكذيبًا مساويًا اعتقاد أنَّه مِن وضع البشر، فَهؤلاء ظنّهم في القرآن يساوي ظنّ المشركين وإنْ لم يقولوا القرآن أساطير الأولين، فَنُزِّلوا منزلة مَن يقوله[2].

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد قولان؛ الأوَّل: لا يكذّب بيوم الدين إلَّا كلّ متجاوزٍ عن الحقّ، أثيم بربه، إذا قُرئت عليه آياتنا قال: هذه حكايات الأولين[3]، والثاني: لا يكذّب بيوم الدين إلَّا كلّ مشرك كافر بِما جاءه من الشرائع، كثير الإثم بالله، قادح في كون القرآن من عنده سبحانه[4]. وللقولين مآل واحد، فَجَحْد الحقّ وإنكاره هو ستر وتغطية له، وكذلك هو الكفر، ففي اللغة الكفر هو الستر والتغطية[5]، وسُمِّي الكافر بِذلك؛ لأنّ الكفر غطى قلبه عن الحقّ وستره، هذا من جهة، والجملة الشرطية في قوله تعالى: (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) نعت ثانٍ لِقوله: (مُعْتَدٍ)[6]، فالسياق متَّصل، والله تعالى أخبر عن صفة مَن يكذّب بيوم الدين بِأنَّه مَن كان موصوفًا بهذه الصفات الثلاثة من جهة أخرى.

---

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 197).

(2) انظر: **المصدر نفسه** (30/ 197، 198).

(3) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 285، 286)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 279).

(4) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (31/ 87)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 197، 198).

(5) انظر: **مقاييس اللغة، ابن فارس** (5/ 191)، مادة (كفر).

(6) انظر: **المجتبى من مشكل إعراب القرآن، أحمد الخرّاط** (4/ 1430).

وقد أفاد النفي والاستثناء في هذا الشاهد قصر صفة التكذيب على مَن يتّصفون بالصفات الثلاثة المذكورة؛ وَلَمَّا كان قولهم لهذا الباطل سببًا في تصنيفهم ضمن هؤلاء الفجرة الذين استحقّوا حجب الله وعذاب الجحيم أفاد القصر معنى آخر هو ترهيب المكذّبين باليوم الآخر من الويل بغية ردعهم عن غيّهم وضلالهم، وبذلك ناسب استعمال النفي والاستثناء للقصر هذه المعاني الشديدة، ولا تظهر هذه المعاني في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (يكذّب به كلّ معتدٍ أثيم إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين)؛ فهي لا تدلّ على نفي تكذيب غير مَن تلك صفته.

الفرع السابع: الإذلال والتحقير: قوله تعالى: ﴿ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴾ [الحاقة: 37].

موضع الشاهد: (لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق النفي (لَا) والاستثناء (إِلَّا)، والاستثناء في (إِلَّا الْخَاطِئُونَ) استثناء من صفات أو أحوال محذوفة، والتقدير: (لا يأكل الغسلين في حالة من الحالات إلَّا في حالة كونه من الخاطئين) هذا من حيث المعنى، وأمَّا من حيث اللفظ فهو استثناء من عموم الفاعلين.

المقصور: (يَأْكُلُهُ)، وهي جملة فعلية تحمل صفة تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الأكل، والضمير المتَّصل (الهاء) يعود إلى الغِسلين، وهو صديد أهل النار وما يسيل من أبدانهم[1]، فلَمَّا هُيء الغسلين لِيأكله أهل النار كان طعامًا لهم[2].

المقصور عليه: (الْخَاطِئُونَ)، وهو الموصوف، والمقصود المشركون.

المقصور عنه: كلّ المكلَّفين ما عدا المشركين.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة الأكل لهذا الطعام على المشركين.
- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ المكلَّفين ما عدا المشركين، ولكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي أحوال أصحاب الشمال يوم القيامة.

(1) انظر: **الغريبين في القرآن والحديث، الهروي** (4/ 1374).

(2) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 632).

■ باعتبار حال المخاطَب: المخاطَبون في الآية هم الكفَّار الأشقيّاء، والقصر قصر قَلْب؛ فقد قُلِب عليهم اعتقادهم بأنَّهم في مأمن من عقاب الله، وقد بيَّنت الآية مقدار عذابهم المتمثِّل في طعامهم.

أثر القصر في التفسير:

معنى الشاهد: لا يأكل الطعامَ الذي هو مِن غسلين إلَّا الخاطئون، وهم المشركون[1]، وعُلِّل هذا التفسير بأنَّ تعريف (الْخَاطِئُونَ) يدلّ على الكمال في الوصف، أي المرتكبون أشدّ الخطأ، وهو الإشراك[2]، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّهم المشركون[3]، ولعلَّ اللام في قوله: (الْخَاطِئُونَ) لام العهد الحضوري، فقد ورد في السياق الكريم ذِكْر مَنْ استحقّ هذا العذاب، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحاقة: 33]؛ أي: إنَّهم يأكلون هذا الطعام لأنَّهم تعمّدوا الذنب وأشركوا بالله. وجاء التعبير عنهم بالوصف الذي استحقّوا به أكل ذلك الطعام، فقد وردت كلمة (الْخَاطِئُونَ) لِدلالتها اللغويّة، ولم يقل المخطئون؛ إذ المخطئ هو مَن أراد الصواب، فَصار إلى غيره، وأمَّا مَن تعمَّد الذنب فَهو خاطئ[4]، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾ [يوسف: 91].

وقد استُعمِل النفي والاستثناء في هذه الآية المكيَّة فأفاد القصر في مواجهة إنكار الكفَّار، إذ قُصِر أكل الغسلين على المذنبين المصرّين على الكفر بالله، وَلَمَّا كان الغسلين شَرَّ الطعام وأخبثه أضاف القصر معنى آخر هو الإذلال للمشركين والتحقير لِشأنهم في ذلك اليوم العصيب، ويقوّي هذا المعنى التعبيرُ بالجملة الفعلية (يَأْكُلُهُ) الدالّة على الحدوث والتجدّد، ولا يظهر هذا الأثر جليًّا في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (يأكله الخاطئون)، فهي لا تدلّ على نفي أكل الغسلين عن غيرهم.

الفرع الثامن: الذمّ والتوبيخ: قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴾ [الملك: 20].

موضع الشاهد: (إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ).

---

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 591)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 140).

(2) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 140).

(3) انظر: **الجامع لأحكام القرآن، القرطبي** (18/ 273)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 27).

(4) انظر: **تقويم اللسان، الجوزي** (ص 102، 103)، **ولسان العرب، ابن منظور** (1/ 67)، مادة (خطأ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق النفي (إن) والاستثناء (إلَّا)، والاستثناء في قوله: (إِلَّا فِي غُرُورٍ) استثناء من صفات أو أحوال محذوفة، والتقدير: (ما الكافرون في حالة من الحالات إلَّا في حالة غرور) هذا من حيث المعنى، وأمَّا من حيث اللفظ فهو استثناء من أخبار محذوفة كلّها منفية إلَّا الخبر المذكور.

المقصور: المبتدأ (الْكَافِرُونَ)، وهو الموصوف.

المقصور عليه: (فِي غُرُورٍ)، جار ومجرور يحملان صفة تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الضلال؛ أي: إنَّ المقصور عليه هو صفة الضلال.

المقصور عنه: كلّ الصفات ما عدا صفة الضلال.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فقد قُصِر الكافرون على صفة الضلال.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ[1]؛ فالمقصور عنه هو كلّ الصفات ما عدا صفة الضلال، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي إثبات عظمة الله وقدرته.

- باعتبار حال المخاطَب: الخطاب في الآية للمشركين من قريش الذين كانوا يمتنعون عن الإيمان، ولا يلتفتون إلى دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام، والقصر قصر قَلْب؛ فقد قُلِب عليهم اعتقادهم بأنَّهم في مأمن من النوائب بحماية آلهتهم[2].

أثر القصر في التفسير:

ذهب المفسّرون إلى أنَّ معنى الشاهد: ما الكافرون في ظنّهم بأنّ آلهتهم تحفظهم من بأس الله إلَّا في ضلال

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 43).

(2) انظر: **المصدر نفسه**.

شديد؛ فليس لهم في ذلك شيءٌ يُعتَدّ به[1]، وهذا هو شأن الكافرين كلّهم -من المخاطَبين وغيرهم- فقد أفادت (أل) في قوله تعالى: (الْكَافِرُونَ) الاستغراق[2].

وقد جاء القصر بالنفي والاستثناء في الشاهد مبيّنًا حال الكافرين القبيح؛ إذ يظنّون أنَّهم في أمن، وهم في الحقيقة يتعرَّضون لِغضب الله وسخطه، وَلَمَّا كانت الحقيقة مغايرة لِظنّهم أضاف القصر معنى آخر هو الذمّ والتوبيخ لهم على ما هُم فيه من شدَّة الضلال[3]، فلا شيء يشفع لهم لِينالوا رحمة الرحمن، وهذا المعنى لا يظهر عندما يقال: (الكافرون في غرور)، وَمِن البلاغة قوله تعالى: (إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ)، فَكأنَّه قيل: (ما الكافرون في ظنّهم أنَّ آلهتهم ناصرة لهم كما يزعمون، بل هم في غرور).

الفرع التاسع: الحرص: قوله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا﴾ [نوح: 28].

موضع الشاهد: (لَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق النفي (لَا) والاستثناء (إِلَّا)، والاستثناء في (إِلَّا تَبَارًا) استثناء من عموم المفاعيل في اللفظ والمعنى، والتقدير: (لا تزد الظالمين شيئًا إلَّا تبارًا).

المقصور: الزيادة الحاصلة للكفَّار من قوم نوح عليه السلام، وهو الموصوف.

المقصور عليه: (تَبَارًا)، مفعول به ثانٍ لقوله: (تَزِدِ)، يحمل صفة تدلُّ على معنى قائم فيها وهي صفة الهلاك والخسارة؛ أي: إنَّ المقصور عليه هو صفة الهلاك.

المقصور عنه: الصفات الأخرى للكفَّار من قوم نوح عليه السلام.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فقد قُصِرت الزيادة الحاصلة للكفَّار من قوم نوح عليه السلام على صفة الهلاك.

---

(1) انظر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 231)، و**إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 8)، و**روح المعاني، الآلوسي** (15/ 20)، و**التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 42).

(2) **الاستغراق** هو الشمول لجميع الأفراد، بحيث لا يخرج عنه شيء. انظر: **التعريفات، الشريف الجرجاني** (ص 24).

(3) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 8).

■ باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ مجازيّ؛ فقد أنزل الله ما عدا المقصور عليه (صفة الهلاك) منزلة المعدوم مبالغةً في اقتصار المقصور بالمقصور عليه، وهذه المبالغة تبليغ؛ لأنَّ هلاك الكفرة أمرٌ ممكن وقوعه عقلًا وحدوثه عادةً.

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد قولان؛ أوَّلهما: لا تزد الظالمين أنفسهم بكفرهم إلَّا هلاكًا وخسارًا[1]، وثانيهما: لا تزدهم من الأموال والأولاد لِأنّهم استعملوها في الفساد وأذى المؤمنين فزادتهم خسارًا[2]، ولعلَّ القول الأول هو الصواب؛ إذ معظم آيات سورة نوح وغيرها نصّ في أنَّ القوم الكفرة هالكون يوم القيامة[3]، فقد استحقّ المشركون التبار لِظلمهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13].

ونظرًا لِإصرار هؤلاء المعاندين على الكفر كان استعمال القصر بالنفي والاستثناء في الدعاء عليهم مناسبًا، فأفاد هذا الأسلوب قصرهم على الهلاك حرصًا على استئصالهم من المجتمع -فَتُضْمَن حمايته[4]- وترهيبًا لهم من عاقبة عنادهم وإصرارهم على الشرك؛ فكلّ مَن يكفر بالله الواحد القهَّار ستكون عاقبته الهلاك والخسارة في الآخرة، ولا تبدو هذه المعاني واضحةً في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (يزيد الله الظالمين تبارًا)؛ فهي لا تدلّ على نفي زيادته الظالمين لِصفة أخرى بدل التبار.

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 642)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 660)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 90).

(2) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 215).

(3) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (15/ 90).

(4) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 215).

المبحث الثاني

أثر أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة

يشتمل هذا المبحث على آثار أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في تفسير الآيات المدنيَّة من المفصَّل، وشواهد لتلك الآثار.

المطلب الأول: بيان المعنى:

الفرع الأول: الإثبات: قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[الحديد: 22].

موضع الشاهد من الآية: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق النفي (ما) والاستثناء (إلَّا)، والاستثناء في قوله: (إِلَّا فِي كِتَابٍ) في المعنى واللفظ استثناء من أحوال محذوفة، والتقدير: (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في الأنفس في حالة من الحالات إلَّا في حالة كونها مكتوبة في كتاب)[1].

المقصور: (أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وفي أَنْفُسِكُمْ)، والمقصود حدوث الشرور في الأرض والأنفس، وهو الموصوف، والكلام على العموم لجميع الشرور؛ إذ استُعمِلتْ (ما) نافية و(من) زائدة في النفي للدلالة على نفي الجنس قصدًا للعموم، وقد استُعمِلت كلمة (مُصِيبَةٍ) في هذا الموضع للدلالة على الشر؛ لأنَّ عُرْفها ذلك[2].

المقصور عليه: (فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا) وهذه العبارة تحمل صفة تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الكتابة؛ أي: إنَّها مكتوبة في كتاب قبل خلقها، والمقصود مثبَتة فيه أو محقَّقة في علم الله جلَّ شأنه قبل تقديرها.

---

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 410).

(2) انظر: **البحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 111).

المقصور عنه: عدم تحقّق الحوادث في علم الله قبل وقوعها؛ أي: عدم علمه سبحانه لها قبل حدوثها وفقًا لِاعتقاد المشركين والمنافقين المذكور في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران: 156]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾[آل عمران: 168].

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فقد قُصِرت مصائب الأرض والأنفس على صفة الكتابة.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ[1]؛ والمقصور عنه هو عدم تحقّق الحوادث في علم الله قبل وقوعها، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي كون الحوادث قد سبق تقديرها وعلمها من الله أم لا.

- باعتبار حال المخاطَب: قصر قلب؛ ردًّا على أهل الضلال الذين لا يثبتون لله عموم العِلْم، ويجوّزون عليه البداء وتمشي الحيل.

أثر القصر في التفسير:

هناك ثلاثة أقوال في معنى الشاهد؛ أوَّلها: ما أصاب من مصيبة في الأرض كالجدب وآفات الزروع والثمار ولا في الأنفس كالأسقام والموت إلَّا مكتوبة في اللوح المحفوظ من قبل أن نخلقها[2]، وثانيها: ما أصاب من مصيبة في الأرض كجدب وعاهة ولا في أنفسكم كمرض وآفة إلَّا مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله تعالى من قبل أن تُخلَق[3]، وثالثها: ما أصاب أحد من مصيبة في الأرض كالقحط وفيضان السيول، وفي الأنفس من الأمراض وقطع الأعضاء والأسر في الحرب والموت إلَّا وقد سبق تقديرها في علم الله[4].

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 410).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 195)، و**الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 479)، و**مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 466)، 467، و**البحر المحيط، أبو حيّان** (10/ 111)، و**روح المعاني، الآلوسي** (14/ 186).

(3) انظر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 189)، و**إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 211).

(4) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 409، 410).

ولعلَّ القول الثاني هو الأرجح؛ فالأمور كلّها مقدَّرة في الأزل مكتوبة في اللوح المحفوظ قبل أنْ تكون، قال صلَّى الله عليه وسلَّم: «كَتَبَ اللهُ مقاديرَ الخلائقِ قَبْلَ أنْ يخلقَ السماواتِ وَالأرضَ بخمسينَ ألفَ سنةٍ»[1]، وقد خصَّص المصائب بالذكر لأنَّها أهمّ على البشر[2].

وقد جاء القصر بالنفي والاستثناء مثبِتًا المصائبَ الدنيوية في عِلْم الله عزّ وجلّ[3]؛ فهو محيطٌ بجميعها -في الأرض وفي الأنفس- قبل وقوعها؛ إذ إنَّ عِلم الله تعالى قديمٌ أزليّ، الأمر الذي يُشَكِّل باعثًا للمسلمين للتسليم بِقضائه وقدره، والانتقال عن ذلك إلى الإقبال على ما ينفعهم من الأمور دون التحرّق على ما فات، ولا يظهر هذا المعنى واضحًا في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (يحتوي الكتاب على مصائب الأرض والأنفس قبل خلقها)؛ فهي جملة خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب، فقد يكون الكتاب محتويًا على مصائب الأرض والأنفس وقد لا يكون.

الفرع الثاني: الإعلام والتنبيه: قوله تعالى: ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾ [الحديد: 20].

موضع الشاهد من الآية: (مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق النفي (ما) والاستثناء (إلَّا)، والاستثناء في (إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) استثناء من صفات أو أحوال محذوفة، والتقدير: (ما الحياة الدنيا في حالة من الحالات إلَّا حالة متاع فاسد خادع) هذا من حيث المعنى، وأمَّا من حيث اللفظ فهو استثناء من أخبار محذوفة كلّها منفية إلّا الخبر المذكور.

المقصور: (الْحَيَاةُ الدُّنْيَا)، وهو الموصوف، والمقصود أحوال الحياة الدنيا.

المقصور عليه: (مَتَاعُ الْغُرُورِ)، خبر مضاف، يحمل صفة تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الفساد؛ أي: إنَّ المقصور عليه هو صفة الفساد.

---

(1) **صحيح مسلم**: كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (4/ 2044)، رقم الحديث (2653). والراوي: عبد الله بن عمرو بن العاص.

(2) انظر: **البحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 111).

(3) انظر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 189).

المقصور عنه: كلّ الصفات ما عدا صفة الفساد كصفة الجودة أو النفع.

نوع القصر:

■ باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فقد قُصِرت أحوال الحياة الدنيا على صفة الفساد.

■ باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ مجازيّ؛ وذلك باعتبار غالب أحوال الدنيا بالنسبة إلى غالب طالبيها، فَكونها متاعًا أمر مطرد وكون المتاع مضافًا إلى الغرور أمر غالب بالنسبة لما عدا الأعمال العائدة على المرء بالفوز في الآخرة(1).

أثر القصر في التفسير:

هناك قولان في تفسير الشاهد؛ الأوَّل: وما زينة الدنيا وشهواتها إلَّا متعة خادعة تتلذّون بها، ثُمَّ أنتم عنها بعد قليل راحلون(2)، والثاني: وما لذّات الحياة الدنيا وزخارفها إلَّا متاع مدلس يغرّ الناظر حتّى يشتريه، ثمّ يظهر له فساده ورداءته، وهذا لِمَن آثرها على الآخرة، وأمَّا مَن طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ(3)، ولا يوجد اختلاف جوهريّ بين القولين؛ إذ الحكم بِاعتبار الغالب وليس بالنسبة لِكلّ الناس، فَمِنهم مَن أقبل على الحياة الدنيا طالبًا بها الآخرة.

وقد جاء القصر بالنفي والاستثناء تنبيهًا وتحذيرًا للناس كيلا يغترّوا بالحياة الدنيا(4)؛ إذ إنَّها دنيئة فانية، قليلة زائلة، ومِن ثَمَّ ينبغي عليهم الاستعلاء على غرور المتاع الزائل، وبذلك كان أثر القصر منسجمًا مع السياق ومناسبًا لِمَا تسعى السورة إلى تحقيقه من بناء عقيدة صافية للمخاطَبين، قال صلَّى الله عليه وسلَّم: «وَاللهِ ما الدُّنيا في الآخرةِ إلَّا مِثْلُ ما يجعلُ أحدُكُمْ إصبعَهُ هَذِهِ -وأشارَ يحيى بالسَّبَّابةِ- في اليمِّ،

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 407).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (7/ 452، 453، 23/ 194).

(3) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (1/ 449)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (9/ 453، 29/ 464)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (2/ 53، 5/ 189)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (3/ 461)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (2/ 123، 8/ 211)، **وروح المعاني، الآلوسي** (2/ 357، 14/ 185)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 407).

(4) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 406).

فَلْينظُرْ بِمَ ترجعُ؟»[1]، ولا يبدو هذا المعنى واضحًا في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (الحياة الدنيا متاع الغرور)؛ فقد تكون الدنيا وفقًا للجملة الأخيرة متاع نفع أيضًا، أو غير ذلك.

المطلب الثاني: تعزيز المعنى:

الفرع الأول: التعليل: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: 27].

موضع الشاهد من الآية: (مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق النفي (ما) والاستثناء (إلَّا)، والاستثناء متَّصل من علل محذوفة عامّة على طريقة الاستثناء المفرَّغ، والتقدير: (ما كتبناها عليهم لِعلّة إلَّا علّة ابتغاء مرضاة الله تعالى)[2] هذا من حيث المعنى، وأمَّا من حيث اللفظ فهو استثناء من عموم المفاعيل.

المقصور: علّة قضاء الله بالرهبانيَّة، وهو الموصوف.

المقصور عليه: (ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ)، مفعول لأجله مضاف يحمل صفة تدلُّ على معنى قائم فيها، وهو استحقاقهم الثواب؛ أي: يحمل صفة الإثابة.

المقصور عنه: علل عامة ما عدا علّة ابتغاء مرضاة الله مثل دفع العقاب.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فقد قُصِرت علّة قضاء الله بالرهبانيَّة على صفة الإثابة.

---

(1) **صحيح مسلم**: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة (4/ 2193)، رقم الحديث (2858). والراوي: المستورِد بن شدَّاد.

(2) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 213)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 190).

■ باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو علل عامّة ما عدا علَّة ابتغاء مرضاة الله عزّ وجلّ، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي الغاية من بعثة الرسل الكرام، والأمر بتقوى الله تعالى، والاقتداء بهدي رسله وأنبيائه.

■ باعتبار حال المخاطَب: قصر تعيين؛ ردًّا على مَن شكَّ وتردَّد في كونهم فعلوا الرهبانية طلبًا لِرضوان الله، أو طمعًا في دفع عقاب الله وتحصيل رضوانه.

أثر القصر في التفسير:

هناك قولان في تفسير الشاهد؛ الأوَّل: ما فرضنا تلك الرهبانيَّة عليهم، ولكنهم فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم ابتغاء رضوان الله تعالى[1]، والثاني: قضيناها عليهم ابتغاء مرضاة الله تعالى[2]، ولعلّ الظاهر يؤيد القول الثاني، والاستثناء في قوله: (إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ) استثناء متَّصل مِمَّا هو مفعول من أجله، وبناءً عليه فإنَّ المعنى: أنَّه تعالى كتبها عليهم ابتغاء مرضاته[3]، وقوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[4] من العامّ المخصوص، والمراد غالب البدع[5].

وقد جاء القصر بالنفي والاستثناء معلِّلًا قضاء الله بالرهبانيَّة، ومبيّنًا السببَ الوحيد له[6]؛ وهو ليس إلَّا تحصيل رضوان الله تعالى، ومن ثَمَّ نيل ثوابه، وبذلك يكون القصر هنا بيانًا لِكون الرهبانية مندوبة وليست واجبة عليهم؛ إذ المقصود من فعل الواجب دفع العقاب وتحصيل رضا الله، وأمَّا المندوب فليس المقصود من فعله دفع العقاب، بل مجرَّد تحصيل مرضاة الله تعالى[7].

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 202)، و**الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 482)، و**مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 474)، و**أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 190)، و**إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 213)، و**روح المعاني، الآلوسي** (14/ 190)، و**التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 424).

(2) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 474)، و**البحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 116)، و**إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 213)، و**روح المعاني، الآلوسي** (14/ 190).

(3) انظر: **البحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 116).

(4) **صحيح مسلم**: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (2/ 592)، رقم الحديث (867). والراوي: جابر بن عبد الله.

(5) انظر: **المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي** (6/ 154).

(6) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (14/ 191).

(7) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 474).

ويُعدُّ التعليل المنهج الأصلح للإفهام والتعليم؛ لذلك يكون القصر في الشاهد قد عزَّز المعنى عند المخاطَب، ولا يظهر هذا الأثر واضحًا في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (كتبناها عليهم ابتغاء مرضاة الله تعالى)، فهي لا تدلّ على نفي كتابتها عليهم لِسببٍ آخر.

المطلب الثالث: إضافة معنى جديد:

الفرع الأول: التعريض: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[المجادلة: 7].

موضع الشاهد من الآية: (مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق النفي (ما) والاستثناء (إلَّا)، والاستثناء في قوله: (إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ) و(إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ)، و(إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ) في اللفظ والمعنى استثناء من أعمّ الأحوال[1] على طريقة الاستثناء المفرَّغ[2]، والتقدير: (ما يكون من نجوى ثلاثة في حالة من الحالات إلَّا في حالة تصيير الله تعالى لهم أربعة واطّلاعه عليهم، ولا نجوى خمسة إلَّا هو سادسهم مطَّلِع عليهم، ولا نجوى أدنى ممَّا ذكر ولا أكثر إلَّا هو معهم يعلم ما يجري بينهم).

المقصور: جاءت (مِنْ) زائدة في النفي في قوله: (مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى) لِقَصد العموم[3]؛ أي: إنَّ الله يطَّلع على كلّ ما يتناجون به، فلا يخفى عليه شيء منها، والنجوى المذكورة في الآية هي: (نجوى ثلاثة، نجوى خمسة، نجوى أدنى من ذلك وأكثر)، وليس المقصود العددين المذكورين فقط؛ فالحُكْم في النهاية قد عُمِّم بقوله: (وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ) أي ممّا ذُكِر كالواحد والاثنين، وقوله: (وَلَا أَكْثَرَ) كالستة وما فوقها، فيكون المقصور هو نجوى المتناجين أيًّا كان عددهم.

---

(1) انظر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 194)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 218)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 217).

(2) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 218)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 217)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 27).

(3) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 26).

المقصور عليه: (هُوَ رَابِعُهُمْ)، و(هُوَ سَادِسُهُمْ)، و(هُوَ مَعَهُمْ)؛ أي كأنَّه تعالى نجي معهم، وهذه الجمل الاسميَّة تحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة عِلْم الله بهم.

المقصور عنه: كلّ الصفات ما عدا صفة العلم.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فقد قُصِرت نجوى المتناجين على صفة علم الله.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ الصفات ما عدا صفة العلم، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي موضوع التناجي.

- باعتبار حال المخاطَب: والقصر قصر قَلْب؛ فقد قُلِب على المنافقين اعتقادهم، فالله عالم بِمَا يتناجون، ومُطْلِع رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم على سريرتهم.

أثر القصر في التفسير:

ذهب المفسّرون إلى أنَّ معنى الشاهد: ما يحصل من تناجي ثلاثة من الخلق إلَّا الله رابعهم، ولا خمسة إلَّا هو سادسهم، ولا أقلّ ولا أكثر مِمَّا ذَكَر إلَّا يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه شيء من أسرارهم[1]. ولا خلاف بين المفسّرين في معنى الشاهد؛ إذْ المعيّة التي أضافها الله إلى نفسه عامّة شاملة لِجميع الخلق، ومقتضاها بحسب السياق الإحاطة بالخلق علمًا، فقد ابتدأ الله تعالى هذه الآية بالعلم بقوله: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ) واختتمها بالعلم بقوله: (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) لِيُنبِّه إلى إحاطته عزّ وجلّ بكلّ شيءٍ علمًا، فما مِن مخلوق إلَّا والله تعالى معه يعلمه، وذُكِرت المعيّة العامّة مقرونة بالعلم لِيكون ذلك تفسيرًا لها؛ حتّى

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 236، 237)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 490)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 489، 490)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 194)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 125)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 218)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 217، 218)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 26، 27).

يندفع ما قد يجرّه الشيطان من القول بالحلول أو الاتحاد أو وحدة الوجود، تعالى الله عن ذلك[1].

وقد بدأت الآية بتقرير علم الله لِكلّ ما في السماوات والأرض ثم انتقلت إلى حقيقة العلم الإلهي بأي نجوى، فاستُعمِل النفي والاستثناء لِقصر كلّ نجوى على علمه سبحانه بصورة ترتعش لها القلوب حينًا وتأنس حينًا أخرى، وبعبارة أخرى فإنَّ القصر بالنفي والاستثناء في هذا الشاهد أفاد أيضًا التعريض بالترهيب للخلق -وبخاصّة المنافقون- من علم الله واطّلاعه وقدرته وعقابه[2]، وبالترغيب لهم في الطاعات؛ فهو عالم بهم وبجميع أحوالهم ما يسرُّونه وما يظهرونه، وهذا الأثر يتناسب مع سبب نزول الآية، فقد نزلت في قوم من المنافقين تحلَّقوا للتناجي مغايظة للمؤمنين[3].

ولا تظهر هذه المعاني في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (يطَّلع الله على نجوى الناس فيكون رابعهم إذا كانوا ثلاثة، وسادسهم إذا كانوا خمسة، وواحدًا منهم إذا كانوا أقلّ أو أكثر ممَّا ذُكِر)، فهي جملة خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب.

الفرع الثاني: التسلية: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: 10].

موضع الشاهد من الآية: (لَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ).

---

(1) انظر: **فقه الإسلام، عبد القادر شيبة الحمد** (10/ 316). **الحُلُولُ**: أن يحلّ أحد الشيئين في الآخر؛ ففيه إثبات وجودين، وحلول أحدهما في الآخر. ويُراد به عند بعض المعتقدين به حُلُول الله عَزَّ وَجَلَّ في مخلوقاته أو بعضهم، مع اعتقاد وجود خالق ومخلوق؛ مِنْه اعتقاد بعض الصوفية أنَّ الله تعالى حلَّ في جميع مخلوقاته، وهذه عقيدة **وحدة الوجود**. وينقسم الحُلُول إلى حُلُول عامّ، وهو اعتقاد أن الله عزّ وجلّ قد حلّ في كلّ شيء، وحُلُول خاص وهو اعتقاد أنَّ الله تعالى قد حلّ في بعض مخلوقاته. وأمَّا **الاتِّحاد** فهو كَون الشيئين شيئاً واحداً؛ أي: إنَّ وجود الكائنات، أو بعضها هو عين وجود الله تعالى. والفرق بين الحُلُول والاتِّحاد يتلخَّص في كَون الحُلُول إثباتًا لِوجودين، بخلاف الاتحاد فهو إثبات لِوجود واحد من جهة، والحُلُول يقبل الانفصال وأمَّا الاتحاد فلا يقبل الانفصال من جهة أخرى. انظر: **التعريفات، الشريف الجرجاني** (ص 8، 9، 92)، و**الكليات، أبو البقاء الكفوي** (ص 389، 390)، و**مصطلحات في كتب العقائد، محمد الحمد** (ص 42- 47).

(2) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 26).

(3) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 490)، و**مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 490)، و**أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 194)، و**البحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 125)، و**إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 218)، و**روح المعاني، الآلوسي** (14/ 218)، و**التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 27).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق النفي (لَيْسَ) والاستثناء (إِلَّا)، والاستثناء في (إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) استثناء من صفات أو أحوال محذوفة، والتقدير: (ليس بضارّهم شيئًا في حالة من الحالات إلَّا في حالة إذن الله) هذا من حيث المعنى، وأمَّا من حيث اللفظ فهو استثناء من عموم المفاعيل.

المقصور: (لَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا)، والمقصود حدوث الضرر، وهو الموصوف.

المقصور عليه: (بِإِذْنِ اللَّهِ)، وهذه العبارة تحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الإذن والسماح.

المقصور عنه: الأحوال والصفات الأخرى غير حال إذن الله.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فقد قُصِر حدوث الضرر على صفة الإذن والسماح من الله.
- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ تحقيقيّ؛ فإذن الله بالضُرّ يجري وفقًا لمشيئته عزّ وجلّ.

أثر القصر في التفسير:

ذهب المفسّرون إلى أنَّ معنى الشاهد: ليس الشيطان أو التناجي أو الحزن بضارّ المؤمنين شيئًا من الضرر إلَّا بإذن الله[1]، وهو نظير قوله عليه الصلاة والسلام: «يا غلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كلماتٍ... وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجتمعَتْ على أَنْ ينفعُوكَ بشيءٍ لَمْ ينفعُوكَ إِلَّا بشيءٍ قَدْ كتبَهُ اللهُ لَكَ، وَلوْ اجتمعُوا على أَنْ يَضُرُّوكَ بشيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بشيءٍ قدْ كتبَهُ اللهُ عليْكَ...» [2].

وبناء على أسلوب القصر المستعمَل يكون معنى الشاهد أنَّ الشيطان لن يبلغ في المؤمنين ما يريده إلا بتقدير الله، وبذلك أضاف النفي والاستثناء إلى معنى القصر معنى التسلية للمؤمنين والتأنيس لِنفوسهم

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 243)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 491)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 492)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 194)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 127)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 220)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 222)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 35).

(2) **سنن الترمذي**: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع (4/ 667)، رقم الحديث (2516)، واللفظ له. **ومسند أحمد**: مسند بني هاشم (4/ 409)، رقم الحديث (2669). والراوي: عبد الله بن عباس. وهذا الحديث حسن صحيح. انظر: **سنن الترمذي** (4/ 667).

ممَّا قد يلحقهم من الضرّ، فالأمور تجري على ما قدَّره الله الواحد القهّار[1]، ويقوّي أثرَ القصر ورودُ كلمة (شَيْئًا) نكرةً في سياق النفي لِتفيد العموم. ولا يظهر هذا الأثر في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (يَضُرُّهم شيء بإذن الله)؛ إذ لا تدلّ على نفي حدوث الضرّ بإذن غير الله.

الفرع الثالث: الترغيب والتشجيع: قوله تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: 7].

موضع الشاهد: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق النفي (لَا) والاستثناء (إِلَّا)، والاستثناء في قوله: (إِلَّا مَا آتَاهَا) استثناء من صفات أو أحوال محذوفة، والتقدير: (لا يُكلِّف الله نفسًا في حالة من الحالات إلَّا في حالة إتيائها) هذا من حيث المعنى، وأمَّا من حيث اللفظ فهو استثناء من عموم المفاعيل.

المقصور: (يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا)، والمقصود التكليف بالنفقة، وهو الموصوف.

المقصور عليه: (مَا آتَاهَا)، الاسم الموصول وصلته، يحملان صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الطاقة والقدرة؛ أي: إنَّ المقصور عليه هو صفة الطاقة والقدرة.

المقصور عنه: كلّ الصفات ما عدا صفة الطاقة والقدرة.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فقد قُصِر التكليف بالنفقة على صفة الطاقة والقدرة للمكلَّف.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ الصفات ما عدا صفة الطاقة والقدرة، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي ما يترتب على الطلاق من الإنفاق على المطلَّقات والمرضعات.

- باعتبار حال المخاطَب: الخطاب بهذه الآية لِلأزواج من المسلمين، والقصر قصر قَلْب؛ فقد قُلِب عليهم اعتقادهم، إذْ كانوا في الجاهلية قلَّما يعطون المطلَّقة حقوقها، وأمَّا في الإسلام فيجب للمرأة المطلَّقة والمرضعة النفقة.

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 34).

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد ثلاثة أقوال؛ أوَّلها: لا يكلِّف الله أحدًا من النفقة إلَّا بِقدر ما أعطاه من الطاقة[1]، وثانيها: لا يكلِّف الله نفسًا إلَّا بِمقدار ما أعطاها من الرزق[2]، وثالثها: الشاهد بمعنى قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: 286][3]، وقد اختلف أصحاب التفسير الأخير في معنى وُسْعها على قولين: الأوّل: الاستطاعة والطاقة[4]، والثاني: ما تسعه قدرة الإنسان أو ما يسهل عليه من المقدور، وهو ما دون طاقته القُصْوى[5].

ولعلَّ الشاهد يقتضي عدم وقوع التكليف بِمَا فوق طاقة الإنسان؛ لِورود كلمة (نفسًا) نكرةً في سياق النفي فأفادت العموم، فالله تعالى ما شرَّع التكليف إلَّا للعمل واستقامة الخلق، فلا يكلِّفه ما لا يطيق فعله[6]، فالتكليف المذكور يكون بِقدر ما أُعطي الشخص من طاقة، ومن لديه طاقة وقدرة على الاكتساب سيكون لديه رزّق وإنْ قلَّ. وأمَّا قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: 286] فهو كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة: 185]، ولا يكون تفسير الشاهد به صوابًا؛ لمكان عبارة (آتَاهُ) الخاصة بالإعسار قبل الشاهد وذكر العسر بعده.

وقد جاء القصر بالنفي والاستثناء في الشاهد للفصل في مقدار النفقة؛ إذ جعل الله تعالى كلًّا بحسْبِه، فلا يكلِّف الفقيرَ نفقةَ الغنيّ، ولا يطلب من أحد النفقة إلَّا في حدود ما آتاه. وَلَمَّا كان الشخص لا يملك إلَّا أنْ ينفق ممّا آتاه الله -كون خزائن السماوات والأرض له وليس لِغيره ذلك- أفاد القصر بالنفي والاستثناء معنى آخر هو التطييب والاستمالة لِقلب المعْسِر والترغيب له في بذل مجهوده[7]، ولا يظهر هذا الأثر في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (يُكلِّف الله نفسًا ما آتاها)؛ فهي لا تدلّ على نفي تكليف الله بِغير ذلك المقدار.

---

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 463)، و**روح المعاني، الآلوسي** (14/ 336).

(2) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 564).

(3) انظر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 222)، و**إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 263)، و**التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 331).

(4) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (3/ 135).

(5) انظر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (1/ 166)، و**إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (1/ 276).

(6) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (3/ 135).

(7) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 263).

الفرع الرابع: الذمّ والتوبيخ: قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ [البينة: 4].

موضع الشاهد: (مَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق النفي (مَا) والاستثناء (إِلَّا)، والاستثناء في قوله: (إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ) في اللفظ والمعنى استثناء من أعمّ الظروف؛ أي: أعمّ الأوقات، والتقدير: (ما تفرَّقوا في وقت من الأوقات إلَّا من بعد ما جاءتهم البيّنة)[1].

المقصور: (تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ)؛ أي: تفرُّق أهل الكتاب، وهو الموصوف.

المقصور عليه: (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ)، وهذه العبارة تحمل صفة تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة مجيء الحُجَّة الواضحة؛ أي: إنَّ المقصور عليه صفة مجيء الحُجَّة الواضحة.

المقصور عنه: كلّ الصفات ما عدا صفة مجيء الحُجَّة الواضحة.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فقد قُصِر تفرُّق أهل الكتاب على صفة مجيء الحُجَّة الواضحة.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ الصفات ما عدا صفة مجيء الحُجَّة الواضحة، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي موقف أهل الكتاب من رسالة سيدنا محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم.

- باعتبار حال المخاطَب: لعلَّ المخاطَب بهذه الآية هو رسولنا الكريم صلَّى الله عليه وسلَّم والمسلمين عامَّة، والقصر قصر قَلْب؛ فَتَفرُّق أهل الكتاب في السبت وعبادة العجل لم يكن لِقصورٍ في الحُجَّة بل لِعنادهم.

(1) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 185).

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد قولان؛ أوّلهما: ما تفرَّقَ اليهود والنصارى عن وعدهم بِاتباع سيدنا محمَّد عليه الصلاة والسلام إلَّا بعد قيام الحُجَّة عليهم ببعثته[1]، وثانيهما: لم يتفرّق بني إسرائيل إلَّا بعد مجيء بيّنة سيدنا عيسى عليه السلام، فَتَفرّقوا بين مؤمن به ومكذِّب، فهي عادة قديمة لهم[2]، ولعلّ القول الأوّل هو الصواب؛ فقوله تعالى: (الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) ظاهر في اليهود والنصارى معًا، وإلَّا لَكان التصريح بِذِكر أحدهما، ويؤيّد اللِّحَاق ما ذُهِب إليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [البينة: 6].

وقد أفاد النفي والاستثناء في الشاهد قصرَ تفرّقِ أهل الكتاب على مجيء الحجّة الواضحة، وبذلك نُفِي تفرّقهم قبل بعثة سيدنا محمَّد صلّى الله عليه وسلّم، ولأنَّه لم يكن ينقصهم العلم أفاد القصر بالنفي والاستثناء أيضًا المبالغة في ذمّهم، وتوبيخهم، وتقبيح عنادهم وكفرهم بالحقّ بعد مجيء الحُجَّة الواضحة الدالّة على أنّه هو الموعود في كتبهم دلالة جليّة لا ريب فيها، وكانوا من قبل متَّفقين على نبوَّته وصفته[3]. ولا يظهر هذا الأثر في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (تفرّق الذين أُوتوا الكتاب بعد أنْ جاءتهم البيّنة)، وإنْ كان في هذه الجملة ذمّ لأهل الكتاب إلَّا أنَّها لا توحي بالمبالغة فيه ولا بزيادة التقبيح لفعلهم الشنيع، وهي لا تدلّ على نفي تفرّقهم في غير ذلك الوقت.

الفرع الخامس: الإنكار والإبطال: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [المجادلة: 2].

موضع الشاهد من الآية: (إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق النفي (إِنْ) والاستثناء (إلَّا)، والاستثناء في قوله: (إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ) استثناء من صفات أو أحوال محذوفة، والتقدير: (ما أمّهات المظاهِرين في الحقيقة في حالة من

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 540)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 782)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 328)، **البحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 519)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 185)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 427).

(2) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (32/ 241)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 478).

(3) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (15/ 427).

الحالات إلَّا في حالة ولادتهن لهم) هذا من حيث المعنى، وأمَّا من حيث اللفظ فهو استثناء من عموم الأخبار.

المقصور: (أُمَّهَاتُهُمْ)، مبتدأ مضاف، وهو الموصوف، والمقصود: أمّهات المظاهِرين في الحقيقة.

المقصور عليه: (اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ)، الاسم الموصول وصلته يحملان صفة تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الولادة.

المقصور عنه: كلّ الصفات ما عدا صفة الولادة.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فقد قُصِرت أمّهات المظاهِرين في الحقيقة على صفة الولادة.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ، وليس قصرًا حقيقيًّا كما يرى ابن عاشور[1]؛ فالمقصور عنه هو كلّ الصفات ما عدا صفة الولادة كالمرضعات وأمّهات المؤمنين رضي الله عنهن، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي بيان شأن الظهار والحكم المترتب عليه شرعًا.

- باعتبار حال المخاطَب: المخاطَب بهذه الآية العرب[2]، والقصر قصر قَلْب؛ فقد قُلِب عليهم اعتقادهم، فأُبْطِل تحريم المرأة التي يظاهر منها زوجها بعد أنْ كان الظهار طلاقًا في الجاهلية يقتضي تأبيد التحريم.

أثر القصر في التفسير:

ذهب المفسّرون إلى أنَّ المعنى: ليست الزوجات المظاهر منهن بأمّهات بذلك الظهار لِانعدام حقيقة الأمومة منهن؛ إذْ لم يلدن أزواجهن المظاهرين لهن، فلا يحرمن عليهم[3]، ويؤكّد السياق ما ذهب إليه

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 12).

(2) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 485)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 481)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 216)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 199).

(3) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 228)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 485، 486)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 482)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 192)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 121)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 216)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 200)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 12).

المفسِّرون؛ إذ قال الله تعالى قبله: (مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ) فإن ذلك تكذيب للمظاهِرين، ثمّ قال بعده: (وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ) فسمَّاه منكَرًا وزورًا، وأخبر بأنَّه يعفو عنهم ويغفر لهم، والعفو والمغفرة لا تكون إلَّا عن ذنب.

وقد بيّن الله في بداية الآية حقيقة الظهار؛ إذ إنّ الزوجات لَسْنَ أمّهات حتَّى يحرمن كالأمّهات، ثمّ أتى القصر بالنفي والاستثناء في الشاهد فَقَصَر الأمّهات على الوالدات، وفي الوقت ذاته أفاد أنَّ الزوجة لا تصير أمًّا بكلمةٍ تقال، وبذلك أعطى هذا الأسلوب -بالإضافة إلى معنى القصر- معنى الإبطال لِحكم الظهار لِمَا فيه من تبديل لِحكم الله تعالى بإلحاق الزوجة بالأم[1]، وهذا ما يتنافى مع مقتضى الزوجية، ولا يظهر هذا الأثر في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (أمّهاتهم اللائي ولدنهم)، وَمِن البلاغة قوله تعالى: (إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ)، فكأنَّه قيل: (ما هو كما يقولون بل أمّهاتهم اللائي ولدنهم).

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 12).

المبحث الثالث

عرض النتائج وتحليلها

استُقرِيت سور المفصَّل لاستخراج شواهد القصر بالنفي والاستثناء، وَفِيما يأتي نتائج الاستقراء متضمِّنةً نوع القصر في كلّ شاهد وأثره في التفسير.

المطلب الأول: نتائج استقراء أثر القصر بالنفي والاستثناء في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة:

يُلخِّص الجدول رقم (1) دارسة أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في المكيّ من سور المفصَّل:

الجدول رقم (1)؛ أثر أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة

الأثر	الشاهد	نوع القصر			العدد
		باعتبار المقصور والمقصور عليه	باعتبار الحقيقة والواقع	باعتبار حال المخاطَب	
التأكيد	﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18].	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	9
	﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: 42].	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	
	﴿مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: 52].	قصر موصوف على صفة	حقيقي مجازي	–	
	﴿لَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النجم: 29].	قصر موصوف على صفة	إضافي	إفراد	
	﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: 50].	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	
	﴿لَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: 27].	قصر موصوف على صفة	حقيقي مجازي	–	
	﴿مَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ [المدثر: 31].	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	
	﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ: 24، 25].	قصر موصوف على صفة	إضافي	تعيين	
	﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: 38].	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	–	

الجدول رقم (1)؛ أثر أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة					
الأثر	الشاهد	نوع القصر			العدد
		باعتبار المقصور والمقصور عليه	باعتبار الحقيقة والواقع	باعتبار حال المخاطَب	
الإظهار	﴿لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: 39].	قصر موصوف على صفة	إضافي	تعيين	8
	﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك: 9].	قصر موصوف على صفة	إضافي	إفراد	
	﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ [الملك: 19].	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	
	﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح: 6].	قصر موصوف على صفة	حقيقي مجازي	–	
	﴿لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح: 21].	قصر موصوف على صفة	حقيقي مجازي	–	
	﴿لَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ [نوح: 24].	قصر موصوف على صفة	حقيقي مجازي	–	
	﴿مَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ [البروج: 8].	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	
	﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ [الليل: 15].	قصر صفة على موصوف	إضافي	تعيين	
الإعلام والتنبيه	﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: 36].	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	5
	﴿لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا... إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾ [الجن: 21- 23].	قصر موصوف على صفة	إضافي	إفراد	
	﴿مَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [المدثر: 56].	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	
	﴿مَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: 30]، [التكوير: 29].	قصر موصوف على صفة	حقيقي تحقيقي	–	
الإنكار والإبطال	﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ [النجم: 28].	قصر موصوف على صفة	حقيقي مجازي	–	4
	﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: 60].	قصر موصوف على صفة	إضافي	إفراد	
	﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن: 26، 27].	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	–	
	﴿مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: 31].	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	–	

الجدول رقم (1)؛ أثر أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة					
الأثر	الشاهد	نوع القصر			العدد
		باعتبار المقصور والمقصور عليه	باعتبار الحقيقة والواقع	باعتبار حال المخاطَب	
التأييس	﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: 33].	قصر موصوف على صفة	حقيقي مجازي	–	4
	﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: 26].	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	–	
	﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: 30].	قصر موصوف على صفة	إضافي	تعيين	
	﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: 6].	قصر موصوف على صفة	إضافي	تعيين	
التهكم والاستهزاء	﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [النجم: 23].	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	4
	﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم: 23].	قصر موصوف على صفة	حقيقي مجازي	–	
	﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر: 24].	قصر موصوف على صفة	إضافي	تعيين	
	﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: 25].	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	
الإكرام والإعلاء	﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: 25، 26].	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	–	3
	﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: 79].	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	–	
	﴿مَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [القلم: 52].	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	
التكذيب	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 4].	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	3
	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: 27].	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	
	﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ [الليل: 17- 20].	قصر موصوف على صفة	إضافي	تعيين	
الإثبات	﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [المزمل: 9].	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	–	2

الجدول رقم (1)؛ أثر أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة					
الأثر	الشاهد	نوع القصر			العدد
		باعتبار المقصور والمقصور عليه	باعتبار الحقيقة والواقع	باعتبار حال المخاطَب	
	﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: 46].	قصر موصوف على صفة	إضافي	إفراد	
التعليل	﴿مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	2
	﴿مَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المدثر: 31].	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	
الترهيب	﴿مَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: 31].	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	2
	﴿مَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المطففين: 12، 13].	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
الإذلال والتحقير	﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة: 37].	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	1
الذمّ والتوبيخ	﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الملك: 20].	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	1
الحرص	﴿لَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: 28].	قصر موصوف على صفة	حقيقي مجازي	-	1

المطلب الثاني: نتائج استقراء أثر القصر بالنفي والاستثناء في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة:

يُلخِّص الجدول رقم (2) دارسة أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في المدنيّ من سور المفصَّل:

الجدول رقم (2)؛ أثر أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة					
الأثر	الشاهد	نوع القصر			العدد
		باعتبار المقصور والمقصور عليه	باعتبار الحقيقة والواقع	باعتبار حال المخاطَب	
الإثبات	﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: 22].	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	4
	﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الحشر: 22]، و[الحشر: 23]، و[التغابن: 13].	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	

الجدول رقم (2)؛ أثر أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة					
الأثر	الشاهد	نوع القصر			العدد
		باعتبار المقصور والمقصور عليه	باعتبار الحقيقة والواقع	باعتبار حال المخاطَب	
التعريض	﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجادلة: 7].	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	3
الإعلام والتنبيه	﴿مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: 20].	قصر موصوف على صفة	حقيقي مجازي	–	2
	﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ [الطلاق: 1].	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	
التسلية	﴿لَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [المجادلة: 10].	قصر موصوف على صفة	حقيقي تحقيقي	–	2
	﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [التغابن: 11].	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	
الترغيب والتشجيع	﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: 14].	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	–	2
	﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: 7].	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	
الذمّ والتوبيخ	﴿مَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: 4].	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	2
	﴿مَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: 5].	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	
الإنكار والإبطال	﴿إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾ [المجادلة: 2].	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	1
التعليل	﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ [الحديد: 27].	قصر موصوف على صفة	إضافي	تعيين	1

المطلب الثالث: تحليل النتائج:

بلغ عدد شواهد القصر بالنفي والاستثناء في سور المفصَّل ستة وستين شاهدًا، منها تسعة وأربعون في الآيات المكيّة، وسبعة عشر في الآيات المدنيّة. وقد تعدَّدت أنواع القصر بالنفي والاستثناء في السور، ولم تقتصر على نوع واحد، فكان باعتبار الحقيقة والواقع حقيقيًّا في خمسة وعشرين شاهدًا، وإضافيًّا في واحد

وأربعين شاهدًا، وأمَّا باعتبار المقصور والمقصور عليه فَكان قصرَ موصوف على صفة في خمسين شاهدًا، وقصرَ صفة على موصوف في ستة عشر شاهدًا، انظر الجدول رقم (3).

الجدول رقم (3)؛ عدد شواهد القصر بالنفي والاستثناء في سور المفصَّل											
باعتبار الحقيقة والواقع						باعتبار المقصور والمقصور عليه					
قصر حقيقي			قصر إضافي			قصر موصوف على صفة			قصر صفة على موصوف		
الآيات المكيّة	الآيات المدنيّة	المجموع	الآيات المكيّة	الآيات المدنيّة	المجموع	الآيات المكيّة	الآيات المدنيّة	المجموع	الآيات المكيّة	الآيات المدنيّة	المجموع
19	6	25	30	11	41	37	13	50	12	4	16

وقد ظهرت آثار متعددة لأسلوب القصر بالنفي والاستثناء في تفسير سور المفصّل، وهي موضَّحة في الجدولين (4) و(5).

الجدول رقم (4)؛ آثار القصر بالنفي والاستثناء في تفسير المكيّ والمدنيّ من آيات المفصّل			
الأثر	العدد في الآيات المكيّة	العدد في الآيات المدنيّة	المجموع
الإعلام والتنبيه	5	2	7
الإثبات	2	4	6
الإنكار والإبطال	4	1	5
التعليل	2	1	3
الذمّ والتوبيخ	1	2	3

5

الجدول رقم (5)؛ آثار القصر بالنفي والاستثناء في تفسير المكيّ أو المدنيّ من آيات المفصّل			
الآيات المكيّة		الآيات المدنيّة	
الأثر	العدد	الأثر	العدد
التأكيد	9	التعريض	3
الإظهار	8	الترغيب والتشجيع	2
التأييس	4	التسلية	2
التهكم والاستهزاء	4		
الإكرام والإعلاء	3		
التكذيب	3		
الترهيب	2		
الإذلال والتحقير	1		
الحرص	1		

ويُلاحَظ من الجدول رقم (4) وجود آثار مشتركة للقصر بالنفي والاستثناء في تفسير المكيّ والمدنيّ من آيات المفصّل؛ وهي: الإعلام والتنبيه، والإثبات، والإنكار والإبطال، والتعليل، والذمّ والتوبيخ. وقد

انفردت الآيات المكيّة في الجدول رقم (5) ببعض الآثار؛ وهي: التأكيد، والإظهار، والتأييس، والتهكم والاستهزاء، والإكرام والإعلاء، والتكذيب، والترهيب، الإذلال والتحقير، والحرص، وانفردت الآيات المدنيّة بآثار أخرى؛ هي: التعريض، والترغيب والتشجيع، والتسلية.

خلاصة:

يمكن ممّا تقدَّم ملاحظة بعض سمات أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في سور المفصَّل، ومن أبرزها:

- كثرة هذا الأسلوب في الآيات المكيَّة من المفصَّل بالمقارنة مع الآيات المدنيَّة.

- تعدّد أنواعه، وقد كان قصر الموصوف على الصفة والقصر الإضافي أكثر الأنواع تكرارًا.

- تنوّع آثاره، فقد نال أثر التأكيد المرتبة الأولى بعدد الشواهد؛ إذ بلغ عدد شواهده تسعة شواهد، وتلاه في المرتبة الثانية أثر الإظهار بثمانية شواهد، وكان بعدهما في المرتبة الثالثة أثر الإعلام والتنبيه بسبعة شواهد.

- تشابُه بعض آثاره بين آيات المفصَّل المكيَّة والمدنيَّة، واختلاف بعضها الآخر.

- استعمال أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في الأخبار التي يجهلها المخاطَب وينكرها، أو فيما يُنزَّل هذه المنزلة، ويأتي في مقامات الشدّة والحسم.

- امتلاك هذا الأسلوب طاقة حِجاجية كبيرة؛ إذ يكون التركيب اللغوي الذي أُدخِل عليه هذا الأسلوب أنفع في إقامة الحُجَّة من التركيب الخالي منه، والنتيجة التي يُراد إيصال المخاطَب إليها مضمونة معه، الأمر الذي يفسّر كثرة ورود هذا الأسلوب في الآيات المكيّة بالمقارنة مع الآيات المدنيّة من المفصَّل.

الفصل الثاني

أثر أسلوب القصر بكلمتي (إِنَّما) و(أَنَّما) في تفسير آيات المفصَّل

تمهيد.

المبحث الأول: أثر أسلوب القصر بكلمتي (إِنَّما) و(أَنَّما) في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة.

المبحث الثاني: أثر أسلوب القصر بكلمتي (إِنَّما) و(أَنَّما) في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة.

المبحث الثالث: عرض النتائج وتحليلها.

خلاصة.

تمهيد:

تفيد (إنَّما)، مكسورة الهمزة مشدّدة النون، القصر عند الجمهور، فقيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم[1]، واستدلُّوا على إفادتها إيَّاه بثلاثة أمور؛ أوَّلها: أنَّها تثبت ما يُذكَر بعدها وتنفي ما سواه[2]، كقولك: (إنّما جاءني زيد)، فإنّك تنفي أن يكون الجائي غيره، ومعنى الكلام معها شبيه بالمعنى في قولك: (جاءني زيد لا عمرو)، إلَّا أنَّه مع (إنّما) يُعقَل إيجاب الفعل لِشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة في حال واحدة[3]، وثانيها: كَونها متضمِّنة معنى (ما) و(إلَّا)، وثالثها: صحة انفصال الضمير معها، كقولك: (إنّما يُضرَب أنا)، كما تقول (ما يُضرَب إلَّا أنا)[4].

ودلالة (إنّما) على القصر بالوضع[5]، والأصل عند استعمالها النصّ على المثبَت دون المنفي[6]، ويكون دخولها على الجملة موجِّهًا لمعناها، ويؤدي حذفها إلى تغيير المعنى السياقي للجملة، ومن ذلك قولهم: (ما جاءني زيد وإنّما جاءني عمرو)، فلو لم تدخل وقيل: (ما جاءني زيد وجاءني عمرو) لكان الكلام مع مَن ظنَّ أنَّهما جاءاك جميعًا، وأمَّا مع دخولها فيكون الكلام مع مَن غلط في عين الجائي، فظنَّ أنَّه كان زيدًا لا عمرًا[7].

وقد أنكر قوم إفادة (إنّما) القصرَ ومنهم أبو حيَّان[8] الذي يرى أنَّها لِمجرَّد التوكيد، وقد رُدَّ رأيه

---

(1) انظر: **الإتقان في علوم القرآن، السيوطيّ** (3/ 168).

(2) انظر: **دلائل الإعجاز، الجرجانيّ** (ص 335)، **ومفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 291)، **والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (3/ 26)، **والإتقان في علوم القرآن، السيوطيّ** (3/ 168)، **وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيديّ** (2/ 231).

(3) انظر: **دلائل الإعجاز، الجرجانيّ** (ص 335).

(4) انظر: **مفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 291)، **والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (25، 26)، **وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيديّ** (2/ 231).

(5) انظر: **مفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 292)، **والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (3/ 30)، **والأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ابن عربشاه** (1/ 48)، **وجواهر البلاغة، أحمد الهاشمي** (ص 169)، **وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيديّ** (2/ 233).

(6) انظر: **الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (3/ 31).

(7) انظر: **دلائل الإعجاز، الجرجانيّ** (ص 354).

(8) انظر: **الإتقان في علوم القرآن، السيوطيّ** (3/ 168).

هذا[1]، ومن أحسن ما استُدِلّ به على أنَّها للقصر قوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ [آل عمران: 20]، فإنّها لو لم تكن للقصر لَكانت بمنزلة قولك: (وإن تولّوا فعليك البلاغ)، وهو عليه البلاغ تولّوا أو لم يتولّوا، والذي رُتِّب على تولّيهم نفيُ غير البلاغ، والمراد تسليته صلَّى الله عليه وسلَّم وأنَّ توليهم لا يضرّ وهو دلالة القصر[2].

والمتتبع لأبي حيَّان في تفسيره (البحر المحيط) يجد له مواقف عدّة؛ فحينًا يُصرّح بأنَّ (إنّما) لا تدلّ على القصر بالوضع، ولا فرق بين: (إنّ زيدًا قائم)، و(إنّما زيد قائم)، وإذا فُهِم قصر، فإنَّما يُفهَم من سياق الكلام لا أنَّ (إنّما) دلَّت عليه، ويذكر أنَّ إعمال (إنّما) وفقًا لأصحابه غير مسموع من لسان العرب[3]، وحينًا يتردَّد في إفادتها القصرَ، كما هو الحال عند تفسيره لِقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 60]؛ إذ يقول: "ولفظة إنَّما إنْ كانت وُضعِت للحصر فالحصر مستفاد من لفظها، وإنْ كانت لم تُوضَع للحصر فالحصر مستفاد من الأوصاف، إذ مناط الحكم بالوصف يقتضي التعليل به، والتعليل بالشيء يقتضي الاقتصار عليه"[4]، إذ لمَّا ذكر الله تعالى مَن يعيب الرسول في قسم الصدقات، بَيَّن مصرفها بِذِكْر أوصاف مُستَحقّيها، وأنَّه عليه الصلاة والسلام إنَّما قسَّمها على ما فرضه تعالى[5]، وحينًا يجعل (إنَّما) مفيدةً القصرَ فيقول: "﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [هود: 33]، أي ليس ذلك إلي إنَّما هو للإله الذي يعاقبكم على عصيانكم إن شاء"[6]، وفي الحقيقة أنَّ أبا حيّان في تفسيره لم ينفِ نفيًا قاطعًا إفادتها القصرَ، ولعلَّه يقصد أنَّ هذا اللفظ لا يفارقه التأكيد فإنْ فُهِم قصر فَمِن سياق الكلام.

وقد نازع بعض العلماء في إفادة (أنَّما)، مفتوحة الهمزة مشدّدة النون، القصرَ[7]، في حين رأى الزمخشريّ والبيضاويّ أنَّها من طرق القصر، وهذا ما يتجلَّى في تفسيرهما لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ

(1) انظر: **مغني اللبيب، ابن هشام** (ص 59)، **والإبهاج، تقي الدين السبكي** (1/ 358).

(2) انظر: **الإبهاج، تقي الدين السبكي** (1/ 358).

(3) انظر: **البحر المحيط، أبو حيَّان** (1/ 100).

(4) **المصدر نفسه** (5/ 440).

(5) انظر: **المصدر نفسه**.

(6) **المصدر نفسه** (6/ 146).

(7) انظر: **أساليب القصر، صبّاح درّاز** (ص 215).

﴿إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الأنبياء: 108][1]، وذُكِر أنَّ كلمة (أنَّما) تلحق بكلمة (إنّما)؛ لأنَّها فرع عنها وما ثبت للأصل ثبت للفرع ما لم يوجد مانع منه والأصل عدمه[2]، وأنَّ الموجب للقصر في (إنّما) موجود في (أنّما)؛ فمن قال أنَّ سبب إفادة (إنّما) القصرَ تضمّنها معنى (ما) و(إلَّا) قال بذلك في (أنّما) لِوجود هذا السبب فيها، ومن قال أنَّ السبب اجتماع حرفي توكيد قال به في (أنَّما) أيضًا لذلك[3].

ويلي (إنّما) المقصور دائمًا ويُؤخَّر المقصور عليه وجوبًا[4]؛ كقولك: (إنّما زيد قائم)، أي: ما زيد إلَّا قائم، فالمقصور عليه هو (قائم)، ومِن ثَمَّ الواقع أخيرًا هو المقصور عليه أبدًا. ولا يجوز تقديم المقصور عليه مع (إنّما) على غيره لِلالتباس، وإنّما جاز ذلك في (ما) و(إلَّا) على قلّة لِعدم الالتباس بناء على أنَّ المقصور عليه هو المذكور بعد (إلَّا) سواء قُدِّم على المقصور أو أُخِّر عنه[5]، وأمَّا مع (إنَّما) فيقع الاختصاص في المؤخَّر منهما دون المقدَّم، فإذا قلتَ: (إنَّما ضرَب زيدًا عمرو)، كان الاختصاص في الضارب، أي: عمرو، وإذا قلتَ: (إنَّما ضرَب عمرو زيدًا)، كان الاختصاص في المضروب، أي: زيدًا[6].

(1) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (3/ 139)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (4/ 62)، **ومغني اللبيب، ابن هشام** (ص 59)، **والإتقان في علوم القرآن، السيوطيّ** (3/ 169). **الزمخشريّ** هو محمود بن عمر بن محمّد الخوارزمي، جار الله، وُلِد في زمخشر سنة 467هـ، وتُوفِّيَ في الجرجانية سنة 538 هـ، كان من أئمة التفسير والحديث والنحو واللغة والأدب، أخذ النحو عن أبي مضر منصور، ومن تصانيفه: (الكشاف) في تفسير القرآن، و(الفائق) في تفسير الحديث، و(أساس البلاغة) في اللغة، و(المفصّل) في النحو، و(المستقصى) في أمثال العرب. انظر: **معجم الأدباء، الروميّ** (6/ 2687– 2691)، **ووفيات الأعيان، ابن خلكان** (5/ 168– 174). **البيضاويّ** هو عبد الله بن عمر بن محمّد بن علي الشيرازيّ، وُلِد في المدينة البيضاء، وتُوفِّيَ بتبريز سنة 685 هـ، وهو قاضٍ، ومفسِّر، وعالم أذربيجان. ومن مصنفاته: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) في التفسير، (المنهاج) في الأصول، (الغاية القصوى) في الفقه، (الطوالع) في الكلام. انظر: **البداية والنهاية، ابن كثير** (13/ 363)، **وبغية الوعاة، السيوطيّ** (2/ 50، 51).

(2) انظر: **الأقصى القريب، التنوخي** (346/2)، **والإتقان في علوم القرآن، السيوطيّ** (3/ 170).

(3) انظر: **حاشية الدسوقي على مختصر المعاني** (2/ 249).

(4) انظر: **دلائل الإعجاز، الجرجانيّ** (ص 345)، **والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (3/ 45، 46)، **وجواهر البلاغة، أحمد الهاشمي** (ص 168)، **وعلم المعاني، عبد العزيز عتيق** (ص 151)، **والبلاغة العربية، عبد الرحمن حَبَنَّكَة الميداني** (1/ 531)، **والبلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، فضل عباس** (ص 367).

(5) انظر: **الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (3/ 45، 46).

(6) انظر: **دلائل الإعجاز، الجرجانيّ** (ص 340).

وتأتي (إنَّما) مع خبر لا يجهله المخاطَب ولا يدفع صحته، أو لِمَا هو منزَّل منزلة جهل المخاطَب؛ فالأصل أنْ تُستعمَل في حكم لا يحتاج لِتحقيقٍ إمَّا لأنَّه في نفس الأمر جليّ أو لِأنَّك تدّعيه جليًّا[1]، ومِن الأوَّل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام: 36]، وذلك أنَّ كلّ عاقل يعلم أنَّه لا تكون الاستجابة إلَّا مِمَّن يسمع ويعقل ما يقال له، وأنَّ مَن لم يسمع ولم يعقل لم يستجب، ومِن الثاني قولك: (إنَّما هو أخوك)، لا تقوله لِمَن يجهل ذلك ويدفع صحته، ولكن لِمَن يعلمه ويقرّ به، إلَّا أنَّك تريد أنْ تنبِّهه لِلواجب عليه مِن حقّ[2].

ويشير البلاغيّون إلى أنَّ القصر بـ (إنَّما) هو للمعاني المأنوسة القريبة من النفوس، ولا تدخل على الحقائق الغريبة، وهذا بخلاف القصر بالنفي والاستثناء الذي يكون للمعاني الشديدة الحادَّة وللحقائق النادرة التي تنكرها النُّفوس وتمقتها، ويقال للذي يشعر بِشيء من اللوم والنُّفور تجاه صديقه: (لا تغضب من زيدٍ، فإنَّما هو صديقك)، فبذلك يُمتَص غَضَبُه بِلين ورفقٍ، في حين لو قيل: (لا تغضب من زيدٍ، فما هو إلَّا صديقك)، لَكان هذا القول غير مناسب للمقام، لأنَّ فيه قعقعة وجَلبة، والسياق هنا سياق ملاطفة ومعاينة[3].

وأحسن ما يكون موقعًا لِكلمة (إنَّما) إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: 19]، فهو تعريض بِذمّ الكفّار، وإنَّهم مِن فرط الغباء وغلبة الهوى عليهم في حكم مَن ليس بِذي عقل[4].

---

(1) انظر: **دلائل الإعجاز، الجرجانيّ** (ص 330، 331)، **ومفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 295، 296)، **وجواهر البلاغة، أحمد الهاشمي** (ص 170).

(2) انظر: **دلائل الإعجاز، الجرجانيّ** (ص 330، 331)، **ومفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 295، 296).

(3) انظر: **دلالات التراكيب، محمّد أبو موسى** (ص 148).

(4) انظر: **دلائل الإعجاز، الجرجانيّ** (ص 354)، **والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (3/ 39). **والتعريض**: هو اللفظ الدالّ على شيء مِن طريق المفهوم، ويختصُّ باللفظ المركب، ولا يأتي في اللفظ المفرد البتَّة. انظر: **المثل السائر، ابن الأثير** (2/ 186).

المبحث الأول

أثر أسلوب القصر بكلمتي (إِنَّما) و(أَنَّما) في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة

يتضمَّن هذا المبحث آثارَ أسلوب القصر بكلمتي (إِنَّما) و(أَنَّما) في تفسير الآيات المكيَّة من المفصَّل، وشواهدَ لتلك الآثار.

المطلب الأول: بيان المعنى:

الفرع الأول: الإظهار: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الملك: 26].

موضع الشاهد: (إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق (إِنَّمَا).

المقصور: كلمة (الْعِلْمُ)، ولام التعريف فيها للعهد، والمراد هو العلم بِوقت الوعد الوارد في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الملك: 25][1]، والوعد المشار إليه هو الحشر المستفاد من قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الملك: 24][2].

المقصور عليه: (عِنْدَ اللَّهِ)؛ أي: كونه عند الله، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كَون العلم عند أي شيء ما سوى الله عزّ وجلّ.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة العلم بِوقت يوم القيامة على كَونها لله وحده.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ تحقيقيّ؛ فَعِلْم وقت وقوع الساعة من الغيب الذي اختصّ الله تعالى به، ولم يُطلِع عليه أحدًا من خلقه، وجاءت نصوص الكتاب والسنة بِنفي علم الخلق بوقت

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 49).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 517).

الساعة بخصوصه؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [لقمان: 34]، وقال أيضًا: ﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةً ﴾ [الأعراف:187]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «مَفَاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: .... وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ»[1].

أثر القصر في التفسير:

ذهب المفسّرون إلى أنَّ معنى الشاهد: إنَّ العلم بِوقت الحشر عند الله عزّ وجلّ لا يُطلِع عليه غيره[2]، ولا خلاف بين المفسِّرين في معنى الشاهد؛ إذْ علم الساعة من الغيبيات التي لا يعلمها إلَّا الله وحده.

وقد استُعمِلت (إنَّمَا) للقصر في الشاهد للدلالة على أنَّ هذا الأمر من الأمور الواضحة للعقلاء، ولا ينبغي أنْ يكون موضع إنكار أو شكّ، فكان مجيء القصر مُظْهِرًا كون العلم بوقت الساعة مختصًّا بالله تعالى وحده، ولا يعلم ذلك غيره؛ إذ "أَمَرَ الله رسولَه بِأنْ يجيب سؤالهم بجملة على خلاف مرادهم بل على ظاهر الاستفهام عن وقت الوعد على طريقة الأسلوب الحكيم، بِأن وقت هذا الوعد لا يعلمه إلَّا الله"[3]، ولا يظهر هذا الأثر في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (العلم عند الله)؛ فهي جملة خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب، فقد يكون العلم عند الله وقد يكون عند غيره، سبحانه عمَّا يصفون.

الفرع الثاني: الإعلام والتنبيه: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ﴾ [النازعات: 45].

موضع الشاهد من الآية: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا).

---

(1) **صحيح البخاريّ**: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ ﴾ [الرعد: 8] (6/ 79)، رقم الحديث (4697). **ابن عمر** هو الصحابي عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أبو عبد الرحمن، تُوفِّيَ في مكة سنة 73 هـ، محدِّث وفقيه، نشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة. انظر: **أسد الغابة، ابن الأثير** (3/ 236- 241)، **والأعلام، خير الدين الزركلي** (4/ 108).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 517)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 596)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 231)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 10)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 23)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 49).

(3) **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 49). **والأسلوب الحكيم** هو تلقّي المخاطَب بغير ما يترقَّب والسائل بغير ما يتطلّب، وذلك بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهًا على أنَّه الأولى بحاله. انظر: **مفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 327)، **والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (2/ 94).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق (إِنَّمَا).

المقصور: (أَنْتَ)؛ أي: الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم، والمقصود هنا مَهَمته، وهو الموصوف.

المقصور عليه: (مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا)، وهو خبر مضاف يحمل صفة تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الإنذار لِمَن يخاف أهوال الساعة.

المقصور عنه: كلّ الصفات ما عدا صفة الإنذار كإعلامهم وقت الساعة.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فقد قُصِرت مَهَمة المخاطَب وهو النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم على صفة الإنذار.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ الصفات ما عدا صفة الإنذار، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، فسورة النازعات تدور حول الساعة وأهوالها ومآل المتَّقين والكفَّار.

- باعتبار حال المخاطَب: قصر إفراد؛ ردًّا على ما اعتقدوه فيه -بما دلَّ عليه إلحاحهم على السؤال- من كَونه مُطَّلِعاً على الغيب[1].

أثر القصر في التفسير:

اتَّفق المفسّرون على أنَّ الرسول مبعوثٌ للإنذار من أهوال الساعة وليس لإعلام الناس بوقت حدوثها[2]، وأشار بعضهم إلى أنَّ هذا الإنذار عامّ لِجميع الناس، ولكن لا ينتفع به إلَّا مَن يخشى الساعة[3]، في حين

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 97).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 213)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 699)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (31/ 51)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 285)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 403)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 105)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 240)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 97).

(3) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (31/ 51)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 97).

أشار الآخرون إلى أنَّ هذا الإنذار موجَّه إلى مَن يخافون عقاب الله يوم القيامة[1]؛ فَهُم المنتفعون به[2]، ولعلَّ الفريق الأوَّل أقرب للدقّة؛ فالإنذار جاء عامًّا لِكلّ الخلق، وقد خُصَّ بِمَن يخشى لِأنّه المنتفع به، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: 2].

واستُعمِلت (إنَّما) للقصر في الشاهد لِأنّ الخبر كان بِأمرٍ يعلمه المخاطَب ولا ينكره بِحال؛ فَمَعلومٌ أنَّ الإنذار إنَّما يكون إنذاراً ويكون له تأثير، إذا كان مع مَن يؤمن بالله ويخشاه ويُصدِّق بِالساعة، وأمَّا الكافر الجاهل، فالإنذار وعدمه معه واحد[3]، وبذلك مهّدت (إنَّما) لِمَا سيأتي بعد الشاهد من قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ [النازعات: 46].

وقد جاء القصر بكلمة (إنَّما) مُعْلِمًا المشركين ومُنَبِّهَهُم إلى أنَّ الرسول ليس إلَّا محذِّرًا من أهوال الساعة[4]، وبعبارة أخرى كان القصر لِبيان وظيفة خاتم الأنبياء عليهم السلام بهذا الشأن[5]، وهذا الأثر لا يظهر عند عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (أنت مُنذِر مَن يخشاها)؛ فهي جملة خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب، بالإضافة إلى أنَّها لا تدلّ على نفي أنْ يكون له صفة أخرى كأنْ يكون عالمًا بِوقت الساعة.

المطلب الثاني: تعزيز المعنى:

الفرع الأول: التأكيد: قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾ [النازعات: 13].

موضع الشاهد: (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق (إنَّما).

---

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 213)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 699)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 285)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 403)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 105)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 240).

(2) انظر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 285)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 403)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 106).

(3) انظر: **دلائل الإعجاز، الجرجانيّ** (ص 331).

(4) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 95).

(5) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 105).

المقصور: المبتدأ (هِيَ)، وهو الموصوف، والمقصود ما عَبَّرَ عنه المشركون المكذّبون بِالبعث بِالكرّة؛ أي: إحياء العظام النَخِرَة.

المقصور عليه: (زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ)، خبر ونعته، يحملان صفة تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة السهولة.

المقصور عنه: كلّ الصفات ما عدا صفة السهولة.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فقد قُصِرت الكرّة على صفة السهولة في قدرته عزّ وجلّ، فهي حاصلة بصيحة واحدة.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ تحقيقيّ، وهذه الزجرة هي النفخة الثانية التي في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: 68] فهي ثانية للتي قبلها، وإنَّما أريد بِكونها واحدة أنَّها لا تُتْبَع بِثانية لها[1].

أثر القصر في التفسير:

ذهب المفسّرون إلى أنَّ معنى الشاهد: لا تحسبوا إحياء الله للأموات صعبًا عليه عزّ وجلّ فإنّه سهل هين في قدرته، وما هي إلّا صيحة واحدة[2]، والآية نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ﴾ [ص: 15].

وجاء القصر في الشاهد تأكيدًا على أنَّه ليس من الصعب على الله النشأة الثانية؛ فصيحة واحدة لا غير كافيةٌ لِإحياء الأموات[3]، وبذلك أفاد هذا القصر السرعةَ -وهو ما يتناسب مع إيقاع السياق السريع- وأدّى إلى معاينة ذلك المشهد الرهيب، ولا يتأتى أثر التأكيد في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (هي صيحةٌ واحدة)؛ فهي خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب.

---

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 72، 73).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 196)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 694)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (31/ 37)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 283)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 397)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 98)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 229)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 72).

(3) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 72).

المطلب الثالث: إضافة معنى جديد:

الفرع الأول: التسلية: قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ [الغاشية: 21].

موضع الشاهد: (إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق (إِنَّمَا).

المقصور: (أَنْتَ)، وهو الموصوف؛ أي: الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم، والمقصود هنا مَهَمته.

المقصور عليه: (مُذَكِّرٌ)، وهو خبر يحمل صفة تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة التذكير.

المقصور عنه: كلّ الصفات ما عدا صفة التذكير.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فقد قُصِرت مَهمته صلَّى الله عليه وسلَّم على صفة التذكير.
- باعتبار الحقيقة والواقع: "قصر إضافيّ"[1]؛ فالمقصور عنه هو كلّ الصفات ما عدا صفة التذكير، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي الأدلّة والبراهين على وحدانية ربّ العالمين وجلال سلطانه.
- باعتبار حال المخاطَب: المخاطَب هو رسولنا الكريم صلّى الله عليه وسلّم، والقصر قصر إفراد؛ ردًّا على ما يُعتَقد، فالرسول مُذَكِّر، ليس وكيلًا على تحصيل تذكُّر الناس، ولا حرج عليه من عدم تذكّرهم، فهو غير مقصّر في تذكيرهم[2].

أثر القصر في التفسير:

ذهب المفسّرون إلى أنَّ معنى الآية: ذَكِّر يا محمَّد بِآياتي، فإنّما أرسلتك إليهم مُذَكِّرًا لِتذكّرهم نعمتي عندهم،

(1) **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 306).

(2) انظر: **المصدر نفسه** (30/ 306، 307).

وتعرّفهم اللازم لهم، وتعظهم وتحذّرهم من تركه[1]، ولا يهمّنك أنَّهم لا ينظرون ولا يتذكّرون، فما عليك إلَّا البلاغ[2].

وأوثِرت كلمة (إنَّمَا) في التعبير هنا لِتدلّ على أنَّ اتِّصاف محمَّد صلّى الله عليه وسلّم بِصفة التذكير أمرٌ ظاهر بيِّن، فَقُصِرت مَهمة رسولنا الكريم -عليه الصلاة والسلام- على التذكير، فلا تبعة عليه من عدم إصغائهم لِتذكيره؛ إذ لم يُبعث ملجئًا لهم على الإيمان، وبذلك يكون القصر بها أفاد أيضًا التسلية والتطمين لِنفس رسولنا الزكية والتثبيت له[3]، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [ق: 45]، ولا يظهر هذا الأثر في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (أنت مذكِّر)؛ فهي جملة خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب، كما أنَّها لا تدلّ على نفي أنْ يكون له مَهَمة أخرى.

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 389)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 745)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (31/ 146)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 308)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 465)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 151)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 330)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 306، 307).

(2) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 745)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 308)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 465)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 151)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 330)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 306، 307).

(3) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 306، 307).

المبحث الثاني

أثر أسلوب القصر بكلمتي (إنَّما) و(أنَّما) في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة

يشتمل هذا المبحث على آثار أسلوب القصر بكلمتي (إنَّما) و(أنَّما) في تفسير الآيات المدنيَّة من المفصَّل، وشواهد لتلك الآثار.

المطلب الأول: بيان المعنى:

الفرع الأول: الإظهار: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: 9].

موضع الشاهد: (إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق (إِنَّمَا).

المقصور: (يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ)، وهي جملة فعلية تحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة النهي؛ أي: إنَّ المقصور هو صفة النهي.

المقصور عليه: (أَنْ تَوَلَّوْهُمْ)؛ أي: تولّي مَن تحقَّقت فيه الصفات المذكورة في الشاهد، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ الصفات ما عدا تولّي هؤلاء مثل مبرّتهم.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة النهي على موصوف هو تولّي هؤلاء الأشخاص.
- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ الأحوال ما عدا تولّي مَن تحقَّقت فيه الصفات المذكورة، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي حُكْم الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم وحُكْم الذين قاتلوا المؤمنين وآذوهم.

■ باعتبار حال المخاطَب: "قصر قَلْب؛ لِردّ اعتقاد مَن ظنّ أو شكّ في جواز صلة المشركين على الإطلاق"[1].

أثر القصر في التفسير:

اختلف المفسّرون في معنى الشاهد على ثلاثة أقوال؛ أوَّلها: إنّما ينهاكم الله عن تولّي مَن اتَّصف بهذه الصفات[2]، وثانيها: لا ينهاكم الله عن برّ هؤلاء الأشخاص، وإنّما ينهاكم عن تولّيهم[3]، وثالثها: إنَّما ينهاكم الله عن صِلة مَن تحقَّقت فيهم هذه الصفات[4].

ويبدو أنَّ مآل القولين التفسيريين الأوَّل والثاني واحد، فالنهي مقتصر على تولّي هؤلاء الأشخاص، ولعلّ هذا هو الراجح في تفسير الشاهد؛ إذ إنَّ الصلة والبِرّ من أخلاق الإسلام الحميدة التي غرسها في نفوس المسلمين، ولم تقتصر الصِّلة والبِرّ على المسلمين فحسْب، بل شملت غير المسلمين، لا سيَّما مَن تربطهم بالمسلمين روابط نسب، وعن أسماء بنت أبي بكر[5] -رضي الله عنهما- أنَّها قالت: "أَتَتْنِي أُمِّي رَاغِبَةً، فِي عهدِ النبيِّ صلَّى اللهُ علَيْهِ وَسلَّمَ، فسألْتُ النبيَّ صلَّى اللهُ علَيْهِ وَسلَّمَ: آصِلُهَا؟ قالَ: «نَعَمْ»، قال ابن عيينة: فأنزلَ اللهُ تعالى فيها: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [الممتحنة: 8]"[6]، ولعلَّ استعمال (إنَّما) في الشاهد يُنْبِئ بأنَّ هذا الأمر من الأمور المعلومة التي لا ينكرها ولا يدفعها أحد.

---

(1) **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 153).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 324)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 239)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 270).

(3) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 516)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 521).

(4) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 153).

(5) **أسماء بنت أبي بكر** هي الصحابية أسماء بنت أبي بكر الصدّيق عبد الله بن أبي قُحَافَة، تُوفِّيَت في مكة سنة 73 هـ، لُقبت بذات النطاقين؛ لأنها شقَّت نطاقها وربطت به الطعام للنبيّ وأبيها حين خرجا مهاجرين إلى المدينة المنورة، وقد شهدت اليرموك مع ابنها عبد الله بن الزبير وزوجها الزبير بن العوام، ولها 56 حديثًا. انظر: **حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني** (2/ 55)، **والأعلام، خير الدين الزركلي** (1/ 305).

(6) **صحيح البخاريّ**: كتاب الأدب، باب صلة الوالد المشرك (8/ 4)، رقم الحديث (5978). **ابن عيينة** هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، تُوفِّيَ في مكة سنة 198 هـ، عالم ثبت مجمع على صحة حديثه وروايته، وقد روى عن الزهري وعمرو بن دينار وعاصم بن أبي النجود المقرئ وغيرهم، وروى عنه الإمام الشافعي وشعبة بن الحجاج ومحمد ابن إسحاق وخلق كثير. انظر: **وفيات الأعيان، ابن خلكان** (2/ 391)، **والأعلام، خير الدين الزركلي** (3/ 105).

وبعد الرجاء الوارد في السِّبَاق –وهو من كلام الله تعالى المخاطِب به المسلمين كنايةً عن تحقيق المرجو بأنْ يجمعهم وأعدائهم– أتى القصر بكلمة (إنَّمَا) مُشْعِرًا بِالرفق بِالمسلمين ومحدِّدًا أسس تعاملهم مع غير المسلمين، فأفاد هذا القصر إظهار وحَصْرَ الفئات التي يتوجب على المسلمين مقاطعتها، فالخصومة خاصّة بِمَن ناصب المسلمين العداوة؛ فقاتلوهم وأخرجوهم، وعاونوا على إخراجهم، ولا يكون هذا الأثر جليًّا في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أنْ تولَّوهم)، فهي لا تدلّ على نفي نهيهم عن تولّي غير هذه الفئات.

الفرع الثاني: الإعلام والتنبيه: قوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [التغابن: 12].

موضع الشاهد: (فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق (إنَّمَا).

المقصور: (عَلَى رَسُولِنَا)؛ والرسول: سيدنا محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم، والمقصود مَهَمته، وهو الموصوف.

المقصور عليه: (الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)، مبتدأ مؤخَّر مع نعته، يحملان صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة البلاغ على الوجه الأكمل.

المقصور عنه: كلّ الصفات ما عدا صفة البلاغ المبين كصفة الهداية.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: "قصر موصوف على صفة؛ فالرسول صلَّى الله عليه وسلَّم مقصور على لزوم البلاغ له، لا يعدو ذلك إلى لزوم شيء آخر"[1].

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ الصفات ما عدا صفة البلاغ الواضح، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي الأمر بِطاعة الله عزّ وجلّ وبِطاعة رسوله الكريم.

(1) **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 281).

■ باعتبار حال المخاطَب: المخاطَب هم المؤمنون، وهو قصر قَلْب تنزيلًا لهم -في حالة العصيان المفروض- منزلة مَن يعتقد أنَّ الله لو شاء لأجبرهم على العمل بِمَا أمرهم به، وذلك حثًّا لهم على الطاعة[1].

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد ثلاثة أقوال؛ الأوَّل: ليس على رسولنا محمَّد إلا إبلاغكم لِمَا أرسلته به، وقد أعذر إليكم بالإبلاغ والله ولي الانتقام مِمَّن عصاه وخالف أمره[2]، والثاني: ما على رسولنا إلَّا أنْ يُبلِّغ ويبيّن فحسب[3]، والثالث: وظيفة رسولنا التبليغ، وقد فعل ذلك[4]، ولعلَّ القول الثاني في تفسير الشاهد هو الراجح؛ إذ إنَّ القول الأوَّل هو الأنسب لتفسير قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [المائدة: 92]، فهو ما يدلّ عليه السياق وقد ورد فيه التحذير أيضًا، وأمَّا القول الثالث فلم يُعبِّر عن معنى الشاهد بِشكلٍ دقيقٍ؛ إذ قد يكون على الرسول وظيفة أخرى غير التبليغ.

ويُلاحَظ في الشاهد طريقان للقصر- إنَّما وتقديم ما حقّه التأخير- وهما متعارضان في المعنى؛ إذ يأتي المقصور بعد إنّما مباشرة ويكون المؤخَّر هو المقصور عليه، وأمَّا في طريق التقديم فيكون المقصور عليه هو المقدَّم، والمؤخَّر هو المقصور، وبناء عليه اعتُمِد طريق القصر الذي يقتضيه المقام وهو طريق (إنَّما)، وأُلغي الطريق الآخر.

وبعد ذِكْر مصير الكفّار يوم القيامة كان مناسبًا استعمال القصر بكلمة (إِنَّمَا) للإعلام وللتنبيه إلى أنَّ مَهَمة الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم هي محضّ البلاغ[5]، وَبِتَبليغه هذا أقام الحُجَّة عليهم فاستحقّوا على تولّيهم ما ينتظرهم من عقوبة ذُكِرت في السِّبَاق، ولا يتَّضح أثر الإعلام والتنبيه في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (على رسولنا البلاغ المبين)؛ فهي جملة خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب،

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 281).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 422)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 281).

(3) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 549)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 258)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 320).

(4) انظر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 218).

(5) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 258).

أي: تحتمل أنْ يكون عليه البلاغ المبين وتحتمل عدمه، كما أنَّها لا تدلّ على نفي أنْ يكون عليه مَهَمة أخرى غير البلاغ.

المطلب الثاني: إضافة معنى جديد:

الفرع الأوّل: الترهيب: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ [التغابن: 15].

موضع الشاهد: (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق (إِنَّمَا).

المقصور: (أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ)، وهو الموصوف.

المقصور عليه: (فِتْنَةٌ)، خبر يحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة التسبّب بِالفتن والمحن.

المقصور عنه: كلّ الصفات ما عدا صفة التسبّب بِالفتن.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فقد قُصِرت الأموال والأولاد على كَونهم مسبّبين لِلفتن والمحن.
- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ مجازيّ لِكثرة ملازمة هذه الصفة للموصوف؛ إذ مِن النادر أنْ يخلو أفراد هذين النوعين–وهما أموال المسلمين وأولادهم– عن الاتّصاف بالفتنة لِمَن يتلبّس بهما، فالشغل بالمال والعناية بالأولاد فيه فتنة[1].

أثر القصر في التفسير:

هناك خمسة أقوال في تفسير الشاهد؛ الأوَّل: لا بلاء أعظم من الأموال والأولاد؛ لأنَّهم يوقعون في الإثم

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 286).

والعقوبة[1]، والثاني: ما أموالكم وأولادكم إلَّا بلاء عليكم في الدنيا[2]، والثالث: إنَّما أموالكم وأولادكم بلاء ومحنة؛ لأنَّهم يوقعون في الإثم[3]، والرابع: إنّما أموالكم وأولادكم اختبار لكم[4]، والخامس: ليست أموالكم وأولادكم إلَّا سبب فتنة[5]، ولعلَّ القول الأخير هو الراجح؛ إذ إنَّ الأموال والأولاد -في معظم أحوال الحياة الدنيا- هم سبب فتنة، وهذه الحقيقة لا يعيها أغلب الناس، لذلك جعل الله عزّ وجلّ هذا الأمر المجهول كأنّه معلوم، لِيَظلّ حاضرًا في ذهن المخاطَبين، ولا تصرفهم أموالهم وأولادهم عمَّا هو أعظم، ألَّا وهو العمل من أجل الدار الآخرة.

وقد استُعمِلت كلمة (إنَّمَا) في الآية فَقَصَرَت الأموال والأولاد على كَونهم سبب فتنة -سواء سَعَوا في فعل الفتن أم لم يَسْعَوا- ولأنَّهم بِفتنتهم يوقعون بِالمعاصي فقد أضاف القصر معنى آخر هو التحذير للناس والترهيب لهم من تلك الفتنة[6]، ولا يكون هذا الأثر واضحًا لو جُرِّد الشاهد من (إنَّمَا) كما في الجملة: (أموالكم وأولادكم فتنة)، فهي تفيد مجرَّد الإخبار؛ إذ هناك تأويلات أخرى ممكنة لها، في حين يُظهِر دخول القصر على الجملة القصدَ الحِجاجيّ، فَتُصبح النتيجة الممكنة واحدة. ويمكن استنتاج صورة الاستدلال المنطقي كالآتي: الله عنده أجر عظيم، آمنوا واتَّقوا لِتفلحوا في الآخرة، إذن ليست أموالكم وأولادكم هداية ولا أمان لكم، فلا تغتروا بهم فتخسروا.

الفرع الثاني: التحقير: قوله تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد: 20].

موضع الشاهد: (أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق (أَنَّمَا).

---

(1) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 550).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 426)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 556).

(3) انظر: **البحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 192)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 259)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 321، 322).

(4) انظر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 219).

(5) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 286).

(6) انظر: **المصدر نفسه.**

المقصور: (الْحَيَاةُ الدُّنْيَا)؛ أي: أحوال الناس في الحياة الدنيا[1]، وهو الموصوف.

المقصور عليه: (لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ)، أخبار تنضوي على صفة الحقارة.

المقصور عنه: كلّ الصفات ما عدا صفة الحقارة.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فقد قُصِرت الحياة الدنيا في الأخبار الجارية عليها، والمقصود: قصر أحوال الناس في الحياة الدنيا على هذه الأمور الستة المحقَّرة[2].

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ مجازيّ؛ وذلك بالنظر إلى ما هو غالب على الناس من شؤون الحياة الدنيا[3].

أثر القصر في التفسير:

هناك قولان في تفسير موضع الشاهد؛ أوَّلهما: ليست الحياة الدنيا إلَّا لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر[4]، وثانيهما: الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر[5]، ولعلَّ القول الأوَّل هو الراجح بِدلالة السياق؛ إذ لما ذكر حال المؤمنين والكفَّار في الآخرة بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الحديد: 19] حقَّر أمور الدنيا، أي: ما لا يتوصل به إلى الفوز الآجل، ثمَّ عظَّم أمور الآخرة الأبدية بقوله: ﴿وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: 20] تنفيرًا عن الانهماك في الدنيا وحثًّا على ما يوجب كرامة العقبى[6].

---

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 401).

(2) انظر: **المصدر نفسه**.

(3) انظر: **المصدر نفسه**.

(4) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 193)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 478)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 189)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 109، 110)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 210)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 184)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 400).

(5) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 463).

(6) انظر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 189).

وتعقيبًا على السِّبَاق استُعمِل القصر بكلمة (أَنَّمَا) في الشاهد لِتوضيح حقيقة الحياة الدنيا؛ إذ إنَّ الدنيا بِغالب أمرها لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر، ولا شكّ أنَّ هذه الأشياء أمور محقَّرة لا يركن إليها العقلاء، لذلك نتج أيضًا عن هذا القصر معنى التحقير لِحال الحياة الدنيا[1]، ولا يبدو هذا الأثر جليًّا في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد)؛ لأنَّها تحتمل التصديق والتكذيب، فقد تكون الدنيا تلك الأشياء وقد تكون غيرها.

الفرع الثالث: التسلية: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المجادلة: 10].

موضع الشاهد: (إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق (إِنَّمَا).

المقصور: (النَّجْوَى)، والمقصود النجوى بالإثم والعدوان، وهو الموصوف، والتعريف في (النَّجْوَى) لا يمكن أنْ يكون للاستغراق، لأنَّ في النجوى ما يكون من الله ولله، والمراد منه المعهود السابق؛ أي: النجوى بالإثم والعدوان[2].

المقصور عليه: (مِنَ الشَّيْطَانِ)، جار ومجرور يحملان صفة تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة كَونها من الشيطان.

المقصور عنه: كلّ الصفات ما عدا صفة كَونها من الشيطان.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فقد قُصِرت النجوى على كَونها من الشيطان[3].

---

(1) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 478)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 189)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 109، 110)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 210)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 184).

(2) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 492).

(3) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (34/28).

■ باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ الصفات ما عدا صفة كَونها من الشيطان، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي موضوع التناجي، وكان هذا من دأب اليهود والمنافقين لِإيذاء المؤمنين، فبُيّن حكمه وحُذِّر المؤمنون من عواقبه[1].

■ باعتبار حال المخاطَب: الخطاب في الشاهد للمؤمنين، والقصر قصر قَلْب؛ فكان المؤمنون إذا رأوهم متناجين، قالوا: ما نراهم إلَّا وقد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا إلى الغزوات أنَّهم قُتِلوا وهُزِموا، ويقع ذلك في قلوبهم ويحزنون له، فَقَلَب عليهم اعتقادهم مُبيّنًا لهم أنَّ شيطانًا يحملهم على أنْ يُقْدِموا على تلك النجوى لِيحزن الذين آمنوا[2].

أثر القصر في التفسير:

ذهب المفسّرون إلى أنَّ معنى الشاهد: إنّما النجوى بِالإثم والعدوان من الشيطان فهو الحامل عليها لِيحزن المؤمنين[3]، وهذا المعنى يتناسب مع السياق؛ فبعد أنْ وضّح الله للمؤمنين ما يليق بهم من موضوعات لِيتناجوا بها، أتى بكلمة (إنَّما) لِيَقصر النجوى على كونها من الشيطان يغري بها المتناجين لِيحزنوا إخوانهم، وبذلك أفاد هذا القصر أيضًا التسلية لِلمؤمنين والتأنيس لِنفوسهم يُزال به ما يلحقهم من الحزن لِمشاهدة نجوى المنافقين بِتَوهُّمهم أنَّ نكبة أصابتهم[4]، ولا تبدو هذه التسلية في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (النجوى من الشيطان)؛ فهي جملة خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب، أي: احتمال كون النجوى من الشيطان واحتمال عدمه.

(1) انظر: **صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني** (3/ 317).

(2) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 492).

(3) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 241، 242)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 491)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 492)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 194)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 127)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 220)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 222)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (34/28).

(4) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (34/28).

المبحث الثالث

عرض النتائج وتحليلها

استُقرِيت سور المفصَّل لاستخراج شواهد القصر بكلمتي (إِنَّما) و(أَنَّما)، وَفِيما يأتي نتائج الاستقراء متضمِّنةً نوع القصر في كلّ شاهد وأثره في التفسير.

المطلب الأول: نتائج استقراء أثر القصر بكلمتي (إِنَّما) و(أَنَّما) في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة:

يُلخِّص الجدول رقم (6) دارسة أسلوب القصر بكلمتي (إِنَّما) و(أَنَّما) في المكيّ من آيات المفصَّل:

الجدول رقم (6)؛ أثر أسلوب القصر بكلمتي (إِنَّما) و(أَنَّما) في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة

الأثر	الشاهد	النوع باعتبار المقصور والمقصور عليه	النوع باعتبار الحقيقة والواقع	النوع باعتبار حال المخاطَب	العدد
التأكيد	﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ [الذاريات: 5].	قصر موصوف على صفة	إضافيّ	قلب	5
	﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: 16].	قصر موصوف على صفة	إضافيّ	قلب	
	﴿إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الملك: 26].	قصر موصوف على صفة	إضافيّ	إفراد	
	﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ [المرسلات: 7].	قصر موصوف على صفة	إضافيّ	قلب	
	﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [النازعات: 13].	قصر موصوف على صفة	حقيقيّ تحقيقيّ	-	
الإظهار	﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الملك: 26].	قصر صفة على موصوف	حقيقيّ تحقيقيّ	-	2
	﴿إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾ [الجنّ: 20].	قصر صفة على موصوف	حقيقيّ تحقيقيّ	-	
التسلية	﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان: 9].	قصر موصوف على صفة	إضافيّ	قلب	2
	﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: 21].	قصر موصوف على صفة	إضافيّ	إفراد	

الجدول رقم (6)؛ أثر أسلوب القصر بكلمتي (إِنَّما) و(أَنَّما) في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة					
الأثر	الشاهد	النوع باعتبار المقصور والمقصور عليه	النوع باعتبار الحقيقة والواقع	النوع باعتبار حال المخاطَب	العدد
الإعلام والتنبيه	﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾ [النازعات: 45].	قصر موصوف على صفة	إضافيّ	إفراد	1

المطلب الثاني: نتائج استقراء أثر القصر بكلمتي (إِنَّما) و(أَنَّما) في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة:

يُلخِّص الجدول رقم (7) دارسة أسلوب القصر بكلمتي (إِنَّما) و(أَنَّما) في المدنيّ من آيات المفصَّل:

الجدول رقم (7)؛ أثر أسلوب القصر بكلمتي (إِنَّما) و(أَنَّما) في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة					
الأثر	الشاهد	النوع باعتبار المقصور والمقصور عليه	النوع باعتبار الحقيقة والواقع	النوع باعتبار حال المخاطَب	العدد
الترهيب	﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: 15].	قصر موصوف على صفة	حقيقيّ مجازيّ	-	2
	﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التحريم: 7].	قصر موصوف على صفة	إضافيّ	قلب	
التحقير	﴿أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: 20].	قصر موصوف على صفة	حقيقيّ مجازيّ	-	1
التسلية	﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ [المجادلة: 10].	قصر موصوف على صفة	إضافيّ	قلب	1
الإظهار	﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ﴾ [الممتحنة: 9].	قصر صفة على موصوف	إضافيّ	قلب	1
الإعلام والتنبيه	﴿فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن: 12].	قصر موصوف على صفة	إضافيّ	قلب	1

المطلب الثالث: تحليل النتائج:

بلغ عدد شواهد القصر بكلمتي (إِنَّما) و(أَنَّما) في سور المفصَّل ستة عشر شاهدًا؛ منها عشرة شواهد في الآيات المكيّة، وستة شواهد في الآيات المدنيّة. وتعدَّدت أنواع هذا القصر في السور، ولم تقتصر على نوع محدّد، فكان باعتبار الحقيقة والواقع: حقيقيًّا في خمسة شواهد، وإضافيًّا في أحد عشر شاهدًا، وأمَّا باعتبار

المقصور والمقصور عليه فَكان قصرَ موصوف على صفة في ثلاثة عشر شاهدًا، وقصرَ صفة على موصوف في ثلاثة شواهد، انظر الجدول رقم (8).

الجدول رقم (8)؛ عدد شواهد القصر بكلمتي (إنَّما) و(أَنَّما) في سور المفصَّل											
باعتبار الحقيقة والواقع						باعتبار المقصور والمقصور عليه					
قصر حقيقيّ			قصر إضافيّ			قصر موصوف على صفة			قصر صفة على موصوف		
الآيات المكيّة	الآيات المدنيّة	المجموع	الآيات المكيّة	الآيات المدنيّة	المجموع	الآيات المكيّة	الآيات المدنيّة	المجموع	الآيات المكيّة	الآيات المدنيّة	المجموع
3	2	5	7	4	11	8	5	13	2	1	3

وقد ظهرت آثار متعدّدة لأسلوب القصر بكلمتي (إنَّما) و(أَنَّما) في تفسير آيات المفصَّل، وهي موضَّحة في الجدولين (9) و(10).

الجدول رقم (9)؛ آثار القصر بكلمتي (إنَّما) و(أَنَّما) في تفسير المكيّ والمدنيّ من آيات المفصّل			
الأثر	العدد في الآيات المكيّة	العدد في الآيات المدنيّة	المجموع
الإظهار	2	1	3
التسلية	2	1	3
الإعلام والتنبيه	1	1	2

الجدول رقم (10)؛ آثار القصر بكلمتي (إنَّما) و(أَنَّما) في تفسير المكيّ أو المدنيّ من آيات المفصّل			
الآيات المكيّة		الآيات المدنيّة	
الأثر	العدد	الأثر	العدد
التأكيد	5	الترهيب	2
		التحقير	1

ويُلاحَظ من الجدول رقم (9) وجود آثار مشتركة للقصر بكلمتي (إنَّما) و(أَنَّما) في تفسير المكيّ والمدنيّ من آيات المفصّل؛ وهي: الإظهار، والتسلية، والإعلام والتنبيه. وقد انفردت الآيات المكيّة في الجدول رقم (10) بأثر واحد؛ هو: التأكيد، وانفردت الآيات المدنيّة بأثرين؛ هما: الترهيب، والتحقير.

خلاصة:

يُلاحَظ من استعراض شواهد القصر بكلمتي (إنَّما وأَنَّما) في سور المفصَّل الآتي:

– تعدُّد أنواع هذا الأسلوب، وقد كان قصر الموصوف على الصفة والقصر الإضافيّ أكثر الأنواع حضورًا.

– تنوُّع آثاره، فقد كان أثر التأكيد أكثر الآثار وجودًا، إذ بلغ عدد شواهده خمسة شواهد، تلاه أثر الإظهار وأثر التسلية بثلاثة شواهد لكلّ منهما، ثم أثر الإعلام والتنبيه وأثر الترهيب بشاهدين لكلّ منهما.

– تشابُه بعض آثاره بين آيات المفصَّل المكيَّة والمدنيَّة، وتباين بعضها الآخر بما يتوافق مع طبيعة المخاطَبين.

– مجيء القصر بكلمتي (إنَّما وأَنَّما) في مقامات الرقّة والمعاينة لخبر لا يجهله المخاطَب ولا ينكره، أو لِمَا يُنزَّل منزلته.

– حَصْر هذا الأسلوب للدلالات الكلاميّة، وترتيبه للحُجَج بغية تحقيق النتيجة المرجوة والوصول إلى إقناع المخاطَب.

الفصل الثالث

أثر أسلوب القصر بحروف العطف: (لا، بل، لكن) في تفسير آيات المفصَّل

تمهيد.

المبحث الأول: أثر أسلوب القصر بحروف العطف: (لا، بل، لكن) في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة.

المبحث الثاني: عرض النتائج وتحليلها.

خلاصة.

تمهيد:

يفيد العطفُ بالحروف (لا، بل، لكن) القصرَ بالمنطوق، والأصل في هذا الطريق التعرض للمثبَت والمنفي بالنصّ؛ كقولك: (زيد شاعر لا مُنجِّم)، ولا يترك ذلك إلَّا كراهة الإطناب في مقام الاختصار[1]، ودلالته على القصر عند أغلب البلاغيين بالوضع[2]، في حين يرى آخرون أنَّ (لكن) لا تفيد القصر في جميع أحوالها، ويرى غيرهم في (بل) الأمر ذاته[3].

أوَّلًا- العطف بـ (لا):

يُشترَط لإفادة (لا) القصرَ أن يكون المعطوف بها مفردًا (أي غير جملة)، وألّا يتقدَّمها نفي أو نهي، وألّا يكون ما بعدها داخلًا في عموم ما قبلها[4]، وألّا تقترن بعاطف، وأن يتعاند متعاطفاها، فلا يجوز قولك: (جاءني رجل لا زيد)؛ لأنَّه يصدق على زيد اسم الرجل، بخلاف قولك: (جاءني رجل لا امرأة)[5].

ويكون المقصور عليه بها هو المقابل لما بعدها[6]؛ كقولك: (جاء محمّد لا خالد) فالمقصور عليه هو (محمّد)، وقد قصرت المجيء على محمّد فقط دون خالد[7]، ويأتي كلّ من المقصور والمقصور عليه قبل أداة العطف (لا)، وكلّ منهما قد يكون هو المعطوف عليه، أمّا المعطوف بها فهو مقصور عنه؛ ففي قولك:

---

(1) انظر: **مفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 292)، **والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (3/ 30)، **والأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ابن عربشاه** (1/ 48)، **وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيديّ** (2/ 234).

(2) انظر: **مفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 292)، **والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (3/ 30)، **والأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ابن عربشاه** (1/ 48)، **وجواهر البلاغة، أحمد الهاشمي** (ص 169)، **وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيديّ** (2/ 233).

(3) انظر: **علم المعاني، بسيوني فيود** (34/2).

(4) انظر: **جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي** (ص 169)، **والبلاغة العربية، عبد الرحمن حَبَنَّكَة الميداني** (1/ 533)، **وعلم المعاني، بسيوني فيود** (2/ 29).

(5) انظر: **مغني اللبيب، ابن هشام** (ص 318).

(6) انظر: **الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (3/ 47)، **وجواهر البلاغة، أحمد الهاشمي** (ص 168)، **وعلم المعاني، عبد العزيز عتيق** (ص 151)، **والبلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، فضل عباس** (ص 368)، **وعلم المعاني، بسيوني فيود** (30/2).

(7) انظر: **البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، فضل عباس** (ص 368).

(مالك بن أنس فقيه مجتهد لا شاعر) يكون (مالك بن أنس) هو المقصور، و(فقيه مجتهد) هو المقصور عليه، و(شاعر) هو المقصور عنه[1]؛ أي: الذي بعد (لا) منفي عنه الحكم.

والجدير بالذِّكْر أنَّ الجرجانيّ والسكاكيّ لم يسوِّغا أن يجتمع القصر بالنفي والاستثناء مع القصر بحرف العطف (لا)[2]، كقولك: (ما جاء إلا زيدٌ لا عمرو)؛ ففي قولك: (ما زيدٌ إلا قائم) نفيتَ عنه كلَّ صفة تنافي القيام، فلا حاجة للنفي بـ (لا) العاطفة أمرًا قد بُدِئ بنفيه أصلًا[3].

ثانيًا- العطف بـ (بل، لكن):

يُشترَط في كلّ منهما للدلالة على القصر أن يكون المعطوف بهما مفردًا (أي غير جملة)، وأن تُسبَقا بنفي أو نهي[4]. ونُقِل عن الكوفيين جواز العطف بـ (لكن) بعد الإثبات قياسًا على (بل)، وأباه غيرهم لأنَّه لم يُسمَع[5]؛ وَذَكَر سيبويه أنَّ (لكن) لا يُتدارَك بها بعد إيجاب، ولكن يُثبَت بها بعد النفي، فإن قلت: (مررت برجل صالح ولكن طالح)، فهو محال[6].

وهناك مَن جوَّز في إفادة (لكن) القصرَ أن يكون معطوفها جملة[7]، وشرَطَ ألّا تقترن بالواو[8]، وهذا ليس بشيء، فقد جاءت في التراكيب الممتازة مقترنة بالواو وأفادت القصرَ، كقوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: 40]، فقد قُصِر النبي صلَّى الله عليه وسلَّم

(1) انظر: **البلاغة العربية، عبد الرحمن حَبَنَّكَة الميداني** (1/ 533، 534).

(2) انظر: **دلائل الإعجاز، الجرجانيّ** (ص 347)، و**مفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 293).

(3) انظر: **دلائل الإعجاز، الجرجانيّ** (ص 347).

(4) انظر: **جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي** (ص 169)، و**علم المعاني، بسيوني فيود** (2/30-33).

(5) انظر: **شرح شذور الذهب، ابن هشام** (ص 582).

(6) انظر: **الكتاب، سيبويه** (1/ 435).

(7) انظر: **علم المعاني، بسيوني فيود** (2/ 33)، و**دلالات التراكيب، محمّد أبو موسى** (ص 99).

(8) انظر: **مغني اللبيب، ابن هشام** (ص 386)، و**جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي** (ص 169)، و**علم المعاني، بسيوني فيود** (2/33).

على الرسالة والختم، لا يتجاوزهما إلى أُبُوَّة زيد رضي الله عنه[1].

وأضاف بعضهم شرطًا آخر لإفادة (بل) القصرَ وهو أن يكون معطوفها جملة[2]، رغم أنّها حرف إضراب إنْ تلاها جملة، فإذا كانت للإضراب فهي حرف ابتداء لا عطف، كقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴾ [الأنبياء: 26]؛ أي: بل هم عباد مكرمون[3]، وهذا إضراب وإبطال لمقولتهم بأنَّ الملائكة بنات الله، وإثبات بأنَّهم عباده المقرَّبون، وَكأنَّه قيل: ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد له تعالى مُكرَمون عنده[4]، وَمِن ثَمَّ أفادت (بل) الإبطال لِمَا قبلها وإثبات ضِدَّه لِمَا بعدها، فَذَلك تخصيص لما بعدها بالحكم؛ أي: قصره عليه.

ويُلاحَظ ممَّا تَقدَّم اختلاف البلاغيّين في الشروط الواجب توافرها في حروف العطف (لا، بل، لكن) لتفيد القصرَ، ولعلَّ المعنى هو الذي يحسم الأمر؛ فالعطف بـ (لا) في الجملة المثبَتة يفيد القصرَ لأنّه ينصّ على النفي والإثبات معًا، مثل: (صداقة الجاهل تعبٌ لا راحة)، ففيها إثبات التعب ونفي الراحة بـ (لا)؛ لذلك لا داعي لِنفي الجملة بأداة أخرى. وأمّا العطف بـ (لكن) فلا يفيد القصرَ إلّا إذا وقعت بعد نفي أو نهي، مثل: (ما أكرمني زيد لكن عمرو)، فقد نُفِي الإكرام عن زيد وأُثبِت لِعمرو؛ أي: قُصِر عليه، في حين أنَّ قولك: (أكرمني زيد لكن عمرو) لا يفيد القصرَ؛ لأنّك نقلت حكم الإكرام إلى التابع الذي هو (عمرو)، وجعلت المتبوع الذي هو (زيد) في حكم المسكوت عنه، وبذلك تفيد الجملة الإثبات فقط؛ لأنَّ المسكوت عنه لا يوصف بنفي ولا إثبات. وأمَّا القصر عند عطف المفرد بالحرف (بل) فَيحتاج إلى أنْ

(1) انظر: **علم المعاني، بسيوني فيود** (2/ 33). **زيد** هو زيد بن ثابت بن الضحَّاك الأنصاري الخزرجي، وُلِد في المدينة سنة 11 ق هـ، وتُوفِّيَ سنة 45 هـ. وقد نشأ بمكّة يتيمًا، وهاجر مع النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم، وكان كاتبًا للوحي، وأحد الذين جمعوا القرآن في عهده، وهو الذي كتبه في المصحف لخليفة المسلمين أبي بكر، ثمَّ لِعثمان حين جهَّز المصاحف إلى الأمصار، كان رأسًا بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض، وله في كتب الحديث 92 حديثًا. انظر: **سير أعلام النبلاء، الذهبي** (2/ 426- 441)، و**الأعلام، خير الدين الزركلي** (3/ 57).

(2) انظر: **شرح الكافية الشافية، ابن مالك** (3/ 1233).

(3) انظر: **مغني اللبيب، ابن هشام** (ص 151، 152). **الإضراب**: وله معنيان؛ الأوَّل (الإضراب الإبطالي): إبطال الحكم الأوَّل والرجوع عنه إما لِغلط أو لِنسيان، كقولك: (ما قام زيد بل عمرو)، والثاني (الإضراب الانتقالي): إبطال الحكم الأوَّل لانتهاء مدَّته، نحو قوله تعالى: ﴿ أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: 165] ثم قال: ﴿ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ﴾ [الشعراء: 166] وَكأنَّه انتهت مدَّة القصة الأولى فأخذ في قصة أخرى؛ ولم يُرِد أنَّ الأولى لم تكن. انظر: **شرح المفصل، ابن يعيش** (5/ 27).

(4) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (6/ 63).

تُسبَق بنفي أو نهي حتى لا يكون المتبوع في حكم المسكوت عنه، في حين أنَّ القصر بحرف العطف (بل) بين الجمل لا يحتاج ذلك حال الإضراب الإبطالي.

والمقصور عليه في العطف بـ (بل ولكن) يكون بعدهما دائمًا[1]؛ كقولك: (المرجان حيوان بحري بل نبات بحري) فالمقصور عليه هنا هو (نبات بحري)، والمقصور هو (المرجان)، والمقصور عنه هو (حيوان بحري)[2]، فالذي بعد (بل، لكن) ثابت له الحكم.

وتشترك أدوات العطف (لا، بل، لكن) في إفادتها معنى القصر وتحويل ذهن المخاطَب من المعنى الخاطئ إلى المعنى الصواب صراحةً[3]، فعند استعمالها يُنَصُّ على المنفي والمثبَت معًا، وأمَّا في طرق القصر الأخرى فَلَا نصّ إلَّا على المثبَت، ويُخاطَب بها أيضًا مَن اعتقد أحد أمرين من غير تعيين، لكنها حينئذ ليس لِردّ السامع إلى الصواب بل لِحِفظه عن الخطأ[4].

(1) انظر: **الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (3/ 47)، **وجواهر البلاغة، أحمد الهاشمي** (ص 169)، **وعلم المعاني، عبد العزيز عتيق** (ص 151)، **والبلاغة العربية، عبد الرحمن حَبَنَّكَة الميداني** (1/ 535، 536)، **والبلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، فضل عباس** (ص 368)، **وعلم المعاني، بسيوني فيود** (2/31-33).

(2) انظر: **البلاغة العربية، عبد الرحمن حَبَنَّكَة الميداني** (1/ 536).

(3) انظر: **الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (3/ 22)، **والأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ابن عربشاه** (1/ 360).

(4) انظر: **الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ابن عربشاه** (1/ 360).

المبحث الأول

أثر أسلوب القصر بحروف العطف: (لا، بل، لكن) في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة

يتضمَّن هذا المبحث آثارَ أسلوب القصر بحروف العطف: (لا، بل، لكن) في تفسير الآيات المكيَّة من المفصَّل، وشواهدَ لتلك الآثار.

المطلب الأول: بيان المعنى:

الفرع الأول: الإظهار: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩﴾ [الانفطار: 6- 9].

موضع الشاهد: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ... كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ).

المقصور به: القصر في الشاهد عن طريق (بَلْ).

المقصور: (الْإِنْسَانُ)، وهو الموصوف.

وفي المراد من قوله تعالى: (الْإِنْسَانُ) قولان؛ أوّلهما: أنَّه الكافر، ويقال أنَّ الآيات نزلت في شخص محدّد، وثانيهما: أنَّه شامل لِجميع العصاة؛ لِعموم اللفظ[1]، ولعلّ القول الأوَّل هو الأرجح؛ فالتعريف في الإنسان تعريف الجنس –وعلى ذلك حَمَلَه جمهور المفسّرين– أي لا يُراد إنسانًا معينًا، وإنّما يُراد بهذا العموم الذين أنكروا البعث بِدلالة وقوعه عقب الإنذار بِحصول البعث مع قوله تعالى عقبه: (بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ)، والتقدير: يا أيّها الإنسان الذي أنكر البعثَ، ولا يكون منكِر البعث إلا مشركًا؛ لأنَّ إنكار البعث والشرك متلازمان وقت التنزيل، فهو مِن العامّ المراد به الخصوص بالقرينة، أو من الاستغراق العرفيّ لأنَّ جمهور المخاطَبين في بداية الدعوة الإسلامية هُم المشركون[2]، وبذلك يكون المقصور هم المشركين.

(1) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (31/ 74)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 269).

(2) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 174).

المقصور عليه: (تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ)، وهي جملة فعلية تحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة التكذيب بالجزاء والحساب.

المقصور عنه: الشبهة كالغرور.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فقد قُصِر المشركون على صفة التكذيب بالجزاء والحساب.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو الغرور، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي جحود الإنسان ونكرانه لِنِعم الخالق جلَّ وعلا.

- باعتبار حال المخاطَب: قصر قَلْب؛ ردًّا على كفران المشركين بِنِعم الكريم الحقيق بالشكر والطاعة، فلا موجب للشرك إلَّا إنكارهم الجزاء والحساب.

أثر القصر في التفسير:

يوجد ثلاثة أقوال في تفسير موضع الشاهد؛ الأوَّل: يا أيّها المشركون ما الذي دعاكم إلى الكفر والجحد بِالرسل ارتدعوا عن الاغترار بِكرم الله، بل تكذّبون بِالجزاء فلا تصدّقون ثوابًا ولا عقابًا[1]، والثاني: أيّ شيء خدعك أيّها العاصي حتَّى أتيت بِالمحرمات وتركت الواجبات، إنَّ تكذيبك بيوم الجزاء هو سبب اغترارك، ارتدع عن الاغترار بِكرم الله فأنت لست بِمَأمن من عقابه[2]، والثالث: أيّ شيء خدعك أيّها الإنسان وجرَّأك على عصيان ربّك الكريم، ارتدع عن الاغترار بِكرم الله وجعله ذريعة إلى الكفر والمعاصي وأنت لا ترتدع عن ذلك بل تجترئ على أعظم منه فتُكذِّب بالجزاء والحساب[3]، ولعلَّ القول الراجح هو القول الثاني، وهو نظير قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الانشقاق: 20- 22].

---

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 269- 271)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (31/ 74- 77)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 173-179).

(2) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (31/ 74)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 292).

(3) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 715، 716)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 421، 422)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 121)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 269، 270).

وجاء القصر بـ (بَلْ) إظهارًا لِسبب تصميم جميع الكفَّار على الشرك مع تفاوت مداركهم، ألَا وهو تكذيبهم بالجزاء والحساب؛ فلا يخفى على بعضهم بطلان كون الحجارة آلهة، إلَّا أنَّهم لا يرون العذاب إلَّا عذاب الدنيا، وقد أفادت (بَلْ) الإضراب الإبطالي؛ أي: إبطال المعنى الذي قبلها والردَّ عليه بِما بعدها مُظْهِرةً بِذلك ما جرّأهم على الإشراك، فَهو ليس غرورًا؛ إذ لا شبهة لهم في الإشراك حتّى تكون الشبهة كالغرور، ولكنَّهم أصرّوا على الإشراك لِأنَّهم حسبوا أنفسهم في مأمن من تبعته[1].

ولا يُلاحَظ أثر الإظهار عند عدم استعمال أسلوب القصر، نحو: (يا أيّها الإنسان ما غرَّك بربّك الكريم ... كلَّا تكذِّبون بالدين)؛ فقد جاءت كلّا إبطالًا لِوجود ما يغرّ الإنسان أنْ يشرك بالله، وأمَّا جملة: (تكذِّبون بالدين) فهي جملة خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب.

المطلب الثاني: تعزيز المعنى:

الفرع الأول: التأكيد: قوله تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [ق: 27].

موضع الشاهد: (رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق (لَكِنْ).

المقصور: الضمير المتَّصل (الهاء) في قوله: (أَطْغَيْتُهُ)، والمراد الإنسان الكافر، وهو الموصوف.

المقصور عليه: (كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ)؛ جملة فعلية تحمل صفة تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الضلال المتمكِّن في نفس الكافر قبل اقترانه مع الشيطان.

المقصور عنه: كَون ابتداء الإضلال من الشيطان.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فقد قُصِر الإنسان الكافر على صفة الضلال المتمكِّن فيه المختار من قبله، فكان ضالًّا معاندًا للحقّ.

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 178).

■ باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ والمقصور عنه هو كَون ابتداء الإضلال من الشيطان، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي هول الحشر والحساب وما يلقاه المجرمون في ذلك اليوم العصيب من شدائد.

■ باعتبار حال المخاطَب: قصر قَلْب؛ ردًّا على القول المقدَّر للكافر، وكأنَّ الكافر يقول حينما يُلْقَى في النار: ربّنا أطغاني شيطاني، فيقول شيطانه: ربّنا ما أطغيته[1]، ويدلّ اللِّحَاق على هذا القول، فقد قال تعالى بعده: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ [ق: 28]؛ لأنَّ الاختصام يستدعي كلامًا من الجانبين[2].

أثر القصر في التفسير:

ذهب المفسّرون إلى أنَّ معنى الشاهد: ربّنا ما أمرته بالكفر، ولكنَّه اختار الضلالة على الهدى[3]، وهو نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ [إبراهيم: 22].

وقد جاء القصر عن طريق (لَكِنْ) مؤكّدًا على تَمكُّن الضلال من الكفار؛ فقد أفاد (كَانَ) أنَّ الضلال ثابت لِذلك الكافر بالأصالة ملازم لِتكوينه، وأمَّا (بَعِيدٍ) فهي مستعارة للبالغ في قوة النوع حدًّا لا يبلغ إليه إدراك العاقل بسهولة؛ أي: قديم أصيل فيكون تأكيدًا لِمفاد (كَانَ)[4].

ولا يظهر التأكيد في حال عدم استعمال هذا الأسلوب كما في الجملة: (ربّنا ما أطغيته وكان في ضلال بعيد)؛ لِأنَّ مجيء (لَكِنْ) بعد النفي يفيد الاستدراك، وبعبارة أخرى فإنَّ توسط (لَكِنْ) بين الجملتين الفعليتين شكَّل تركيبًا مفيدًا للقصر؛ ففي الجملة الأولى أجاب القرينُ الكافرَ فيها بتكذيبه ونفي أنْ يكون سببًا لِطغيانه – الحُجَّة الأولى– ومن ثمَّ جاء الاستدراك باستعمال (لَكِنْ) متبوعًا بالجملة الثانية: (كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ)، فأخبر فيها القرين بِأنْ صاحبه ضالّ من قَبل – الحُجَّة الثانية– ممَّا أكّد كَون طغيان الكافر

(1) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 387)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (28/ 137)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 142)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (9/ 537)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 131)، **وروح المعاني، الآلوسي** (13/ 336)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (26/ 313).

(2) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (28/ 137).

(3) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (22/ 358)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 387)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (28/ 138، 139)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 142)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (9/ 537، 538)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 131)، **وروح المعاني، الآلوسي** (13/ 336)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (26/ 314).

(4) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (26/ 314).

ليس بِتابع لِما يمليه غيره عليه بل هو أصيل فيه، فَالحُجَّة الثانية هنا أقوى من الحُجَّة الأولى ومعارِضة لها، وهي النتيجة التي يؤول إليها الكلام.

المطلب الثالث: إضافة معنى جديد:

الفرع الأول: التحسّر والندم: قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [القلم: 26، 27].

موضع الشاهد: (إِنَّا لَضَالُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق (بَلْ).

المقصور: الضمير العائد إلى أصحاب الجنّة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾[القلم: 17]، وهو الموصوف.

المقصور عليه: (نَحْنُ مَحْرُومُونَ)، جملة اسمية تحمل صفة تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الحرمان.

المقصور عنه: (إِنَّا لَضَالُّونَ)؛ أي: صفة الضلال.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فقد قُصِر أصحاب الجنّة على صفة الحرمان.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ تحقيقيّ؛ فقد كان لِرَجل مسلم بستان بِقرب صنعاء فيه نخل وزرع، وكان يعطي الفقراء نصيبًا وافرًا منه عند الحصاد، فَلَمَّا مات الأب ورثه مِنه أبناؤه، ثمَّ قالوا: عيالنا كثير، والمال قليل، ولا يمكننا أنْ نعطي المساكين كما كان يفعل أبونا، فأحرق الله بستانهم وحُرِموا ثمره وخيره[1].

(1) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 607)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 241).

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد قولان؛ أحدهما: أنَّه لَمَّا رأى أصحاب الجنة جنّتهم محترقة ظنّوا أنّهم قد ضلّوا الطريق، فقالوا: ضللنا جنّتنا، ثمَّ لَمَّا تأمَّلوا وعرفوا أنَّها هي قالوا: لسنا ضالّين بل نحن محرومون حُرِمنا خيرها[1]، والآخر: أنّهم لَمَّا رأوا جنّتهم محترقة قالوا: إنّا لَضالّون عن الصواب، فقد كنّا عازمين على حرمان الفقراء من فضول ثمارها، بل نحن المحرومون حُرِمنا خيرها[2]، ولعلَّ القول الأوَّل هو الراجح؛ فقوله تعالى: (فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ) يعني ضللنا الطريق، وقوله: (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) يعني بل جُوزينا فحُرمنا[3].

ونتيجةً لِاستعمال (بَلْ) في الشاهد ظهر معنى القصر؛ فَقُصِر أصحاب الجنَّة على صفة الحرمان، وَلَمَّا كان قولهم في الآية الكريمة بعد فوات الأوان؛ إذْ أُحرِقت جنّتهم فَحُرِموا خيراتها، أضاف هذا القصر معنى التحسّر والندم على منعهم حقوق الفقراء والمساكين[4]، ولا يظهر هذا الأثر في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (إنا لضالّون، ونحن محرومون)، ومن البلاغة قولهم: (إِنَّا لَضَالُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ)؛ لأنَّ (بَلْ) أفادت الإضراب الإبطالي، فقد أبطلوا أن يكونوا ضلّوا طريق جنّتهم – الحُجَّة الأولى– وأثبتوا أنَّهم محرومون من خيرها – الحُجَّة الثانية– فَيكون المعنى أنَّها هي جنّتهم ولكنّها هلكت فَحُرِموا ثمارها[5]، فهذه الحُجَّة أقوى من الحُجَّة الأولى، وهي التي يؤول إليها الكلام بِرُمَّته.

الفرع الثاني: الذمّ والتوبيخ: قوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15].

موضع الشاهد: (أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ).

---

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 549)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 591)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 609)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 235)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 243)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 15، 16)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 36)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 86).

(2) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 609)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 243)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 86).

(3) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 549).

(4) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 86).

(5) انظر: **المصدر نفسه** (29/ 85، 86).

المقصور به: الاستفهام بالهمزة استفهام إنكاري[1] بِمعنى النفي، والقصر في الآية عن طريق (بَلْ).

المقصور: مشركو قريش، وهو الموصوف.

المقصور عليه: (هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ)، جملة اسمية تحمل صفة تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الخلط والاشتباه في إعادة الخلق بعد الفناء.

المقصور عنه: مقدَّر، فكأنَّه قيل: هم غير منكِرين قدرتنا على الخلق الأوّل، ويعلمون أنَّ الخلق الأوَّل للأشياء أعظم من إعادة خلق الأموات، ولكنَّهم في خلط وشبهة من خلقٍ مستأنف لِمَا فيه من مخالفة العادة[2]؛ أي: المقصور عنه هو اعترافهم الضمني بِقدرة الله على الإعادة، فَمَن قدر على إنشاء ما لم يكن موجودًا هو أقدر على إعادة ما كان موجودًا.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة، فقد قُصِر مشركو قريش على صفة الخلط والاشتباه؛ إذ اشتبه عليهم الأمر الممكن في العقل -وهو إحياء الموتى- بِمَا هو مستحيل عقلًا، فَجَزموا بِعدم إمكانه فَنَفوه[3].

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ والمقصور عنه هو اعترافهم الضمني بِقدرة الله على إعادة إحياء الناس بعد الموت، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي موضوع البعث والنشور.

- باعتبار حال المخاطَب: قصر قَلْب؛ ردًّا على المشركين الذين قالوا: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: 3]، فَكَأنَّه قال: لم يعيينا الخلق الأول حتّى نعيا بِإعادتهم خلقًا جديدًا بعد فنائهم، بل نحن عليه قادرون وَهُم في خلط من ذلك.

---

(1) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 382)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 140)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 128)، **وروح المعاني، الآلوسي** (13/ 328)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (26/ 297).

(2) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 382)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 128)، **وروح المعاني، الآلوسي** (13/ 328)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (26/ 297).

(3) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (26/ 298).

أثر القصر في التفسير:

ذهب المفسّرون إلى أنَّ معنى الشاهد: أعجزنا عن الخلق الأوّل حتّى يتوهم عجزنا من الإعادة، بل هُم في خلط وشبهة من خلقٍ مستأنف[1].

وفي تنكير كلمة (خَلْقٍ) وَوَصْفه بِكَونه جديدًا تنبيهٌ على استبعاد المشركين البعثَ وأنَّه خلق عظيم[2]، ويؤيّد السياق ذلك؛ فقد وُجِدَ من المشركين استبعادُهم الإعادة بقولهم: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ [ق: 3]، فاستدلّ تعالى بِخَلق السماوات والأرض بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧﴾ [ق: 6، 7]، ثمَّ تابع وكأنَّه قال: لا حاجة إلى ذلك الاستدلال بل في أنفسهم دليل جواز ذلك[3].

وقد ذكر ابن عاشور أنَّ (بَلْ) في قوله: (بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) لِلإضراب الإبطالي عن المستفهَم عنه؛ أي: بل ما عيينا بِالخلق الأوّل وهم يعلمون ذلك، ويعلمون أنَّ إعادة الخلق أسهل من ابتدائه، ولكن تمكَّن منهم اللبس فَأغشى إدراكهم عن دلائل الإمكان فأحالوه، فالإضراب على أصله من الإبطال، وبعبارة أخرى فإنَّ توسط حرف العطف (بَلْ) بين الجملة الفعليَّة والجملة الاسميَّة جعل هذا التركيب مفيدًا للقصر -قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[الروم: 27]- وَجِيء بالجملة الاسميَّة في قوله: (هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) لِلدلالة على ثبات هذه الصفة، وتمكُّنها من نفوس المشركين؛ فهي لا تفارقهم البتّة[4]، ولِأنَّه لا يُنكِر عاقل كمال قدرة الخالق وعدم عجزه فقد أعطى هذا القصر معنى آخر هو الذمّ والتوبيخ لِمشركي قريش منكِري البعث والنشور[5]. ولا يظهر هذا الأثر في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (ليس يُعيينا الخلق الأوّل، وهم في لبس من خلقٍ جديد)، فالجملة الثانية خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب؛ أي: احتمال كَونهم في لبس من خلق جديد واحتمال عدمه.

---

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (22/ 340)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 382)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (28/ 133)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 140)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (9/ 533)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 128)، **وروح المعاني، الآلوسي** (13/ 328)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (26/ 297، 298).

(2) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (13/ 328).

(3) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (28/ 133).

(4) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (26/ 298).

(5) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (22/ 340).

الفرع الثالث: الإنكار والإبطال: قوله تعالى: ﴿ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾ [القمر: 25].

موضع الشاهد: (أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق (بَلْ).

المقصور: الضمير العائد إلى نذير ثمود ورسولها صالح عليه الصلاة والسلام، وهو الموصوف.

المقصور عليه: (هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ)، جملة اسمية تحمل صفة تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الكذب والتكبّر؛ أي: ادّعاء ما ليس فيه.

المقصور عنه: كَون صالح عليه السلام نبيًّا.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فقد قُصِر صالح عليه السلام على صفة الكذب والتكبّر.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ والمقصور عنه هو كون صالح عليه السلام نبيًّا، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي الحديث عن الطغاة المتجبرين من الأمم السابقة الذين كذّبوا رسل الله فَعَاقبهم وأهلكهم عن بكرة أبيهم.

- باعتبار حال المخاطَب: قصر تعيين؛ ردًّا على مَن شكَّ وتردَّد في كَون صالح عليه السلام نبيًّا أو لا.

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين قولان في معنى الشاهد؛ الأوَّل: أَأُنْزِل عليه الوحي والرسالة وَفِينا مَن هو أحقّ مِنْه بِذلك وليس الأمر كذلك، بل هو كذّاب متكبِّر حَمَلَه بطره على الترفّع علينا بِمَا ادّعاه[1]، والثاني: أَأُنزِل عليه الوحي

(1) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 437)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 307)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 166)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 43)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 171)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 88)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 198).

وَخُصّ بالنبوَّة وهو مِن بني آدم، وما ذلك بِصحيح، بل هو كذّاب متكبّر[1]، ولعلَّ القول الأوَّل هو الأصوب، لأنَّ الجار والمجرور في قوله: (مِنْ بَيْنِنَا) متعلّقان بِحال من الضمير في قوله: (عَلَيْهِ)[2]؛ أي: كيف يُلقى عليه الذِكْر دوننا، يريدون أنَّ فيهم مَن هو أحقّ مِنْه بِأنْ يوحى إليه، هذا من جهة، ولأنَّ حرف الجر (مِنْ) أتى بمعنى الفصل؛ أي: مفصولًا من بيننا كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾ [البقرة: 220][3]، من جهة أخرى.

وقد قَصَرَت كلمة (بَلْ) الواردة في قول المشركين صالحًا -عليه السلام- على صفة الكذب والتكبّر؛ أي: نُفِي صِدقه فِيما يدعوهم إليه، وَلَمَّا كان صالحٌ -عليه السلام- رسولَ الله إليهم أضاف القصر بِكلمة (بَلْ) معنى الإبطال والإنكار لِكونه الرسولَ الذي اختاره الله لِهدايتهم إلى الحقّ[4]، ولا يبدو هذا الأثر واضحًا في حال عدم استعمال أسلوب القصر كأن يقال: (ما أُنزِل عليه الذِّكر، وهو كذّاب أشِر)، فالجملتان خبريتان تحتملان التصديق والتكذيب، ومن البلاغة قولهم: (أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ)؛ إذ أفاد الاستفهام الإنكار وجُعِل الأمر منفيًا ظاهرًا لا يخفى على أحد[5] هذا من جهة، وَتوسطت (بَلْ) بين الجملتين فأفادت الإضراب عمَّا أنكروه بقولهم: (أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا)، فَكَان المعنى: لم يُنَزَّل الذِّكْر عليه من بيننا بل هو كذّاب فِيما ادّعاه بطر متكبّر[6] من جهة أخرى.

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (22/ 590).

(2) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 197)، **والمجتبى من مشكل إعراب القرآن، أحمد الخرّاط** (4/ 1261).

(3) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 197).

(4) انظر: **البحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 43).

(5) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 307).

(6) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 198).

المبحث الثاني

عرض النتائج وتحليلها

استُقرِيت سور المفصَّل لاستخراج شواهد القصر بحروف العطف (لا، بل، لكن)، وَفِيما يأتي نتائج الاستقراء متضمِّنةً نوع القصر في كلّ شاهد وأثره في التفسير.

المطلب الأول: نتائج استقراء أثر القصر بحروف العطف (لا، بل، لكن) في تفسير آيات المفصَّل:

يلخّص الجدول رقم (11) دارسة أسلوب القصر بحروف العطف (لا، بل، لكن) في المكيّ من آيات المفصَّل:

الجدول رقم (11)؛ أثر أسلوب القصر بحروف العطف (لا، بل، لكن) في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة

الأثر	الشاهد	النوع باعتبار المقصور والمقصور عليه	النوع باعتبار الحقيقة والواقع	النوع باعتبار حال المخاطَب	العدد
التأكيد	﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [ق: 27]	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	2
	﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [القيامة: 31، 32]	قصر موصوف على صفة	إضافي	تعيين	
التحسّر والندم	﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [الواقعة: 66، 67]	قصر موصوف على صفة	حقيقي تحقيقي	-	2
	﴿إِنَّا لَضَالُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [القلم: 26، 27]	قصر موصوف على صفة	حقيقي تحقيقي	-	
الإظهار	{فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ} [الانشقاق: 20- 22]	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	2
	﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ... كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ [الانفطار: 8، 9]	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	
الذمّ والتوبيخ	﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15]	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	1
الإنكار والإبطال	﴿أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ [القمر: 25]	قصر موصوف على صفة	إضافي	تعيين	1

المطلب الثاني: تحليل النتائج:

بلغ العدد الإجمالي لِشواهد القصر بِحروف العطف (لا، بل، لكن) في آيات المفصَّل ثمانية شواهد، واقتصر وجود الشواهد على الآيات المكيّة فقط، ولم يكن ضمنها أي شاهد للقصر بحرف العطف (لا).

ولم يقتصر القصر بحرفي العطف (بل، لكن) في آيات المفصَّل المكيَّة على نوع واحد، فكان باعتبار الحقيقة والواقع حقيقيًّا في شاهدين، وإضافيًّا في ستة شواهد، وأمّا باعتبار المقصور والمقصور عليه فَكان فقط قصرَ موصوف على صفة في الشواهد الثمانية، انظر الجدول رقم (12).

الجدول رقم (12)؛ عدد شواهد القصر بحرفي العطف (بل، لكن) في آيات المفصَّل المكيَّة			
باعتبار الحقيقة والواقع		باعتبار المقصور والمقصور عليه	
قصر حقيقي	قصر إضافي	قصر موصوف على صفة	قصر صفة على موصوف
2	6	8	0

وقد لوحظت آثار متعددة للقصر بحرفي العطف (بل، لكن) في تفسير آيات المفصّل المكيَّة؛ وهي: التأكيد، التحسّر والندم، الإظهار، الذمّ والتوبيخ، الإنكار والإبطال، انظر الجدول رقم (11).

خلاصة:

يمكن من استعراض شواهد القصر بحروف العطف (لا، بل، لكن) في سور المفصَّل ملاحظة ما يأتي:

- خلوّ آيات المفصَّل المكيّة والمدنيَّة من شواهد القصر بحرف العطف (لا).

- انحصار شواهد القصر بحرفي العطف (بل، لكن) في المكيّ، وانعدامها في المدنيّ، وهذا يشير إلى مناسبة آثار القصر بحرفي العطف (بل، لكن) للمرحلة المكيّة من الدعوة.

- ورود القصر بحرفي العطف (بل، لكن) بأنواعه المختلفة، باستثناء قصر الصفة على الموصوف.

- تنوُّع آثاره في تفسير الآيات المكيّة، فقد كان أثر التأكيد وأثر (التحسّر والندم) وأثر الإظهار أكثر الآثار ملاحظةً، إذ بلغ عدد شواهد كلّ منها شاهدين اثنين، تلاها أثر (الذمّ والتوبيخ) وأثر (الإنكار والإبطال) بشاهد واحد لكلّ منهما.

– استعمال القصر بحرفي العطف (بل، لكن) عندما تكون الغاية تصحيح ما ذُهِب إليه في خبرٍ ما من: قول، أو ظنٍّ، أو اعتقاد.

– أسلوب القصر بحرفي العطف (بل، لكن) ذو قيمة حِجاجية؛ فهو يربط بين الحُجَج بشكلٍ منتظمٍ ويؤدي إلى نتيجة واحدة؛ هي النتيجة التي تأتي بعد حرف العطف، وتكون الأقوى حِجاجيًّا.

الفصل الرابع

أثر أسلوب القصر بتقديم ما حقّه التأخير في تفسير آيات المفصَّل

تمهيد.

المبحث الأول: أثر أسلوب القصر بتقديم ما حقّه التأخير في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة.

المبحث الثاني: أثر أسلوب القصر بتقديم ما حقّه التأخير في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة.

المبحث الثالث: عرض النتائج وتحليلها.

خلاصة.

تمهيد:

وضع النُحاة أصلًا للجملة العربيّة يتكوَّن من ركنين هما المسند والمسند إليه، وعَدُّوا كلَّ ما زاد عنهما فضلة، وغير أساسٍ في أصل الوضع المجرَّد للجملة[1]، ولعناصر الجملة ترتيب معيّن، كتقدُّم العمدة (المسند والمسند إليه) على الفضلة والفعل على الفاعل والمبتدأ على الخبر، يقاس إليه العدول، ولا مقتضى للعدول عن الأصل إلّا باعتبارات محدّدة[2]؛ أي: لا بدَّ أن يكون لإحداث تغيير في بنية التركيب أغراض ودواعٍ جديدة، تتعلق بالبنية الداخلية المرتبطة بالمعنى في ذهن المتكلِّم، فأي تحوّل في مباني التراكيب يُحدِث تغييرًا في المعنى[3]؛ لأنَّ بناء العبارة أو الجملة ليس هو هندسة ألفاظ وتصميم قوالب فحسب، بل هو في الحقيقة بناء خواطر ومشاعر في المقام الأوَّل، فيستطيع المتكلِّم أن يُسخِّر مهاراته التعبيرية في تقديمه أو تأخيره في الجملة للبوح بأفكاره، وألوان حسه، وخواطره المختلفة، فَيُضفي هذا التغيير غنى وفيضًا للكلمات[4].

وقد حظي هذا الإجراء الأسلوبي باهتمام عبد القاهر الجرجاني؛ إذ نبَّه إلى مكانته المتميّزة في البلاغة، وعزا الفضل لجمال الكلام وحسن تأثيره في المتلقي إلى جمال نظمه[5]، فتحريك بعض الألفاظ من أماكنها الأصلية إلى أماكن أخرى يُضفي على الدلالة بعدًا جماليًا، يُفتقَد إذا أُعيدت إلى رتبها الأولى[6]، يَعدُّ الجرجاني أنَّ أي تغيير في بنية الجملة يدلُّ بالضرورة على تغيير الدلالة، وأنَّ التقديم والتأخير يكونان دائمًا لِغرض متعلِّق بالمعنى، وليس لِغرض يتعلَّق بالبنية الشكلية أو بموسيقى الكلمات وحدها، ولا هو للمعنى تارة وللموسيقى تارة أخرى[7].

---

(1) انظر: **نظرية الأصل والفرع، حسن الملخ** (ص 112، 113). **المُسنَد**: هو المحكوم به؛ أي: الحكم المرَاد إسناده، **والمسند إليه** هو المحكوم له. انظر: **مفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 167).

(2) انظر: **مفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 236).

(3) انظر: **دلالات التراكيب، محمّد أبو موسى** (ص 170)، **وفي نحو اللغة وتراكيبها، خليل عمايرة** (ص 89- 187).

(4) انظر: **دلالات التراكيب، محمّد أبو موسى** (ص 170- 171).

(5) انظر: **دلائل الإعجاز، الجرجانيّ** (ص 106).

(6) انظر: **المصدر نفسه** (ص 286).

(7) انظر: **المصدر نفسه** (ص 110، 111).

وقد يفيد تقديم ما حقّه التأخير –في بعض صُوره– القصرَ؛ وهذه الصور هي: تقديم المسند، وتقديم المسند إليه، وتقديم المعمول[1]، ويكون المقدَّم هو المقصور عليه دائمًا[2] والمؤخَّر هو المقصور؛ كقولك: (لله الأمر) فقد جعلنا الأمر لله وحده[3]، والأصل في طريق تقديم ما حقّه التأخير النصّ على المثبَت دون المنفي[4]، ودلالته على القصر عند البلاغيين بالذوق والفحوى[5].

ويقع التقديم والتأخير ويفيد القصر، كما يقع ولا يفيده؛ ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ ﴾ [الرعد: 26]، و﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ﴾ [البقرة: 15]، تقدَّم الفاعل في كلا الآيتين، لكنَّه في الأولى أفاد القصر وفي الثانية لم يفِدْه؛ إذ يستهزئ الله من الذين كفروا كما أنّ المؤمنين يستهزئون بهم أيضًا[6]، فالقرائن المعنوية هي التي تدلُّ على القصر لا التركيب، وهكذا في كلّ أسلوب ينحدر إلى الذهن منه معنى القصر إنْ لم توجد أداة من أدواته المعروفة[7].

أوَّلًا– تقديم المسند:

قد يفيد تقديم المسند القصر، وقد يكون لمجرد الاهتمام، والمشهور عند البلاغيين إذا قُدِّم المسند على المسند إليه الذي رتبته التقديم كتقديم الخبر على المبتدأ فإنّ هذا التقديم يكون لأسرار بلاغية أهمها إفادته

(1) انظر: **مفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 219– 239). **الْمَعْمول** هو ما يَتغيَّرُ آخرُهُ برفعٍ، أو نصبٍ، أو جزمٍ، أو خفضٍ بتأثير العامل فيه. انظر: **المعجم المفصَّل في النحو العربي، عزيزة فوال بابتي** (ص 1030).

(2) انظر: **جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي** (ص 169)، **علم المعاني، عبد العزيز عتيق** (ص 151)، **والبلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، فضل عباس** (ص 368).

(3) انظر: **البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، فضل عباس** (ص 368).

(4) انظر: **مفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 293)، **والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (3/ 31)، والأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ابن عربشاه (1/ 48)، **وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيديّ** (2/ 234).

(5) انظر: **مفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 292)، **والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (3/ 30)، والأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ابن عربشاه (1/ 48)، **وجواهر البلاغة، أحمد الهاشمي** (ص 169)، **وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيديّ** (2/ 233).

(6) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (1/ 67، 2/ 527)، **ودلالات التراكيب، محمّد أبو موسى** (ص 35).

(7) انظر: **دلالات التراكيب، محمّد أبو موسى** (ص 99).

القصرَ؛ أي: قصر المسند إليه على المسند المقدَّم[1]، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: 189]، فمُلْك السماوات والأرض مختصّ بِكونه لله؛ أي: مقصور عليه ومنحصر فيه[2]، وشرط إفادة تقديم الخبر القصرَ ألّا يكون المبتدأ نكرة وقُدّم عليه الخبر[3].

وفي دخول النفي على المسند الجار والمجرور المقدَّم دلالة لازمة على القصر؛ كقوله تعالى: ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ [الصافات: 47]، فالقصد تفضيلها على غيرها من خمور الدنيا، والمعنى: ليس في خمور الجنَّة ما في غيرها من الغول، فهي لا تُذهِب عقولهم بخلاف خمور الدنيا[4].

وأشار السيوطيّ إلى الخلاف في إفادة تقديم المسند القصرَ؛ إذ نقل أنَّ ابن الأثير وابن النفيس وغيرهما قد ذكروا أنَّ تقديم الخبر على المبتدأ يفيد الاختصاص، وأنَّ صاحب الفلك الدائر ردَّه بأنَّه لم يقل به أحد، وردَّه السيوطيّ بأنَّ ذلك ممنوع؛ فقد صرَّح السكاكي وغيره بأنَّ تقديم ما حقّه التأخير يفيده ومثَّلوه بنحو: (تميميّ أنا)[5]، ولعلَّ إعطاء التركيب معناه السياقي والمقامي الذي يتطلبه يكون مُحدِّدًا لِوجود قصر فيه مِن عدمه.

---

(1) انظر: **مفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 219)، **وجواهر البلاغة، أحمد الهاشمي** (ص 136)، **وعلم المعاني، عبد العزيز عتيق** (ص 140)، **وعلم المعاني، بسيوني فيود** (41/2)، **ودلالات التراكيب، محمّد أبو موسى** (ص 172).

(2) انظر: **علم المعاني، عبد العزيز عتيق** (ص 140).

(3) انظر: **حاشية الدسوقي على مختصر المعاني** (2/ 261).

(4) انظر: **الطراز، العلويّ** (2/ 40).

(5) انظر: **الإتقان في علوم القرآن، السيوطيّ** (3/ 172). **ابن الأثير** هو نصر الله بن محمّد الشيبانيّ الجزري، وُلِد في جزيرة ابن عمر سنة 558هـ، وتُوفِّيَ ببغداد سنة 637 هـ، وكان مُهْرًا في النحو واللغة وعلم البيان، ووزيرًا للمَلِك الأفضل ابن صلاح الدين في دمشق، ومن مؤلفاته: (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، و(المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء)، و(الوشي المرقوم في حل المنظوم). انظر: **وفيات الأعيان، ابن خلكان** (5/ 389-397)، **وبغية الوعاة، السيوطيّ** (2/ 315). **ابن النفيس** هو علي بن أبي الحَزْم القَرْشي، ولد بدمشق، وتُوفِّيَ بمصر سنة 687 هـ، وقد كان شيخ الطب في الديار المصرية مع الذكاء المفرط، والذهن الخارق، والمشاركة في الفقه والأصول، والحديث، والعربية. له العديد من المؤلفات في الطب منها: (الشامل)، إضافةً إلى العديد من المؤلفات غير الطبية؛ مثل: (طريق الفصاحة) في النحو، وغيره. انظر: **تاريخ الإسلام، الذهبي** (15/ 597)، **والإنجاز العلمي العربي وتأثيره على النهضة الأوروبية، محمّد سعيد تكروري وميزر محمّد الخلف** (ص1-6، ص 31-40). **صاحب الفلك الدائر** هو عبد الحميد بن هبة الله، وُلِد بالمدائن سنة 586هـ، وانتقل إلى بغداد، تُوفِّيَ سنة 655 هـ، كان فقيهًا، وأديبًا، وشاعرًا؛ فَلَه ديوان مشهور، وروى عنه الدمياطي، ومن تصانيفه: (شرح نهج البلاغة)، و(الفلك الدائر على المثل السائر)، و(نظم فصيح ثعلب). انظر: **فوات الوفيات، صلاح الدين** (2/ 259)، **والوافي بالوفيات، الصفدي** (18/ 46).

ثانيًا– تقديم المسند إليه:

يفيد تقديم المسند إليه التخصيص وفقًا لعبد القاهر الجرجاني بشروط هي:

1– أنْ يكون المسند خبرًا فعليًا.

2– أنْ يتقدم على المسند إليه حرف النفي.

3– ألَّا يفصل بين المسند إليه وحرف النفي بِفاصل سواء في ذلك أكان المسند إليه نكرة أم معرفة ظاهرة أم ضميرًا، مثل: (ما محمّد قام)، و(ما رجل حضر)، و(ما أنا فعلت هذا).

فإن لم يلِ المسند إليه حرف النفي وكان معرفة مثل: (أنا فعلت)، كان القصد إلى الفاعل، وينقسم إلى قسمين:

أ– ما يفيد تخصيصه بالمسند للردّ على مَن زعم انفراد غيره به أو مشاركته فيه، مثل: (أنا كتبت في حاجتك)، فإذا أردت التأكيد قلت للزاعم في الوجه الأول: (أنا كتبت في حاجتك لا غيري) ونحوه، وفي الوجه الثاني: (أنا كتبت في حاجتك وحدي).

ب– ما لا يفيد إلّا تقوّي الحكم وتقريره في ذهن السامع وتمكُّنه، مثل: (هو يعطي الجزيل)، وكذلك إذا كان الفعل منفيًّا مثل: (أنت لا تكذب)، فإنّه أشد لِنفي الكذب من قولك: (لا تكذب) أو (لا تكذب أنت).

هذا كلّه إذا بُني الفعل على معرَّف، فإن بُني على منكَر أفاد ذلك تخصيص الجنس أو الواحد بالفعل، مثل: (رجل جاءني)، أي لا رجلان أو لا امرأة[1].

ومدار الأمر عند الجرجاني على تَقدُّم حرف النفي على المسند إليه أو عدم تقدّمه؛ فإذا تَقدَّم النفي أفاد تقديم المسند إليه التخصيص، وإلَّا جاز أنْ يكون للتخصيص أو للتقوّي والتأكيد[2]، وأمَّا السكاكي فمذهبه التعويل على حالة المسند إليه من كونه معرفة ظاهرة أو ضميرًا، أو نكرة، بصرف النظر عن حرف النفي.

(1) انظر: **دلائل الإعجاز، الجرجانيّ** (ص 124–145)، **والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (2/ 197)، **والإتقان في علوم القرآن، السيوطيّ** (3/ 171، 172).

(2) انظر: **الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (2/ 55، 56).

وعند السكاكي إنْ كان المسند إليه المقدَّم نكرة فهو للتخصيص إنْ لم يمنع منه مانع، وإنْ كان معرفة ظاهرة فلا يكون للتخصيص البتَّة بل للتقوّي، وإنْ كان ضميرًا فإنْ قُدِّر كونه في الأصل مؤخَّرًا على أنَّه فاعل في المعنى فقط لا اللفظ ثم قُدِّم فهو للتخصيص وإلَّا فللتقوّي، وهذا كلّه سواء ولي المسند إليه حرف النفي أم لا[1].

وقولك: (ما زيد قام) يفيد التخصيص على إطلاق قول الجرجاني ولا يفيده على قول السكاكي، وأمَّا قولك: (ما أنا قمت) فيفيده على قول الجرجاني مطلقًا وعلى قول السكاكي بشرط[2].

وبالنتيجة فإنّ تقديم المسند إليه في النفي والإثبات يفيد إمَّا التخصيص أو التأكيد وتقوية الحكم، ولا يتَّضح ذلك إلَّا بما يقتضيه الحال وسياق الكلام.

ثالثًا– تقديم المعمول:

الظاهر من كلام البلاغيين أنَّ تقديم المعمول من المفعول وشبهه (كالمفعول فيه، والجار والمجرور، والحال) على العامل، يدلُّ في الخبر المثبَت على الاختصاص غالبًا[3]؛ كقولك: (زيدًا أكرمتُ) إذا أردت النصّ على زيد خصوصًا، وأنَّك لم تُكْرِم غيره، ونحوه قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5]، أي نخصُّك بالعبادة ونخصُّك بطلب المعونة دون سواك[4]، ويشترط لإفادة التقديم القصرَ ألَّا يكون المعمول مقدَّمًا وضعًا كأسماء الاستفهام، وألَّا يكون التقديم لمصلحة التركيب؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [فصلت: 17] على قراءة النصب[5]، خلافًا لما أوجبه الخطيب القزوينيّ من إفادة الاختصاص لامتناع تقدير الفعل مقدّمًا نحو: (أمّا فهدينا ثمود)؛ لالتزامهم وجود فاصل بين أمَّا والفاء، والتقدير: (أمّا ثمود فهدينا هديناهم) بتقديم المفعول[6]، وإذا كان التقديم من باب الاشتغال كقولك: (زيدًا عرفته)، فهو

(1) انظر: **مفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 221– 239)، **والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (2/ 60).

(2) انظر: **الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (2/ 66).

(3) انظر: **مفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 233– 235)، **والإتقان في علوم القرآن، السيوطيّ** (3/ 174)، **ودلالات التراكيب، محمّد أبو موسى** (ص 182).

(4) انظر: **دلالات التراكيب، محمّد أبو موسى** (ص 182).

(5) انظر: **عروس الأفراح، السبكي** (1/ 383). وقراءة النصب لابن أبي اسحاق وعيسى الثقفي. انظر: **مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع، ابن خَالوَيْه** (ص 134).

(6) انظر: **الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (2/ 163).

لا يفيد إلَّا التوكيد في حال قُدِّر المحذوف قبل المنصوب؛ أي (عرفت زيدًا عرفته) لما فيه من تكرار للفظ، وأمّا إنْ قُدّر بعده أي (زيدًا عرفت عرفته) أفاد الاختصاص[1].

وأمَّا في الخبر المنفي، فيرى عبد القاهر أنَّه يدلُّ على الاختصاص قطعًا؛ كقولك: (ما زيدًا أكرمتُ)، فأنت هنا تفيد نفي إكرامك عن زيد خصوصًا، والإكرام ثابت قطعًا لغيره[2].

وقد نقل السيوطيّ أنَّ ابن الحاجب خالف في إفادة تقديم المعمول على العامل القصر، إذ قال: "الاختصاص الذي يتوهّمه كثير من الناس من تقديم المعمول وهم"، واستدلَّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: 2]، ثم قال: "﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾ [الزمر: 66]"، ورُدَّ هذا الاستدلال بأنَّ قوله: (مخلصًا له الدين) أغنى عن إفادة الحصر في الآية الأولى، ولو لم يكن فما المانع من ذكر المحصور في محل بغير صيغة الحصر؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾ [الحج: ٧٧]، بل قوله: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾ [الزمر: 66] من أقوى أدلّة الاختصاص فإنَّ قبلها: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: 65]، فلو لم يكن للاختصاص وكان معناها: (اعبد الله) لما حصل الإضراب الذي هو معنى (بل)[3].

وأمَّا تقديم بعض المعمولات على بعض ففي إفادته القصرَ خلافٌ بين جمهور البلاغيين وابن الأثير، والراجح أنَّه لا يفيد القصر، وهو مذهب الجمهور[4]، فقد ذهب ابن الأثير إلى أنَّ تقديم الظرف يفيد الاختصاص؛ كقولك: (إنَّ إليَّ مصير هذا الأمر)، فإنَّ تقديم الظرف دلَّ على أن مصير الأمر ليس إلَّا إليك بخلاف قولك: (إنَّ مصير هذا الأمر إليَّ)، إذ يحتمل إيقاع الكلام بعد الظرف على غيرك، فيقال: إلى زيد، أو عمرو، أو غيرهما[5].

وأرى أنّ تقديم المعمول يفيد القصر تارةً وغيره تارةً أخرى بحسب القرائن.

---

(1) انظر: **حاشية الدسوقي على مختصر المعاني** (2/ 191-193). **الاشتغال**: هو أن يتقدَّم اسم ويتأخَّر عنه فعل، ويكون هذا الفعل مشغولًا بالعمل في ضمير ذلك الاسم المتقدِّم، ولو حذفنا هذا الضمير لَكان حقّ ذلك الاسم أن يكون منصوبًا بالفعل، كقولك: (زيدًا ضربته)، فالأصل أنَّ ذلك الاسم يجوز فيه وجهان: أحدهما الرفع بالابتداء، وهو الراجح لسلامته من التقدير، والآخر النصب بفعل موافق للفعل المذكور محذوف وجوبًا، وما بعده لا محلَّ له لأنَّه مفسِّر، وهذا الوجه المرجوح لاحتياجه إلى التقدير. انظر: **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام** (2/ 139- 141).

(2) انظر: **دلائل الإعجاز، الجرجانيّ** (ص 126)، و**دلالات التراكيب، محمّد أبو موسى** (ص 182، 183).

(3) انظر: **الإتقان في علوم القرآن، السيوطيّ** (3/ 174).

(4) انظر: **الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (3/ 28)، و**عروس الأفراح، السبكي** (1/ 392).

(5) انظر: **المثل السائر، ابن الأثير** (2/ 173).

المبحث الأول

أثر أسلوب القصر بتقديم ما حقّه التأخير في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة

يتضمَّن هذا المبحث آثارَ أسلوب القصر بتقديم ما حقّه التأخير في تفسير الآيات المكيَّة من المفصَّل، وشواهدَ لتلك الآثار.

المطلب الأول: بيان المعنى:

الفرع الأول: الإظهار: قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [القدر: 5].

موضع الشاهد: (سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق تقديم ما حقّه التأخير؛ فقد قُدِّم المسند (سَلَامٌ) على المسند إليه (هِيَ)[1].

المقصور: (هِيَ)، مبتدأ مؤخَّر؛ أي: ليلة القدر، وهي الموصوف.

المقصور عليه: (سَلَامٌ)، خبر مُقدَّم يحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة السلام.

المقصور عنه: كلّ الصفات ما عدا صفة السلام.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فقد قُصِرت ليلة القدر على صفة السلام.
- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ مجازيّ؛ لِعدم الاعتداد بِمَا يحصل فيها لِغير الصائمين القائمين[2].

(1) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (15/ 420)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 465).

(2) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 465).

أثر القصر في التفسير:

في قوله تعالى: (سَلَامٌ) وجوه عدَّة؛ أوّلها: التحية لِكثرة التسليم فيها[1]، وثانيها: تقدير الخير والسلامة من الشرّ[2]، وثالثها: أنَّ ليلة القدر سالمة؛ أي: إنَّها متساوية الأوقات والأجزاء، فالعبادة في كلّ واحد من أجزائها خيرٌ من ألف شهر، فهي ليست كسائر الليالي في أنَّه يستحب للفرض الثلث الأوَّل وللعبادة النصف وللدعاء السحر، ورابعها: أنَّها جنَّة مصوغة من السلامة؛ لأنَّ من أسماء الجنّة دار السلام[3]. ولعلَّ هذه الوجوه حاصلة في الآية؛ فالسلام يشمل الخير، واستجابة الدعاء، والغفران، وإجزال الثواب، والتحية، والقول الحسن.

وهناك قولان في معنى الشاهد؛ الأوَّل: ما هي إلَّا سلام حتّى طلوع الفجر[4]، والثاني: هي سلام حتّى طلوع الفجر[5]، ولعلَّ القول الأوَّل هو الصواب؛ فقوله تعالى: (حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ) غاية لِما قبله من قوله: ﴿ نَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [القدر: 4] إلى قوله: (سَلَامٌ هِيَ)، وتفيد تلك الغاية أنَّ جميع أوقات تلك الليلة معمورة بِنزول الملائكة والسلامة، فالغاية هنا مؤكِّدة لِمدلول ﴿ لَيْلَةِ ﴾ [القدر: 1]، فقد تُطلَق كلمة (ليلة) على بعض أجزائها كما في قول النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم: «مَنْ قامَ ليلةَ القَدْرِ إيمانًا وَاحتسابًا، غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ...»؛ أي: من قام بعضها[6].

---

(1) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 781)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (32/ 236)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 327)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 515)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 183)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 420)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 465).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 534)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 781)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (32/ 236)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 327)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 183)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 420)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 465).

(3) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (32/ 236).

(4) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 534)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 781)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (32/ 236)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 327)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 183)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 420)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 465).

(5) انظر: **البحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 515).

(6) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 466). تخريج الحديث: **صحيح البخاريّ**: كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ونية (3/ 26)، رقم الحديث (1901)، واللفظ له. **وصحيح مسلم**: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح (1/ 523)، رقم الحديث (760). والراوي: أبو هريرة.

وَلَمَّا كان المقام مقام تعظيمٍ لِشأن ليلة القدر قُدِّم ما حقّه التأخير فأفاد قَصْرَها على صفة السلام حتّى طلوع الفجر، وبِذلك يكون مجيء القصر بِتقديم ما حقّه التأخير إظهارًا لِفضل وخيريّة ليلة القدر[1]، ولا يبدو هذا الأثر واضحًا في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (هي سلام حتّى مطلع الفجر)؛ فهي جملة خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب.

الفرع الثاني: الإثبات: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الملك: 6].

موضع الشاهد: (لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق تقديم ما حقّه التأخير؛ فقد قُدِّم المسند (لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ) على المسند إليه (عَذَابُ جَهَنَّمَ).

المقصور: (عَذَابُ جَهَنَّمَ)، مبتدأ مؤخَّر مضاف، يحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة التعذيب.

المقصور عليه: (لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ)، جار ومجرور متعلّقان بِخبر مقدَّم محذوف، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ المخلوقات ما عدا الكفّار منهم.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة التعذيب على الكفَّار.
- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ[2]؛ فالمقصور عنه هو كلّ المخلوقات ما عدا الكفّار منهم، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي عاقبة الكفرة المكذِّبين في الدار الآخرة.
- باعتبار حال المخاطَب: قصر قَلْب؛ لِعَكسِه اعتقاد الكفّار المكذِّبين بالحقّ، فَهُم سيحاسبون على أعمالهم في الآخرة، وستكون جهنَّم مثوى لهم.

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 464، 465).

(2) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (15/ 11).

أثر القصر في التفسير:

ذهب المفسّرون إلى أنَّ معنى الشاهد: لِكُلّ الكافرين بِربّهم من الإنس والجنّ عذاب جهنَّم في الآخرة[1]، فَمَعَ أنَّ النصوص الواردة في تعذيب العصاة عديدة إلَّا أنَّ الخلود في نار جهنَّم سيكون من نصيب الكفَّار، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: 39].

وقد جاء القصر بتقديم ما حقّه التأخير مُثبِتًا ما ينتظر الكفّار من العذاب في الآخرة؛ فَلَن يُغفَر لهم كفرهم وجحدهم[2]، وسيكون عذاب جهنَّم مختصًّا بهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[النساء: 48]، ولا يظهر هذا المعنى عند عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (عذاب جهنَّم للذين كفروا بربهم)؛ فهي خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب، بالإضافة إلى أنَّها لا تدلّ على نفي كَون عذاب جهنَّم لِغيرهم.

الفرع الثالث: الإعلام والتنبيه: قوله تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ [المطففين: 34].

موضع الشاهد: (الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق تقديم ما حقّه التأخير؛ فقد قُدِّم المسند إليه (الَّذِينَ آمَنُوا) على المسند الفعلي (يَضْحَكُونَ)[3].

المقصور: (يَضْحَكُونَ)، وهي جملة فعلية تحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الضحك؛ أي: إنَّ المقصور هو صفة الضحك.

المقصور عليه: (الَّذِينَ آمَنُوا)، وهو الموصوف، وفي المراد من قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ)

---

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 508)، و**الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 578)، و**مفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 586)، و**أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 229)، و**البحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 223)، و**إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 4)، و**روح المعاني، الآلوسي** (15/ 11)، و**التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 23).

(2) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 586).

(3) انظر: **المصدر نفسه** (30/ 215).

وجهان؛ أوّلهما: أنَّهم المعهودون[1]، وثانيهما: أنَّهم الذين آمنوا بالله والذين كفروا به في الدنيا[2]، ولعلَّ الوجه الثاني هو الأرجح؛ فالعبرة بِعموم اللفظ لا بِخصوص السبب.

المقصور عنه: كلّ الصفات ما عدا صفة الضحك.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة الضحك على المؤمنين.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ[3]؛ فالمقصور عنه هو كلّ الصفات ما عدا صفة الضحك، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي مواقف أهل الكفر والضلال من المؤمنين.

- باعتبار حال المخاطَب: قصر قَلْب؛ ردًّا على الكفّار الذين كانوا يهزؤون من المؤمنين في الدنيا ويسخرون مِنْهم لِإيمانهم وصلاحهم مع ظهور عدم استحقاقهم لِذلك، قال تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: 10].

أثر القصر في التفسير:

ذهب المفسّرون إلى أنَّ معنى الشاهد: في يوم القيامة الذين آمنوا يضحكون من الكفَّار. وللمفسّرين في سبب الضحك قولان؛ أوَّلهما: رؤية الكفَّار يوم القيامة وما هُم فيه من الهوان والعذاب بعد العزّة والتنعّم[4]، وثانيهما: قيل: يُفتَح للكفَّار باب إلى الجنَّة، فيقال لَهُم: اخرجوا إليها، فإذا وصلوا إليها أُغلِق دونهم، يُفعَل ذلك بِهِم مرارًا، فَيَضحك منهم المؤمنون[5]، ومآل القولين واحد؛ إذ يكون الكفّار يوم القيامة في هوان، ولِبيان هذه الحقيقة قُدِّم ما حقّه التأخير في الشاهد فَقُصِر الضحك يوم القيامة على المؤمنين دون غيرهم،

(1) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 130)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 284).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 303)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (31/ 95).

(3) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 215).

(4) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 303، 304)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 724)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (31/ 95)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 296)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 432)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 130)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 284)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 215).

(5) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 724)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (31/ 95)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 296)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 284).

فأفاد هذا القصر الإعلام بِعلوّ شأن المؤمنين يوم القيامة، وتنبيه المشركين إلى أنَّ حالهم ستتبدَّل في ذلك اليوم، فَاستهزاءهم بالمؤمنين في الدنيا سيكون سببًا في جزائهم بِما هو من نوعه في الآخرة[1]؛ أي: جاء القصر في مقابلة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾ [المطففين: 29][2]. ولا يبدو أثر الإعلام والتنبيه واضحًا عند عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (فاليوم يضحك الذين آمنوا من الكفّار)؛ فهي جملة خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب.

المطلب الثاني: تعزيز المعنى:

الفرع الأول: التأكيد: قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ [المدثر: 3].

موضع الشاهد: (رَبَّكَ فَكَبِّرْ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق تقديم ما حقّه التأخير؛ فقد قُدِّم المعمول (رَبَّكَ) على العامل (كَبِّرْ)[3].

المقصور: (فَكَبِّرْ)، وهي جملة فعلية تحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة التعظيم؛ أي: إنَّ المقصور هو صفة التعظيم.

المقصور عليه: (رَبَّكَ)، مفعول به مقدَّم، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ الصفات ما عدا صفة التعظيم.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة التعظيم على الله جلّ وعلا.

---

(1) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (15/ 284).

(2) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 215). **والمقابلة:** هي التنظير بين شيئين فأكثر، وبين ما يخالف وما يوافق؛ فإذا جيء بأشياء في صدر الكلام جيء بأضدادها في عجزه على الترتيب، بحيث يُقابَل الأوَّل بالأوَّل والثاني بالثاني في المخالف والموافق، ومتى أُخِل بالترتيب كانت المقابلة فاسدة، وقد تكون المقابلة بغير الأضداد. انظر: **خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجّة الحموي** (1/ 129).

(3) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 295).

■ باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ الصفات ما عدا صفة التعظيم، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي تكليف الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم بالنهوض بأعباء الدعوة.

■ باعتبار حال المخاطَب: قصر إفراد[1]؛ وكأنَّه قيل: (كَبِّرْ الله دون غيره من الشركاء).

أثر القصر في التفسير:

اختلف المفسّرون في المراد من قوله تعالى: (فَكَبِّرْ) على أقوال عدّة؛ عظِّم كبرياءه[2]، كبِّره عن اللغو والعبث[3]، كبِّره في الصلاة[4]، قل الله أكبر[5]، ولعلّ القول الأوَّل هو الأرجح؛ إذ المراد بموضع الشاهد وصف الله تعالى بالكبرياء والعظمة اعتقادًا وقولًا[6]، وبقية الأقوال تندرج تحته.

وقد ذهب المفسّرون إلى أنَّ معنى الشاهد: اختصّ ربّك بالتكبير دون غيره[7]، ويؤيّد السياق ما ذهب إليه المفسّرون؛ إذ لَمَّا أمره بالإنذار بقوله: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: 2]، وكأنَّ سائلًا قال: بماذا يُنذِر؟ فأجيب: بتكبير الله عزّ وجلّ وتنزيهه عمَّا لا يليق بجنابه[8]، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: 2].

---

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 295).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 9)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 645)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 697)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 259)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 325)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 54)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 130)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 296).

(3) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 697).

(4) انظر: **المصدر نفسه، وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 130)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 296).

(5) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 645)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 697)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 259)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 54)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 130).

(6) انظر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 259)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 54)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 130)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 296).

(7) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 9)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 645)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 697)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 259)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 325)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 54)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 130)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 296).

(8) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 697، 698).

وَبَعْد الأمر بالإنذار كان تقديم المفعول على الفعل في الشاهد لِإفادة كَون الله وحده مستحقًّا التكبير؛ فَكلّ شيءٍ سواه صغير وهو وحده الكبير المتعالي، وبِذلك جاء القصر تأكيدًا للنبيّ على إفراد الله بِالعظمة والكبرياء، فينبغي له عدم الاكتراث بالكفّار والرهبة منهم، فإنَّ نواصي الخلق بيد الواحد الجبار، وبالنتيجة كان أسلوب القصر في الشاهد منسجمًا مع السياق ومؤكّدًا على أنَّ أوَّل ما يجب بعد العلم بِوجود الإله الحقّ تعظيمه دون غيره، وتنزيهه عن الشركاء ومشابهة الممكنات والمحدثات[1].

ولا يبدو أثر التأكيد واضحًا عند عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (كَبِّرْ رَبَّكَ)؛ إذ لا تدلّ على نفي تكبير غيره؛ أي: إنَّ التكبير يكون لله ويكون لِغيره، في حين أنَّ تقديم المعمول على العامل نفى جوازَ تكبير غيره سبحانه.

الفرع الثاني: التعليل: قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَآ﴾ [النازعات: 44].

موضع الشاهد: (إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق تقديم ما حقّه التأخير؛ فقد قُدِّم المسند (إِلَى رَبِّكَ) على المسند إليه (مُنْتَهَاهَا).

المقصور: (مُنْتَهَاهَا)، مبتدأ مؤخَّر مضاف، وفي الكلام تقدير مضاف محذوف، والتقدير: إلى ربّك عِلْم منتهاها؛ أي: المقصور هو عِلْم وقت قيام الساعة[2]، وقد اختلف المفسّرون في المراد بِعِلْم الساعة على قولين؛ الأوَّل: وقت وقوعها[3]، والثاني: كُنهها وتفاصيل أمرها بِما في ذلك وقت وقوعها[4]، ولعلّ الراجح هو القول الأوّل؛ إذ يدلّ عليه السِّبَاق، فقد قال تعالى: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [النازعات: 42].

المقصور عليه: (إِلَى رَبِّكَ)، جار ومجرور مضاف متعلِّقان بِخبر مقدَّم محذوف، والمقصود: الله عزّ وجلّ، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ الأشياء ما عدا الله سبحانه وتعالى.

---

(1) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 697، 698).

(2) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 96).

(3) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 213)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 402)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 96).

(4) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 105)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 239).

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِر عِلْمُ وقت قيام الساعة على الله تعالى.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ تحقيقيّ؛ إذ ليس لأحدٍ من علم وقت حصولها شيءٌ ما كائناً مَن كان، والآية نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[الأعراف: 187].

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الآية ثلاثة أقوال؛ أوّلها: لا يعلم الساعة غيره تعالى[1]، وثانيها: إليه عزّ وجلّ يرجع منتهى علمها، ليس لِأحد مِنْه شيء كائنًا مَن كان، فَلِأي شيء يسألونك عنها[2]، وثالثها: إلى الله انتهاء علمها لا إلى أحد غيره سبحانه، وما عليهم إلَّا العلم بِاقترابها، وقد حصل لهم ذلك بِمبعثك، فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك؟[3]

وجميع الأقوال التفسيرية الواردة مفيدة للقصر، وقد جاء القصر في القول الأوّل إعلامًا بأنَّ العلم بِوقت الساعة مختصٌّ به عزّ وجلّ دون غيره، وتنبيهًا على أنَّه لم يُؤْتِه أحدًا من خلقه[4]، وأمَّا في القول الثاني فقد أتى القصر تعليلًا للإنكار الذي اقتضاه قوله تعالى: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ [النازعات: 43]، وأمَّا في القول الثالث فكان القصر بيانًا لِبطلان سؤالهم الوارد في قوله تعالى: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [النازعات: 42][5].

وقد اجتمعت آراء المفسّرين حول أثر التعليل الذي يُفهَم من السياق وترشد إليه الحال التي قيل فيها؛ لذا اعتُمِد هذا الأثر عند تصنيف الآثار، وبعبارة أخرى أفاد تقديم ما حقّه التأخير في الآية القصر مُعزِّزًا المعنى عن طريق التعليل، ولا يبدو التعليل واضحًا في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 213).

(2) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (31/ 50)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 402)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 105)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 239)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 96).

(3) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 699)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 105)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 239).

(4) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 95).

(5) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 105)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 239).

الجملة: (منتهاها إلى ربّك)؛ لأنَّها جملة خبريّة تحتمل التصديق والتكذيب هذا من جهة، ولأنَّها لا تدلّ على نفي عِلم الساعة من غيره سبحانه من جهة أخرى.

المطلب الثالث: إضافة معنى جديد:

الفرع الأول: التعريض: قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الملك: 29].

موضع الشاهد: (عَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق تقديم ما حقّه التأخير؛ فقد قُدِّم المعمول (عَلَيْهِ) على العامل (تَوَكَّلْنَا).

المقصور: (تَوَكَّلْنَا)، جملة فعلية تحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الاعتماد.

المقصور عليه: (عَلَيْهِ)؛ أي: الله عزّ وجلّ، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ الأشياء ما عداه سبحانه.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة الاعتماد على الله تعالى دون سواه.
- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ الأشياء ما عداه سبحانه، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي تحذير المكذِّبين بِدعوة رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام من حلول العذاب بهم.
- باعتبار حال المخاطَب: قصر إفراد؛ ردًّا على المشركين الذين أشركوا أصنامهم في التوكّل مع الله، فلا ناصر ولا منجي إلّا هو سبحانه عمَّا يشركون.

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد قولان؛ الأوّل: على الله اعتمدنا في أمورنا[1]، والثاني: على الله لا على غيره توكّلنا ووثقنا[2]، ولعلّ القول الثاني المفيد للقصر هو الراجح؛ إذ يدلّ عليه السياق، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الملك: 28، 29]، فلا مجير للكفّار من عذاب الله إلّا بالإيمان به والتوكّل عليه وحده دون إشراك، لذا قيل لهم: (نحن لا نتكّل على ما أنتم متكّلون عليه، بل على الرحمن وحده توكّلنا).

ويعدّ التوكّل على الله من أصل الإيمان والتوحيد؛ لذلك قُدِّم ما حقّه التأخير في الشاهد فَقَصَر التوكّل على الله وحده، فناسب بذلك السياق، وَلَمَّا كان التوكّل على الله هو سبيل المخلِصين في العبادة أفاد القصر بتقديم ما حقّه التأخير أيضًا التعريض بحال المشركين المنحرفة؛ إذ توكّلوا على أصنامهم وأشركوها في التوكّل مع الله، أو نسوا التوكّل على الله بانشغال فكرهم بالتوجّه إلى الأصنام[3]، ولو ورد الشاهد من غير تقديم -وقيل: (توكّلْنا عليه)- لم يُفِد القصر؛ لِاحتمال إيقاع التوكّل على غير الله.

الفرع الثاني: التأييس: قوله تعالى: ﴿ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴾ [الحاقة: 35].

موضع الشاهد: (فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق تقديم ما حقّه التأخير؛ فقد قُدِّم المسند (لَهُ) على المسند إليه (حَمِيمٌ).

المقصور: (حَمِيمٌ)، اسم ليس مؤخَّر يحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الدفاع والشفاعة.

---

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 519)، **والبحر المحيط، أبو حيّان** (10/ 230).

(2) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 583)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 597)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 232)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 10)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 24)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 54).

(3) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (15/ 24)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 54).

المقصور عليه: (لَهُ)، جار ومجرور متعلّقان بخبر ليس المقدَّم المحذوف، والمقصود الكفّار الفجّار، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ الأشياء والمخلوقات ما عدا الكفّار منهم.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِر انتفاء صفة الدفاع عن الكفَّار يوم القيامة.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ تحقيقيّ؛ إذ ستجعل أهوالُ ذلك اليوم العصيب الأخلاءَ يفرّون من بعض، قال تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: 67]، وقال: ﴿ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾ [المعارج: 10].

أثر القصر في التفسير:

معنى الشاهد: ليس للكفّار في الدار الآخرة أي مُدافع وشفيع، فَشُفعاء الدنيا لن ينفعوهم يوم القيامة[1]، وهو كقوله تعالى: ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: 18].

وقد قُدِّم ما حقّه التأخير في هذه الآية المكيَّة للإعلام بِمصير ذلك الشقي -الذي لا يؤمن بالله العظيم ولا يحضّ على طعام المسكين- إذ لا مدافع عنه يوم القيامة، وبالنظر إلى أهوال ذلك اليوم المفزع ومصير الطغاة فيه -وهو ما ورد في السِّبَاق- يضيف القصرُ بِتقديم ما حقّه التأخير إلى معناه معنى التأييس للكفّار من إيجاد مدافع عنهم وشفيع لهم في الدار الآخرة، ومعنى التنديم لهم على إضاعتهم حياتهم بالتزلّف إلى الأصنام وسدنتها الذين لم ينفعوهم وقت الشدّة[2]، ولا تظهر هذه المعاني واضحة في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (لا حميم له اليوم)؛ فهي جملة خبريّة تحتمل التصديق والتكذيب.

الفرع الثالث: الترهيب: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ [الغاشية: 26].

موضع الشاهد: (إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ).

---

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 139).

(2) انظر: **المصدر نفسه**.

المقصور به: القصر في الآية عن طريق تقديم ما حقّه التأخير؛ فقد قُدِّم المسند (عَلَيْنَا) على المسند إليه (حِسَابَهُمْ).

المقصور: (حِسَابَهُمْ)، اسم إنَّ مؤخَّر مضاف يحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الجزاء والمعاقبة.

المقصور عليه: (عَلَيْنَا)، جار ومجرور متعلِّقان بِخبر إنّ المقدَّم المحذوف، وجاء الضمير المتَّصل (نا) لِلتعظيم لا لِلجمع، والمقصود: الله جلّ جلاله، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ الأشياء ما عدا الله سبحانه وتعالى.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة الجزاء على الله تعالى وحده.
- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ الأشياء ما عدا الله تعالى، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي قيام الساعة والحساب.
- باعتبار حال المخاطَب: قصر قَلْب؛ تنزيلًا للمخاطَبين منزلة مَن ينكر الحساب.

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد ثلاثة أقوال؛ أوَّلها: على الله حساب مَن كفر في الآخرة، وهو متولي عقوبته دون نبيّه الذي عليه التذكير وتبليغ الرسالة[1]، وثانيها: حساب الكفَّار في المحشر على الله لا على غيره[2]، وثالثها: حسابهم في الآخرة مؤكَّد في حكمة الله، وَلَن يفلتوا من العقاب[3]، ولعلَّ القول الثاني المفيد للقصر هو الراجح؛ فالله عزَّ وجلّ هو المتحكِّم بِزمام الأمور لا غيره، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: 107].

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 391).

(2) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 745)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (31/ 147)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 308)، **والبحر المحيط، أبو حيّان** (10/ 466)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 152)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 331).

(3) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 309).

وقُدِّم ما حقّه التأخير في هذه الآية لِيبعث الناس على الخوف من يوم الحساب؛ إذ أفاد التقديم بدايةً القصر فالجبَّار المقتدر على الانتقام سيتولى حسابهم لا غيره، وَلَمَّا كان لا محيد لهم من حسابه وجزائه أضاف القصر بالتقديم معنى التشديد بوعيد الكفَّار وترهيبهم[1]، فلا بدّ لهم من الاستعداد لهذا الحساب، ولا يظهر هذا الأثر واضحًا في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (إنّ حسابهم علينا)؛ فهي جملة خبريّة تحتمل التصديق والتكذيب.

الفرع الرابع: التبرؤ: قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 6].

موضع الشاهد: (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق تقديم ما حقّه التأخير؛ فقد قُدِّم المسند (لَكُمْ، لِيَ) على المسند إليه (دِينُكُمْ، دِينِ)، واللام في الموضعين لِشبه الملك[2].

المقصور: (دِينُكُمْ، دِينِ)، كلتا الكلمتين مبتدأ مؤخَّر، تحملان صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة العبادة.

المقصور عليه: (لَكُمْ، لِيَ)، جار ومجرور متعلّقان بِخبر مقدَّم محذوف، والمقصود بـ (لَكُمْ): المشركون، وبـ (لِيَ): النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم، وهم الموصوف.

المقصور عنه: كلّ المكلَّفين ما عدا المشركين والنبيّ عليه الصلاة والسلام.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت عبادة المشركين عليهم دون أنْ تتجاوزهم إلى نبيّنا الكريم، وقُصِرت عبادته لله تعالى وتوحيده له عليه دون أنْ تتجاوزه إليهم.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ المكلَّفين ما عدا المشركين والنبيّ عليه الصلاة والسلام، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي الحديث عن النزاع الحاصل بين رسولنا الكريم والمشركين الذين دعوه للمهادنة.

(1) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 745)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (31/ 147).

(2) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 584).

- باعتبار حال المخاطَب: قصر إفراد؛ ردًّا على المشركين الطالبين لِشركة الفريقين في عبادتيهما[1].

أثر القصر في التفسير:

هناك ثلاثة أقوال في تفسير الشاهد؛ الأوَّل: لكم دينكم الذي أنتم عليه لا تتركونه، ولي دين الذي أنا عليه لا أتركه[2]، والثاني: "لكم شرككم، ولي توحيدي"[3]، والثالث: دينكم الذي هو الإشراك مقصور عليكم لا يتجاوزكم إليَّ، وديني الذي هو التوحيد مقصور عليَّ لا يتجاوزني إليكم[4]، ولعلَّ القول الأخير هو الأرجح؛ إذ كان مبنى قول المشركين لِرسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام أنْ يعبد آلهتهم سنة ويعبدون آلهته سنة، فقيل لهم: (لَكُمْ دِينُكُمْ) قطعًا لأطماعهم في إتباعه لآلهتهم فإنَّ ذلك من المحالات، وأمَّا قوله: (وَلِيَ دِينِ) فإيمانهم بدينه مستحيل لأنَّهم علّقوه بإيمانه بآلهتهم وهذا محال[5].

ومع عِلْم المشركين بأنَّ لَهُم دينهم وللنبيّ دينه نُزِّلوا منزلة مَن يجهل هذه الحقيقة وينكرها؛ لِعدم جريهم في الاعتقاد والسلوك وفق ما يقتضيه عِلْمهم، وبناءً عليه فإنَّ تقديم ما حقّه التأخير قد أضاف إلى معنى القصر معنى التبرؤ من الشرك والضلال[6]، والتأكيد على عبادة الواحد القهَّار وعلى انفراد كلّ فريق بعبادته عن الآخر[7]؛ فقد أُمِر النبيّ عليه الصلاة والسلام أنْ يكون من المصدقين بآيات ربّه، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: 104]. ولا يبدو هذا الأثر واضحًا عند عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (دينكم لكم وديني لي)؛ إذ لا تدلّ على نفي شركة الفريقين في كلا الدينين، في حين يُبْرِز أسلوب القصر في هذه الآية المكيّة التوحيد الخالص لله تعالى؛ فَأحوج ما يكون الإنسان في البيئة المنحرفة إلى هذا التبرؤ.

---

(1) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 207).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 662)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 343).

(3) **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 809)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 561).

(4) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (32/ 332)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 207)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 489)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 584).

(5) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 207)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 489).

(6) انظر: **البحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 561).

(7) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 207)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 489).

الفرع الخامس: التأديب والترويض: قوله تعالى: ﴿ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴾ [النجم: 24].

موضع الشاهد: (لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق تقديم ما حقّه التأخير؛ فقد قُدِّم المعمول (لِلْإِنْسَانِ) على العامل (مَا تَمَنَّى).

المقصور: (مَا تَمَنَّى)؛ أي: أماني الإنسان، وهو الموصوف.

والاسم الموصول (مَا) بمنزلة المعرَّف بِلام الجنس، فَوقوعه في حيز الاستفهام الإنكاري الذي بمنزلة النفي يقتضي العموم، وقد شمل ذلك كلّ هوى دعاهم إلى الإعراض عن كلام رسولنا الكريم صلَّى الله عليه وسلَّم[1].

المقصور عليه: (لِلْإِنْسَانِ)؛ أي: لِكلّ إنسان، فالتعريف للدلالة على الجنس[2]، والجار والمجرور يحملان صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة التحقّق أو النَوال.

والاستفهام المقدَّر بعد (أَمْ) مفيد للإنكار، يُراد به إبطال نوال الإنسان ما يتمنَّاه[3]، وبذلك يكون المقصور عليه هو صفة عدم التحقّق.

المقصور عنه: كلّ الصفات ما عدا صفة عدم التحقّق.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فقد قُصِرت أماني الإنسان على صفة عدم التحقّق.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ الصفات ما عدا صفة عدم التحقّق، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، فقد تناولت سورة النجم موضوع الرسالة والتوحيد، والبعث والجزاء.

---

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 111).

(2) انظر: **البحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 18)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 111).

(3) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 424)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 159)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 159)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 58)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 111).

■ باعتبار حال المخاطَب: قصر قَلْب[1]؛ فَمَا تعلَّقت به أماني الإنسان لا يجري على إرادته بل على إرادة الله.

أثر القصر في التفسير:

هناك ثلاثة أقوال في تفسير موضع الشاهد؛ أوَّلها: أم تمنَّى سيدنا محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم النبوَّة فأعطاه الله إيّاها[2]، وثانيها: ليس للإنسان كلّ ما يتمنَّاه[3]، وثالثها: أَلِلإنسان ما تمنَّاه واشتهاه؟[4]. ولعلَّ القول الثاني هو الصواب؛ إذ لا يساند السياق القولين الأوَّل والثالث، ومحطّ الإنكار المستفاد من الاستفهام المقدّر بعد (أَمْ) هو أمنية الإنسان أنْ تجري الأمور على حسب أهوائه.

وقُدِّم ما حقّه التأخير فأفاد القصر، فَليس للإنسان تحقّق كلّ ما يتمنَّاه، وَلَمَّا كانت أماني الإنسان بيد الله عزّ وجلّ -وهذا ما يدلّ عليه اللِّحَاق بقوله: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ [النجم: 25][5]- أضاف القصر معنى آخر هو التأديب والترويض لِلنفوس؛ فَلله تعالى الأمر كلّه -ما شاء للإنسان كان وما لم يشأ لم يكن[6]- وعن النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه قال: «لا يَحِلُّ لِامرأةٍ تَسأَلُ طلاقَ أختِهَا، لِتَستفرِغَ صحفتَهَا، فَإِنَّمَا لَهَا مَا قُدِّرَ لَهَا»[7]، وقد جعل تقديم المعمول (لِلْإِنْسَانِ) على عامله (مَا تَمَنَّى) مضمون المعمول هو مناط الإنكار والنفي بخلاف ما لو قيل: هل ما يتمنَّاه الإنسان له؟

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 111، 112).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (22/ 529).

(3) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 424)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 159)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 18)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 159)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 58)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 111).

(4) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (28/ 252).

(5) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 159)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 58)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 111).

(6) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 111، 112).

(7) **صحيح البخاريّ**: كتاب النكاح، باب الشروط التي لا تحلّ في النكاح (7/ 21)، رقم الحديث (5152)، واللفظ له. **وصحيح مسلم**: كتاب النكاح، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح (2/ 1029)، رقم الحديث (1408). والراوي: أبو هريرة.

الفرع السادس: التسلية: قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم: 42].

موضع الشاهد: (إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق تقديم ما حقّه التأخير؛ فقد قُدِّم المعمول (إِلَى رَبِّكَ) على العامل (الْمُنْتَهَى).

المقصور: (الْمُنْتَهَى)، اسم أنَّ مؤخَّر يحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الانتهاء والرجوع.

المقصور عليه: (إِلَى رَبِّكَ)، جار ومجرور مضاف متعلّقان بخبر أنَّ المقدَّم المحذوف، والمراد: الله تعالى، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ الأشياء سواه سبحانه.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة الانتهاء على الله عزّ وجلّ دون سواه.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ تحقيقيّ؛ فالناس راجعون إلى الله عزَّ وجلَّ، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾ [العلق: 8]، وقال: ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الملك: 24].

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد خمسة أقوال؛ أوّلها: إنَّ مرجع الخلق وَمَعادهم إلى الله[1]، وثانيها: إنَّ رجوع الخلق ومحشرهم إلى الله تعالى لا إلى غيره سبحانه استقلالًا لا اشتراكًا[2]، وثالثها: انتهاء دلالة الموجودات على واجب الوجود أي على وجود الله تعالى ووحدانيته[3]، ورابعها: انتهاء الأمور إلى الله تعالى، فَيَجب

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (22/ 547)، و**الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 428)، و**مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 278)، و**أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 161)، و**البحر المحيط، أبو حيّان** (10/ 25).

(2) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 164)، و**روح المعاني، الآلوسي** (14/ 67).

(3) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 278)، و**التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 141).

الحذر من مخالفة أوامره ونواهيه، وخامسها: الرجوع إلى حُكْم الله[1]، ولعلَّ القول الثاني المفيد للقصر هو الأرجح؛ إذ يناسب ما سبق من الآيات، وهو نظير قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: 28].

وقد أفاد القصر بتقديم ما حقّه التأخير في الآية معنى التسلية للنبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم، وكأنَّه يقول: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ... وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:76- 83]، هذا في حال اعتُبِر الخطاب موجَّهًا إليه عليه الصلاة والسلام، وأمَّا إنْ كان الخطاب عامًّا فيعطي القصر معنى التهديد البليغ لِلمُسِيء والحثّ الشديد لِلمُحسِن، فكأنّه قيل: (أيّها السامع كائنًا مَن كان إلى ربّك المنتهى)[2]، وما دام المنتهى إلى الله فلا بدَّ من الصلح معه، ولا تبدو هذه المعاني واضحة في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (المنتهى إلى ربّك)؛ فهي جملة خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب.

الفرع السابع: الإذلال والتحقير: قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: 15].

موضع الشاهد: (عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق تقديم ما حقّه التأخير؛ فقد قُدِّم المعمول (عَنْ رَبِّهِمْ) على العامل (مَحْجُوبُونَ).

المقصور: (مَحْجُوبُونَ)، خبر إنَّ يحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة المنع.

المقصور عليه: (عَنْ رَبِّهِمْ)، جار ومجرور متعلِّقان بـ (مَحْجُوبُونَ)، والكلام على حذف مضاف، والتقدير: عن رؤية ربهم أو عن رحمة ربهم أو عن قرب ربهم أو عن كرامة ربهم أو غير ذلك، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ الأشياء ما عداه سبحانه.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة منع الكفار على الله سبحانه.

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 141).

(2) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 279).

■ باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ الأشياء ما عداه سبحانه، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي جزاء الكفَّار الفجّار يوم القيامة.

■ باعتبار حال المخاطَب: قصر قَلْب؛ فما الأمر كما يقول هؤلاء المكذِّبون بِيوم الدين، مِن أنَّ لَهُم في الآخرة حسنى بل هُم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون، وقد حكى الله تعالى أقوالهم في عدّة سور، منها قوله: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: 50][1].

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد ثلاثة أقوال؛ أوَّلها: أنَّ الكفّار عن رؤية الله يوم القيامة لممنوعون فلا يرونه سبحانه[2]، وثانيها: أنّهم لا يرون الله يوم القيامة ولا يرون شيئًا من كرامته[3]، وثالثها: كونهم محجوبين عنه تمثيل لإهانتهم بإهانة مَن يُحجَب عن الدخول على الملوك[4]، ولعلَّ القول الثاني هو الراجح؛ فقد أخبر الله تعالى عن هؤلاء المكذِّبين أنَّهم عنه محجوبون، ولا دلالة في الآية على أنَّ المراد بِذلك الحجاب معنى دون آخر، ولا خبر عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على خصوصه[5].

ولإظهار مصير الكفرة الفجرة في هذا اليوم العصيب كان تقديم (عَنْ رَبِّهِمْ) لِيفيد معنى القصر، وَلَمَّا كان يُحال بينهم وبين ربّهم نَتَجَ عن القصر معنى آخر هو إذلال الكفّار وتحقيرهم[6]؛ فَهُم في بأس الحجاب والبُعد عن الجناب، ولا يبدو هذا الأثر واضحًا في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (إنّهم محجوبون عن ربّهم يومئذ)؛ فهي جملة خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب.

الفرع الثامن: الإكرام والإعلاء: قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: 1].

موضع الشاهد: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ).

(1) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (31/ 89).

(2) انظر: **المصدر نفسه، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 295)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 429)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 127)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 280)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 201).

(3) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 290).

(4) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 722).

(5) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 290).

(6) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 200).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق تقديم ما حقّه التأخير[1]؛ فقد قُدِّم المسند إليه (الضمير المتصل في إِنَّا) على المسند الفعلي (أَنْزَلْنَاهُ).

المقصور: (أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)، وهي جملة فعلية تحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الإنزال؛ أي: إنَّ المقصور هو صفة الإنزال.

المقصور عليه: الضمير المتَّصل في قوله: (إِنَّا)، ويُحمَل على التعظيم لا على الجمع، والمقصود: الله عزَّ وجلَّ، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ شيء سوى الله تعالى.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة الإنزال على الله عزَّ وجلَّ.
- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ شيء سوى الله تعالى، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، فسورة القدر تتحدث عن فضل ليلة القدر على سائر الأيام والشهور، وما فيها من تجليات ونفحات ربانية.
- باعتبار حال المخاطَب: قصر قَلْب؛ ردًّا على المشركين الذين نفوا أنْ يكون القرآن منزَّلًا من الله تعالى[2].

أثر القصر في التفسير:

للمفسِّرين في معنى الشاهد ثلاثة أقوال؛ الأوّل: إنَّا أنزلنا القرآن في ليلة القَدْر جملة واحدة إلى السماء

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 456).

(2) انظر: **المصدر نفسه.**

الدنيا[1]، والثاني: إنَّا ابتدأنا إنزال القرآن على النبيّ في ليلة القدر[2]، والثالث: أنزلنا القرآن في شأن ليلة القدر وفضلها[3]، ولعلَّ المراد من موضع الشاهد مجموع ما تقدَّم في تفسيره؛ فإنَّ إظهار ما يمضيه الله من الأمور للملائكة يكون في تلك الليلة بأنْ يكتبها في اللوح المحفوظ، ونظيره قوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان: 4]، وبالإضافة إلى ذلك فإنَّ في قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾[البقرة: ١٨٥]، وقوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ [الدخان: 3]، دلالةٌ على إنزال القرآن في ليلة مباركة من شهر رمضان فَتكون ليلة القدر واحدة من ليالي رمضان، وابتداء إنزال القرآن في ليلة شريفة فيه تشريف آخر للقرآن بِتَشريف زمان ظهوره؛ فاختيار الأوقات الفضيلة لِابتداء إنزاله يدلّ على علوّ قدره عند الله تعالى.

وقد أفاد تقديم ما حقّه التأخير اختصاص مَن له مُلْك السماوات والأرض بإنزال القرآن الكريم، وقد أُسنِد هذا الإنزال إليه باستعمال نون العظمة ممَّا يُنبئ عن كمال العناية به[4]، ما جعل هذا القصر يعطي أيضًا معنى الإعلاء والتشريف لِلقرآن[5]، ولا يبدو هذا الأثر واضحًا في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (أنزلناه في ليلة القدر)؛ إذ تحتمل نسبة إنزال القرآن إلى غير الله وهذا محال.

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 531)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 780)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (32/ 228)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 327)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 513)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 182)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 412).

(2) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 780)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (32/ 228)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 327)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 513)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 182)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 412)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 456).

(3) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (32/ 229)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 327)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 513)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 182)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 413).

(4) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 182).

(5) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 456).

المبحث الثاني

أثر أسلوب القصر بتقديم ما حقّه التأخير في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة

يشتمل هذا المبحث على آثار أسلوب القصر بتقديم ما حقّه التأخير في تفسير الآيات المدنيَّة من المفصَّل، وشواهد لتلك الآثار.

المطلب الأول: بيان المعنى:

الفرع الأول: الإثبات: قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: 8].

موضع الشاهد: (لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق تقديم ما حقّه التأخير؛ فقد قُدِّم المسند (لِلَّهِ) على المسند إليه (الْعِزَّةُ).

المقصور: (الْعِزَّةُ)، مبتدأ مؤخَّر يحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الغلبة والقوّة.

المقصور عليه: (لِلَّهِ) و(وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) -نظرًا لوجود حرف العطف- وهو الموصوف.

وذُكِر أنَّ العطف في هذا الشاهد مُعتبَر قبل نسبة الإسناد، فلا ينافي تقديم الخبر المفيد للقصر، ولا يضرّه إعادة الجار لأنّها ليست لِإفادة الاستقلال في النسبة، بل لِإفادة تفاوت ثبوت العزة، فإنّ ثبوتها لله تعالى ذاتيّ، ولِرسوله صلّى الله عليه وسلّم بواسطة الرسالة، وللمؤمنين بواسطة الإيمان[1].

المقصور عنه: كلّ الأشياء ما عدا الله ورسوله الكريم والمؤمنين به.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة الغلبة والقوّة على الله ورسوله والمؤمنين به.

(1) انظر: **حاشيه الشهاب على تفسير البيضاويّ** (8/ 199)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 310).

■ باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ الأشياء ما عدا الله ورسوله والمؤمنين، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي الحديث عن النفاق والمنافقين.

■ باعتبار حال المخاطَب: "قصر قَلْب"[1]؛ ردًّا لِمَا زعموه ضمنًا مِن عزّتهم وذلّ مَن نسبوا إليه الذلّ، سبحانه عمَّا يدَّعون[2].

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد ثلاثة أقوال؛ أوَّلها: لله ورسوله والمؤمنين الغلبة والقوّة[3]، وثانيها: لله الغلبة والقوّة وَلِرسوله وَللمؤمنين الذين عزّهم الله بِنصرته إيّاهم وإظهار دينهم على سائر الأديان[4]، وثالثها: العزّة لله وَلِرسوله وَللمؤمنين لا لِغيرهم[5]، ولعلّ القول الأخير هو الراجح؛ إذ إنّ المقام يقتضي القصر، فقد توهّم المنافقون أنَّ الغلبة والمنعة والقوّة بِكثرة الأموال والأتباع، فَبَيَّن الله أنّ العزّة والغلبة لله وَلِرسوله وللمؤمنين لا لِغيرهم، فَعزّتهم مستمدة من عزّة الله وهي ثابتة لهم ما دام الإيمان مستقرًا في قلوبهم.

وبناءً عليه فإنّ القصر بتقديم ما حقّه التأخير جاء إثباتًا -للمنافقين- بأنَّ الدعوة الإسلامية ستنتصر، فالغلبة ثابتة لله وَلِأوليائه -رسوله والمؤمنين- دون أعدائه[6]، ولا يظهر هذا الأثر واضحًا في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (العزّة لله وَلِرسوله وللمؤمنين)؛ فهي جملة خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب، كما أنَّها لا تنفي شراكة غيرهم لهم في العزّة.

الفرع الثاني: الإعلام والتنبيه: قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [المنافقون: 7].

موضع الشاهد: (وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ).

(1) **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 250).

(2) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (14/ 310).

(3) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 402)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 215)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 184).

(4) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 549).

(5) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 543)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 253)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 310)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 250).

(6) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (14/ 310).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق تقديم ما حقّه التأخير؛ فقد قُدِّم المسند (لِلَّهِ) على المسند إليه (خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ).

المقصور: (خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)، مبتدأ مؤخَّر مضاف واسم معطوف عليه، وهذه العبارة تحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الرزق.

المقصور عليه: (لِلَّهِ)، جار ومجرور متعلِّقان بخبر مقدَّم محذوف، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ الأشياء ما عدا الله تعالى.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة الرزق على الله جلّ وعلا.
- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ الأشياء ما عدا الله تعالى، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي الحديث عن النفاق والمنافقين.
- باعتبار حال المخاطَب: قصر قَلْب؛ فقد عُكِس اعتقاد المنافقين الذين ظنّوا أنَّ رزق رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- والمهاجرين بأيديهم، وما عَلِموا أنَّه بِيَد الله تعالى[1]، وهو نظير قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ [الحجر: 21].

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد ثلاثة أقوال؛ أوَّلها: خزائن الأرزاق بِيَد الله تعالى وحده يعطي مِنها مَن يشاء ويمنع مَن يشاء[2]، وثانيها: بِيَد الله الأرزاق، وهو رازق المهاجرين وإنْ أبى المنافقون أنْ ينفقوا عليهم[3]،

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 248).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 401)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 549)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 253)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 310)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 248).

(3) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 543)، **والبحر المحيط، أبو حيّان** (10/ 183).

وثالثها: لله خزائن السماوات والأرض بِيَده الأرزاق والقِسَم[1]، ولعلّ القول الأوَّل في تفسير الشاهد هو الأرجح؛ فَمَع أنَّ الآيات نزلت في حادثة محدَّدة[2] إلَّا أنَّ العبرة بِعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وقد جاء القصر بتقديم ما حقّه التأخير إعلامًا لِرسول الله -عليه الصلاة والسلام- مباشرةً وإعلامًا للمنافقين تَبَعًا بِأنَّ الله هو الرزّاق يعطي مَن يشاء ويمنع مَن يشاء[3]، وتنبيهًا إلى عدم امتلاك أي مخلوق القدرة على منع فضل الله، ولا يظهر هذا الأثر واضحًا في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (خزائن السماوات والأرض لله)؛ فهي جملة خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب.

المطلب الثاني: تعزيز المعنى:

الفرع الأول: التأكيد: قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: 22].

موضع الشاهد: (إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق تقديم ما حقّه التأخير؛ فقد قُدِّم المعمول (عَلَى اللَّهِ) على العامل (يَسِيرٌ).

المقصور: (يَسِيرٌ)، خبر إنَّ يحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة السهولة.

والكلام على حذف مضاف، والتقدير: إنَّ إحصاء ذلك على الله يسير[4]، أو إنَّ تقدير ذلك[5]،

(1) انظر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 215).

(2) انظر: **أسباب نزول القرآن، الواحدي** (ص 430).

(3) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 248).

(4) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 197).

(5) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 479)، و**البحر المحيط، أبو حيّان** (10/ 111).

أو إنَّ تقدير الحوادث وعلمه[1]، أو "إنَّ حفظ ذلك"[2]، أو إنَّ إثبات ذلك[3]، أو غيرها، ومآل جميع هذه التقديرات واحد؛ فالله سبحانه قدَّرَ ذلك وَعَلِمه وَحَفظه بإثباته في الكتاب، أي: أحصاه.

المقصور عليه: (عَلَى اللَّهِ)، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ الأشياء ما عدا الله تعالى.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة سهولة تقدير وإثبات المصائب على الله تعالى.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ الأشياء ما عداه جلّ جلاله، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي كَون الحوادث قد سبق تقديرها وعلمها من الله أم لا.

- باعتبار حال المخاطَب: قصر قَلْب؛ ردًّا على أهل الضلال -من المشركين وغيرهم- الذين لا يثبتون لله عموم العِلْم، ويُجَوِّزون عليه البَداء[4].

أثر القصر في التفسير:

هناك ستة أقوال في تفسير موضع الشاهد؛ أوّلها: إنّ خلق النفوس، وإحصاء ما يصيبها من المصائب على الله سهل[5]، وثانيها: إنَّ إثبات ذلك -على كثرته- على الله يسير وإنْ كان عسيرًا على العباد[6]، وثالثها:

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 411).

(2) **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 467).

(3) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 479)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 467)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 189)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 211)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 187).

(4) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 411). **البَداء** في العلم وهو أنْ يظهر لله تعالى خلاف ما عَلِم. **الملل والنحل، الشهرستاني** (1/ 148).

(5) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 197).

(6) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 467)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 189)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 211).

إنَّ تقدير ذلك وإثباته على الله يسير وإنْ كان عسيرًا على العباد[1]، ورابعها: "إنَّ حِفظ ذلك على الله هين"[2]، وخامسها: إنّ إثبات المصائب في كتاب على الله لا على غيره يسير لاستغنائه تعالى فيه عن العدّة والمدّة[3]، وسادسها: إنّ تقدير الحوادث وعِلْمها قبل وقوعها على الله يسير[4].

ولعلّ القول الخامس هو الراجح؛ إذ قد يكون سبب نزول هذه الآية إصابة المسلمين بشدة في إحدى الغزوات أو بحبس مطر أو نحو ذلك[5]، وردًّا على مَن أنكر أنّه سبحانه يعلم الحوادث قبل وقوعها كان القصر بتقديم ما حقّه التأخير لِيؤكّد لِلمنكِرين سهولة إثبات الله عزّ وجلّ لِما يحدث مِن المصائب قبل حدوثها[6]؛ فهو يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن. ولو ورد الشاهد دون استعمال أسلوب القصر لم يُفِد هذا التأكيد، كأنْ يقال: (ذلك يسيرٌ على الله)؛ فهي جملة خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب، ومن ثَمَّ لم تتقرر القاعدة التي أخبر الله بها عباده –مِن عِلْمه للحوادث قبل كونها– لِيبنوا عليها ما أصابهم من الخير والشرّ، ويُسَلِّموا بِقَدره.

الفرع الثاني: التعليل: قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد: 2].

موضع الشاهد: (لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق تقديم ما حقّه التأخير؛ فقد قُدِّم المسند (لَهُ) على المسند إليه (مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ).

المقصور: (مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)، مبتدأ مؤخَّر مضاف واسم معطوف عليه، وهذه العبارة تحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة المُلْك؛ أي: إنَّ المقصور هو صفة المُلْك.

المقصور عليه: (لَهُ)، جار ومجرور متعلِّقان بخبر مقدَّم محذوف، تقديره: كائنٌ لله، وهو الموصوف.

---

(1) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 479)، و**البحر المحيط، أبو حيّان** (10/ 111).

(2) **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 467).

(3) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (14/ 187).

(4) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 411).

(5) انظر: **المصدر نفسه** (27/ 410، 411).

(6) انظر: **المصدر نفسه** (27/ 411).

المقصور عنه: كلّ الصفات ما عدا كَون المُلْك لله عزّ وجلّ.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة المُلْك على كَونها لله تعالى.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ تحقيقيّ؛ إذ أُضِيف المُلْك إلى مجموع السماوات والأرض، ولا مُلْك لِمَالك على الأرض كلّها بل السماوات معها إلَّا لله سبحانه[1].

أثر القصر في التفسير:

هناك قولان في معنى الشاهد: الأوّل: إنّ الله مُوجِد السماوات والأرض، والمتَصَرِّف فيهنّ[2]، والثاني: لله التصرُّف الكلّي في السماوات والأرض، وما فيهنَّ مِن الأشياء، مِن حيث الإيجاد والإعدام وسائر التصرفات[3]، ولعلَّ القول الثاني هو الراجح؛ لأنَّ المقام يقتضي القصر وهو ما أفاده القول الثاني، قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: 22].

وقد أفاد تقديم ما حقّه التأخير في الشاهد قصرَ مُلْك السماوات والأرض على الله وحده، وَلَمَّا كان مَن له مُلْك السماوات والأرض حقيقًا بأن يَعْرِف الناس صفات كماله[4] نَتَجَ عن القصر بالتقديم معنى التعليل لِتسبيح المخلوقات لله تعالى الوارد في قوله: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحديد: 1] [5]، ولو ورد الشاهد دون هذا القصر كأنْ يقال: (مُلْك السماوات والأرض لله)، لَصار المعنى يحتمل وجود مَن يملك ذلك غير الله سبحانه، ومن ثَمَّ فُقِد الأثر التعليلي للتركيب.

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 358).

(2) انظر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 185).

(3) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 165)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 443)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 203)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 166)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 358).

(4) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 358).

(5) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (14/ 166)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 358).

المطلب الثالث: إضافة معنى جديد:

الفرع الأول: التعريض: قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [الحديد: 5].

موضع الشاهد: (إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق تقديم ما حقّه التأخير؛ فقد قُدِّم المعمول (إِلَى اللَّهِ) على العامل (تُرْجَعُ)[1].

المقصور: (تُرْجَعُ الْأُمُورُ)، جملة فعلية تحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الحُكْم في أمور العباد، والأمور: جمع أمر، وهو اسم مُحلَّى (بأل) أفاد العموم، فيكون المقصور صفةَ الحُكْم على جميع أمور العباد الدَّقيقة والجليلة.

المقصور عليه: (إِلَى اللَّهِ)، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ الأشياء ما عدا الله تعالى.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة الحُكْم في الأمور على الله وحده.
- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ تحقيقيّ؛ فالله عزّ وجلّ هو المتفرِّد في ألوهية هذا الكون، ولا أحد يستحق الحُكْم في أمور العباد غيره.

أثر القصر في التفسير:

هناك ثلاثة أقوال في تفسير الشاهد؛ أوّلها: إلى الله مصير أمور الخلق في الآخرة، فَيَقضي بينهم بِحُكْمه[2]، وثانيها: إلى الله تعالى وحده لا إلى غيره استقلالًا أو اشتراكًا تُرْجَع جميع الأمور في الآخرة[3]، وثالثها: يدلّ

(1) انظر: **علم المعاني، عبد العزيز عتيق** (ص 141).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 170)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 366).

(3) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 204)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 169).

الشاهد على الإعادة[1]، أي: البعث، وذلك إذا اعتُبِر أنَّ المقصود بالأمور ذواتها. ولعلّ القول الثاني هو الراجح؛ إذ يناسب السِّيَاقَ، فَمَن له مُلْك السماوات والأرض إليه يُرْجَع التصرّف في أمور موجوداتها كلّها، ويؤكّد هذا قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: 53].

وقُدِّم ما حقّه التأخير في الشاهد فأفاد القصر؛ إذ إلى حُكْمه تعالى رجعة أمور العباد، فيقضي بينهم دون غيره، وَلَمَّا كان الحُكْم مترافقًا مع الحساب والجزاء أضاف هذا القصر معنى التعريض بِمُجازاة الله للخلق في الحشر، ولا يبدو هذا الأثر واضحًا في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (تُرْجَع الأمور إلى الله)؛ فهي لا تدلّ على نفي مرجع الأمور إلى غيره سبحانه، في حين أفاد تقديم ما حقّه التأخير في قوله تعالى: (إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) نفيَ مرجعها إلى غيره فكأنَّه تابع قائلًا: (بخلاف ما هو عليه في الدنيا)، وَبِذلك يبرز الأثر الحِجاجي لأسلوب القصر من خلال التركيب اللغوي.

الفرع الثاني: الالتجاء: قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾ [الممتحنة: 4].

موضع الشاهد: (إِلَيْكَ أَنَبْنَا).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق تقديم ما حقّه التأخير؛ فقد قُدِّم المعمول (إِلَيْكَ) على العامل (أَنَبْنَا).

المقصور: (أَنَبْنَا)، جملة فعلية تحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الرجوع بالتوبة.

المقصور عليه: (إِلَيْكَ)؛ أي: إلى الله عزّ وجلّ، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ الأشياء ما عداه تعالى.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة رجوع العباد بالتوبة على الله عزّ وجلّ.
- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ تحقيقيّ؛ فقد أَمَر الله عباده بالإنابة إليه، قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: 54]، وجعلها مفتاح الهداية، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ﴾ [الرعد: 27].

(1) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 449)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 186).

أثر القصر في التفسير:

مِن المفسّرين مَن قال إنَّ الشاهد متَّصل بِمَا نُقِل عن سيدنا إبراهيم عليه السلام ومَن مَعَه مِن الأسوة الحسنة، وللشاهد عندهم أحد المعنيين؛ الأوَّل: إلى الله رجعنا بالتوبة عمَّا لا ينبغي من الأمور[1]، والثاني: إليك أنبنا لا إلى غيرك[2]، ورأى آخرون أنَّ الشاهد أَمْرٌ من الله للمؤمنين، وتعليمٌ لهم بأنْ يقولوه، وتتميمٌ لِمَا وصَّاهم به مِن قطع العلائق بينهم وبين الكفَّار[3]، ولعلَّ الأظهر أنْ يكون الشاهد من كلام سيدنا إبراهيم عليه السلام وقومه؛ فجملة (إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ) معترضة بين أجزاء القول وهو مِمَّا أُمِر المسلمون أنْ يأتسوا به، وَبِذلك يكون الكلام شديد الاتِّصال مع قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الممتحنة: 6][4].

وقد أفاد تقديم ما حقّه التأخير في الشاهد قصرَ توجُّه سيدنا إبراهيم -عليه السلام- بالإنابة على الله وحده، وَلَمَّا كان أبو الأنبياء مِن أكمل الناس توحيداً عُدَّ رمزًا للمسلم المثالي، وبذلك يُفهَم من هذا القصر معنى آخر هو الالتجاء إلى الله تعالى دون سواه في جميع الأمور ولا سيما في مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم[5]؛ وقد أخبر سبحانه أنَّ البشرى لِأهل الإنابة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ [الزمر: 17]، ولو ورد الشاهد دون استعمال أسلوب القصر فيه كأنْ يقال: (أنَبْنا إليك) لم يُفِد هذه المعاني؛ لأنَّه لا يدلّ على نفي الإنابة إلى غير الله تعالى.

الفرع الثالث: تثبيت النفوس: قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن: 13].

موضع الشاهد: (عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق تقديم ما حقّه التأخير؛ فقد قُدِّم المعمول (عَلَى اللَّهِ) على العامل (فَلْيَتَوَكَّلِ).

---

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 319)، و**الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 514)، و**مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 519)، و**أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 205).

(2) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 237)، و**روح المعاني، الآلوسي** (14/ 267)، و**التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 146، 147).

(3) انظر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 205)، و**البحر المحيط، أبو حيّان** (10/ 156).

(4) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 146).

(5) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 237)، و**روح المعاني، الآلوسي** (14/ 266).

المقصور: (فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)، جملة فعلية تحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة التقوّي والتفويض.

المقصور عليه: (عَلَى اللَّهِ)، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ الأشياء ما عدا الله عزّ وجلّ.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة التقوّي على الله تعالى وحده.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ تحقيقيّ؛ إذ بِيَد الله ملكوت كلّ شيءٍ، قال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: 26].

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد ثلاثة أقوال؛ أوَّلها: الشاهد حثٌّ لِرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم على التقوّي بالله والتفويض إليه في أَمْره حتَّى ينصره على مَن كذَّبه وتولَّى عنه[1]، وثانيها: على الله فَلْيَعتمد المصدِّقون بِوحدانيته[2]، وثالثها: على الله لا على غيره يتوكَّل المؤمنون[3]، ولعلَّ القول الأخير هو الراجح؛ فقوله تعالى: (الْمُؤْمِنُونَ) يفيد العموم الشامل للمخاطَبين وغيرهم[4]، كما أنَّ السياق يقتضي القصرَ.

وقد جاء الشاهد لِيوضِّح مقتضى حقيقة التوحيد الواردة في السِّبَاق، فَقُدِّم الجار والمجرور لِيفيد قصرَ توكُّل المؤمنين على الله تعالى[5]، وَلَمَّا كانت الألوهية تقتضي التبتل إليه عزّ وجلّ بالكلّية وقطع التعلّق عمَّا سواه

(1) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 549).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 422)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 218).

(3) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 556)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (3/ 51)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 258)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 321)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 282).

(4) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 282).

(5) انظر: **المصدر نفسه**.

-وهذا ما أشار إليه إظهار اسم الجلالة في موقع الإضمار[1]- أفاد هذا القصر معنى آخر هو الربط على قلوب المؤمنين والتثبيت لِنفوسهم كيلا يأسفوا من إعراض المشركين وما يصيبهم مِنْهم؛ فَذَلك لن يضرّهم[2]، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: 3]، ولو ورد الشاهد دون استعمال أسلوب القصر فَقِيل: (فليتوكّل المؤمنون على الله) لم يفدْ هذا القول تلك المعاني؛ لأنَّه لا يدلّ على نفي توكُّلهم على غير الله عزّ وجلّ.

الفرع الرابع: الحثّ: قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: 10].

موضع الشاهد: (لِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق تقديم ما حقّه التأخير؛ فقد قُدِّم المعمول (لِلَّهِ) على العامل (مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ).

المقصور: (مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)، مبتدأ مؤخَّر مضاف واسم معطوف عليه، وهذه العبارة تحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة البقاء؛ أي: إنَّ المقصور هو صفة البقاء.

وفي الكلام تقدير مضاف محذوف، والتقدير: لله ميراث أهل السماوات والأرض[3].

المقصور عليه: (لِلَّهِ)، جار ومجرور متعلّقان بخبر مقدَّم محذوف، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ الأشياء ما عدا الله سبحانه.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة بقاء أموال أهل السماوات والأرض على الله عزّ وجلّ.

---

(1) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 258).

(2) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 282).

(3) انظر: **المصدر نفسه** (27/ 373).

■ باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ الأشياء ما عدا الله تعالى، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي الإنفاق في سبيل الله.

■ باعتبار حال المخاطَب: الخطاب للمؤمنين[1]، والقصر قصر إفراد؛ إذ لا يبقى للمؤمنين ولا لِغيرهم من أموال السماوات والأرض شيء، بل تبقى كلّها لله عزّ وجلّ[2].

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد ثلاثة أقوال؛ أوّلها: إلى الله تصير أموالكم إنْ تركت إنفاقها في حياتكم في سبيل الله[3]، وثانيها: ستهلكون وتتركون أموالكم لِمَن قدَّر الله مصيرها إليه، فَهَلَّا أنفقتموها في طاعة الله[4]، وثالثها: لِمَ تتركون الإنفاق في سبيل الله، وأنتم تموتون، ولا يبقى لأحد من أمواله شيءٌ بل تبقى كلُّها لله تعالى[5]، ومآل جميع الأقوال واحد؛ فالله هو المتحكِّمُ بِمَا في السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ [الحجر: 23].

وقد أفاد تقديم الجار والمجرور (لله) أنَّ الأموال ستؤول إليه سبحانه وليس لِأحد شيءٌ منها، وَمِن ثَمَّ كان إنفاقها في سبيل الله أولى –طمعًا بالثواب– وبذلك يكون القصر بتقديم ما حقّه التأخير قد أضاف معنى آخر إليه هو حثّ المؤمنين على الإنفاق في سبيل الله[6]، ولو قيل:(ميراث السماوات والأرض لله)، لَذَهَب هذا الأثر؛ فهي تفيد مجرَّد الإخبار الذي يحتمل نتائج عدَّة مستنتَجة من التركيب اللغوي، في حين يُقَلِّص التقديم والتأخير الإمكانيات الدلالية، وتصبح النتيجة الممكنة واحدة، ويمكن استنباط صورة الاستدلال المنطقي كالآتي: (لا يستوي منكم مَن أنفق مِن قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة مِن الذين أنفقوا مِن بعد وقاتلوا، وَلَكِن الله وعد كلا الفريقين الحسنى، إذن لله ميراث السماوات والأرض).

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 372).

(2) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (14/ 171، 172).

(3) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 173)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 474).

(4) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 452)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 186)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 101)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 373).

(5) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 206)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 171، 172).

(6) انظر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 186)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 373).

الفرع الخامس: التعظيم: قوله تعالى: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ [الحديد: 20].

موضع الشاهد: (فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ).

المقصور به: القصر في الآية عن طريق تقديم ما حقّه التأخير؛ فقد قُدِّم المسند (فِي الْآخِرَةِ) على المسند إليه (عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ).

المقصور: (عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ)، مبتدأ مؤخَّر ومعطوف عليه أول ومعطوف عليه ثانٍ، وهذه العبارة تحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة العظمة.

المقصور عليه: (فِي الْآخِرَةِ)، جار ومجرور متعلِّقان بخبر مقدَّم محذوف، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ مُسْتَقَر للمكلَّفين ما عدا الدار الآخرة.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة العظمة للآلام واللذَّات على الدار الآخرة.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ تحقيقيّ؛ فَالدار الآخرة هي دار البقاء والخلود، وَيَتَوصَّل الإنسان بِمَا قَدَّم في الدار الدنيا إلى الفوز أو الخسران في الدار الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾ [القصص: 77].

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين قولان؛ أحدهما: في الآخرة عذاب شديد للكفَّار وغفران من الله ورضوان للمؤمنين[1]، والآخر:

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 194)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 464)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 189)، **والبحر المحيط، أبو حيّان** (10/ 110)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 210)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 184)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 406).

ما الآخرة إلَّا أمور عظام، وهي: العذاب الشديد ومغفرة الله ورضوانه[1]، ولعلَّ القول الثاني هو الراجح؛ إذ يقتضي المقامُ القصرَ.

وقد ذكر الله تعالى في هذه الآية ما في الحياة الدنيا وحال الكافر فيها، وأمَّا الآخرة فإنَّها إمَّا عذاب وإمَّا مغفرة[2]، ولِتوضيح أنَّ للآخرة شأنًا غير شأن الدنيا قدّم ما حقّه التأخير فَقَصَر الآخرة على العذاب الشديد والمغفرة والرضوان، وَلَمَّا كانت الآخرة هي الحساب والدوام أفاد القصر أيضًا التعظيم لِشأن الدار الآخرة وما فيها من اللذّات والآلام، والترغيب في تحصيل نعيمها المقيم والتحذير من عذابها الأليم[3]؛ فَشَأنها يستحق أنْ تستعد النفوس له وأنْ تتعلَّق به. ولا يبدو هذا الأثر في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان في الآخرة)؛ إذ لا تدلّ على نفي وجود تلك اللذَّات والآلام الشديدة في غير تلك الدار.

(1) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 478).

(2) انظر: **معاني القرآن، الفرّاء** (3/ 135).

(3) انظر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 189)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 210)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 184).

المبحث الثالث

عرض النتائج وتحليلها

استُقرِيت سور المفصَّل لاستخراج شواهد القصر بتقديم ما حقّه التأخير، وَفِيما يأتي نتائج الاستقراء متضمِّنةً نوع القصر في كلّ شاهد وأثره في التفسير.

المطلب الأول: نتائج استقراء أثر القصر بتقديم ما حقّه التأخير في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة:

يلخّص الجدول رقم (13) دارسة أسلوب القصر بتقديم ما حقّه التأخير في المكيّ من آيات المفصَّل:

الجدول رقم (13)؛ أثر أسلوب القصر بتقديم ما حقّه التأخير في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة

الأثر	الشاهد	النوع باعتبار المقصور والمقصور عليه	النوع باعتبار الحقيقة والواقع	النوع باعتبار حال المخاطَب	العدد
التأكيد	﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: 44]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	11
	﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [النجم: 31]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
	﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: 1]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	-	
	﴿هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: 1]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
	﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك: 19]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	
	﴿رَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: 3]	قصر صفة على موصوف	إضافي	إفراد	
	﴿ثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: 4]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
	﴿الرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: 5]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
	﴿لِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: 7]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
	﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ [الليل: 12]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
	﴿إِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: 8]	قصر موصوف على صفة	حقيقي تحقيقي	-	
الإظهار	﴿إِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ [ق: 43]	قصر صفة على موصوف	إضافي	إفراد	6
	﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ [ق: 44]	قصر موصوف على صفة	حقيقي مجازي	-	
	﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة: 31]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	-	
	﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: 32]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	-	

الجدول رقم (13)؛ أثر أسلوب القصر بتقديم ما حقّه التأخير في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة					
الأثر	الشاهد	النوع باعتبار المقصور والمقصور عليه	النوع باعتبار الحقيقة والواقع	النوع باعتبار حال المخاطَب	العدد
	﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ [نوح: 25]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
	﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: 5]	قصر موصوف على صفة	حقيقي مجازي	-	
الإثبات	﴿أَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم: 47]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	5
	﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ [الملك: 6]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	
	﴿إِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: 15]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
	﴿إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الملك: 24]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
	﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 23]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	-	
التعريض	﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: 29]	قصر صفة على موصوف	إضافي	إفراد	5
	﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة: 12]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
	﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة: 30]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
	﴿اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: 9]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
	﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ [العلق: 8]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
التعليل	﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ [النجم: 25]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	2
	﴿إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ [النازعات: 44]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
التأييس	﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ [الحاقة: 35]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	2
	﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ [الانفطار: 19]	قصر صفة على موصوف	إضافي	إفراد	
الإعلام والتنبيه	﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: 34]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	2
	﴿إِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ [الليل: 13]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	
الترهيب	﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ [الغاشية: 25]	قصر صفة على موصوف	إضافي	إفراد	2
	﴿إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: 26]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	
التبرؤ	﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ [الكافرون: 6]	قصر صفة على موصوف	إضافي	إفراد	2
	﴿لِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 6]	قصر صفة على موصوف	إضافي	إفراد	
التأديب والترويض	﴿لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ [النجم: 24]	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	1

الجدول رقم (13)؛ أثر أسلوب القصر بتقديم ما حقّه التأخير في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة					
الأثر	الشاهد	النوع باعتبار المقصور والمقصور عليه	النوع باعتبار الحقيقة والواقع	النوع باعتبار حال المخاطَب	العدد
التسلية	﴿أَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: 42]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	1
الإذلال والتحقير	﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: 15]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	1
الإكرام والإعلاء	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: 1]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	1

المطلب الثاني: نتائج استقراء أثر القصر بتقديم ما حقّه التأخير في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة:

يلخّص الجدول رقم (14) دارسة أسلوب القصر بتقديم ما حقّه التأخير في المدنيّ من آيات المفصَّل:

الجدول رقم (14)؛ أثر أسلوب القصر بتقديم ما حقّه التأخير في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة					
الأثر	الشاهد	النوع باعتبار المقصور والمقصور عليه	النوع باعتبار الحقيقة والواقع	النوع باعتبار حال المخاطَب	العدد
التعريض	﴿اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: 4]، [التغابن: 2].	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	10
	﴿إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الحديد: 5]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
	﴿اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: 10]، [المجادلة: 3]، [المجادلة: 11]، [التغابن: 8].	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
	﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: 7]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
	﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: 3]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
	﴿اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11].	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
الإثبات	﴿هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد: 2] [التغابن: 1]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	7
	﴿هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
	﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الحشر: 24]	قصر صفة على موصوف	إضافي	إفراد	
	﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: 8]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	
	﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ [التغابن: 1]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	-	

الجدول رقم (14)؛ أثر أسلوب القصر بتقديم ما حقّه التأخير في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة					
الأثر	الشاهد	النوع باعتبار المقصور والمقصور عليه	النوع باعتبار الحقيقة والواقع	النوع باعتبار حال المخاطَب	العدد
	﴿لَهُ الْحَمْدُ﴾ [التغابن: 1]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	-	
التأكيد	﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: 22]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	3
	﴿اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: 6]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
	﴿ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: 7]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	
الالتجاء	﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ [الممتحنة: 4]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	-	3
	﴿إِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾ [الممتحنة: 4]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
	﴿إِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: 4]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
التعليل	﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: 2]، [الحديد: 5].	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	2
تثبيت النفوس	﴿عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: 10]، [التغابن: 13].	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	2
الحثّ	﴿لِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: 10]	قصر صفة على موصوف	إضافي	إفراد	1
التعظيم	﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ [الحديد: 20]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	1
الإعلام والتنبيه	﴿لِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [المنافقون: 7]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	1

المطلب الثالث: تحليل النتائج:

بلغ عدد شواهد القصر بتقديم ما حقّه التأخير في سور المفصَّل أربعة وسبعين شاهدًا، منها أربعة وأربعون في الآيات المكيّة، وثلاثون في الآيات المدنيّة. وتعدَّدت أنواع هذا القصر في السور، ولم تقتصر على نوع واحد، فكان باعتبار الحقيقة والواقع حقيقيًا في واحد وخمسين شاهدًا، وإضافيًا في ثلاثة وعشرين شاهدًا، وأمَّا باعتبار المقصور والمقصور عليه فَكان قصرَ موصوف على صفة في خمسة شواهد، وقصرَ صفة على موصوف في تسعة وستين شاهدًا، انظر الجدول رقم (15).

الجدول رقم (15)؛ عدد شواهد القصر بتقديم ما حقّه التأخير في سور المفصَّل											
باعتبار الحقيقة والواقع						باعتبار المقصور والمقصور عليه					
قصر حقيقي			قصر إضافي			قصر موصوف على صفة			قصر صفة على موصوف		
الآيات المكيّة	الآيات المدنيّة	المجموع	الآيات المكيّة	الآيات المدنيّة	المجموع	الآيات المكيّة	الآيات المدنيّة	المجموع	الآيات المكيّة	الآيات المدنيّة	المجموع
27	24	51	17	6	23	5	0	5	39	30	69

وظهرت لأسلوب القصر بتقديم ما حقّه التأخير آثارٌ متعدّدةٌ في تفسير سور المفصّل، وهذه الآثار موضَّحة في الجدولين (16) و(17).

الجدول رقم (16)؛ آثار القصر بتقديم ما حقّه التأخير في تفسير المكيّ والمدنيّ من آيات المفصّل			
الأثر	العدد في الآيات المكيّة	العدد في الآيات المدنيّة	المجموع
التعريض	5	10	15
التأكيد	11	3	14
الإثبات	5	7	12
التعليل	2	2	4
الإعلام والتنبيه	2	1	3

الجدول رقم (17)؛ آثار القصر بتقديم ما حقّه التأخير في تفسير المكيّ أو المدنيّ من آيات المفصّل			
الآيات المكيّة		الآيات المدنيّة	
الأثر	العدد	الأثر	العدد
الإظهار	6	الالتجاء	3
التأييس	2	تثبيت النفوس	2
الترهيب	2	الحثّ	1
التبرؤ	2	التعظيم	1
التأديب والترويض	1		
التسلية	1		
الإذلال والتحقير	1		
الإكرام والإعلاء	1		

ويُلاحَظ من الجدول رقم (16) وجود آثار مشتركة للقصر بتقديم ما حقّه التأخير في تفسير المكيّ والمدنيّ من آيات المفصّل؛ وهي: التعريض، والتأكيد، والإثبات، والتعليل، والإعلام والتنبيه. وقد انفردت الآيات المكيّة في الجدول رقم (17) ببعض الآثار؛ وهي: الإظهار، والتأييس، والترهيب، والتبرؤ، والتأديب والترويض، والتسلية، والإذلال والتحقير، والإكرام والإعلاء، وانفردت الآيات المدنيّة بآثار أخرى؛ هي: الالتجاء، وتثبيت النفوس، والحثّ، والتعظيم.

خلاصة:

يُلاحَظ من استعراض شواهد أسلوب القصر بتقديم ما حقّه التأخير في سور المفصَّل الآتي:

– عدم إفادة تقديم ما حقّه التأخير القصرَ تلقائيًا؛ وإنَّما تنحصر إفادته للقصر في القرائن المقاميّة والسياقيّة، فهي المعوَّل عليه في ذلك.

– ورود هذا الأسلوب أكثر في الآيات المكيَّة من الآيات المدنيّة.

– تعدُّد أنواعه، وقد كان قصر الصفة على الموصوف والقصر الحقيقيّ الأكثر شيوعًا.

– تنوُّع آثاره، فَنَال أثر التعريض المرتبة الأولى بعدد الشواهد؛ إذ بلغ عدد شواهده خمسةَ عشرَ شاهدًا، وجاء أثر التأكيد بالمرتبة الثانية بأربعةَ عشرَ شاهدًا، وكان أثر الإثبات في المرتبة الثالثة باثني عشرَ شاهدًا.

– تشابُه بعض آثار هذا الأسلوب بين آيات المفصَّل المكيَّة والمدنيَّة، واختلاف بعضها الآخر.

– استعمال القصر بتقديم ما حقّه التأخير في الأخبار سواء أكانت مجهولة أو منكَرة من المخاطَب أم لا؛ وذلك لترسيخ التعلّق والخضوع، ويأتي هذا القصر في مقامات الإهانة والتعظيم.

– قيام هذا الأسلوب بعمل حِجاجيّ، ونهوضه للإقناع بالقضايا التي يعرضها القرآن.

الفصل الخامس

أثر أسلوب القصر بتعريف طرفي الإسناد في تفسير آيات المفصَّل

تمهيد.

المبحث الأول: أثر أسلوب القصر بتعريف طرفي الإسناد في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة.

المبحث الثاني: أثر أسلوب القصر بتعريف طرفي الإسناد في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة.

المبحث الثالث: عرض النتائج وتحليلها.

خلاصة.

تمهيد:

الأصل في الجملة الاسميَّة أنْ يكون المبتدأ معرفةً والخبر نكرةً[1]، فإذا كان المبتدأ والخبر معرفتين، فالراجح أنَّ السابق منهما هو المبتدأ واللاحق هو الخبر[2].

وعندما يكون أحد طرفي الإسناد في الجملة الاسميَّة معرَّفًا ب (أل) التي للجنس، فإنَّ هذا التعريف يدلُّ على القصر سواء أكان المعرَّف بها متقدِّمًا أم متأخِّرًا، ويكون التعريف بـ (أل) الجنسية للمبتدأ أو للخبر أو لهما، وفي قولك: (مُحَمَّد الكريم) و(الكريم مُحَمَّد)، يكون القصر حاصلًا في الموضعين[3]، ويكون المقصور هو المعرَّف بـ (أل) الجنسيَّة، والمقصور عليه هو الاسم الآخر[4].

وإنْ دخلت (أل) الجنسيَّة على طرفي الإسناد احتمل أن يكون المبتدأ مقصورًا على الخبر وأن يكون الخبر مقصورًا على المبتدأ، ولكن الأظهر قصر المبتدأ على الخبر؛ لأنَّ القصرَ مبنيٌّ على قصد الاستغراق وشمول جميع الأفراد وذلك أنسب بالمبتدأ؛ لأنَّ القصد فيه إلى الذات وفي الخبر إلى الصفة[5]، وقيل السياق هو الذي يُحدِّد المقصورَ من المقصور عليه[6]، ولعلَّه الأصوب؛ فالقول: (العلماء الخاشعون) قد يُقصَد به تارة قصر العلماء في الخاشعين وتارة أخرى عكسه، ومن السياق يتضّحُ مراد المتكلِّم في ذلك القول.

والتعريف بـ (أل) الجنس عند الجرجاني قد يفيد قصرَ الخبر على المبتدأ من وجوه؛ هي:

1- قصر الجنس حقيقة لِعدم وجود معنى الجنس في غير ذلك المقصور عليه؛ كقولك: (زيد الأمير) إذا لم يكن هناك أمير سواه.

2- قصر جنس المعنى على المخبَر عنه لِقصد المبالغة؛ كقولك: (عمرو هو الشجاع)، تريد أنَّه الكامل، قصرت جنس الشجاعة عليه، فالشجاعة لم توجد إلّا فيه لِعدم الاعتداد بما كان من غيره.

---

(1) انظر: **الكتاب، سيبويه** (1/ 328).

(2) انظر: **المصدر نفسه** (1/ 23، 24).

(3) انظر: **علم المعاني، بسيوني فيود** (2/ 44).

(4) انظر: **حاشية الدسوقي على مختصر المعاني** (2/ 128، 129)، **وعلم المعاني، بسيوني فيود** (2/ 44).

(5) انظر: **حاشية الدسوقي على مختصر المعاني** (2/ 129).

(6) انظر: **علم المعاني، بسيوني فيود** (2/ 44).

3- قصر المعنى في جنس ما حُسْنه الحُسْن الظاهر الذي لا ينكره أحد، ولا يشكّ فيه شاكّ؛ كقول الخنساء:

إذا قَبُحَ البكاءُ على قتيلٍ رأيتُ بكاءَكَ الحسَنَ الجميلا

فقد أرادت أن تقصر البكاءَ والحزن على القتيل في جنس الحُسْن الواضح الذي لا يستطيع أحد إنكاره أو الشكّ فيه.

4- قصر الخبر على المبتدأ، لا باعتبار ذاته بل باعتبار القيد؛ مِن وصف أو حال أو ظرف، كقولك: (هو المتّقي المرتجى) فقصرتَ التقوى الموصوفة بالمرتجاة فيه[1].

ودلالة التعريف بـ (أل) الجنس على القصر بالذوق والفحوى[2]، فهي تتولد من شيء خفي لطيف، وليست دلالة لغويّة، وذلك أنَّ التعريف بها يفيد الجنسية، فقولك: (الشجاع) يفيد جنس الشجاع، ولذا اتسعت الكلمة بـ (أل) التعريف فاستغرقت الأفراد فردًا فردًا، وَلَمَّا كانت هذه الأداة (أل) تحمل هذا المعنى وتفرغ على الكلمة هذا العموم الواسع، كان قولك: (زيد الشجاع) دالًّا على أنَّ زيدًا هو كلّ شجاع، وأنَّ ما عداه ليس من الشجاعة في شيء، وذلك هو معنى القصر[3].

وفي اللغة يُستفاد التعريف من: الضمير، والعلميَّة، واسم الإشارة، والاسم الموصول، والمحلّى بأل، والمضاف لواحد ممَّا ذُكِر، والمنادى النكرة المقصودة. وأمَّا المعرفة فتُعرَّف بأنَّها ما يُفهَم منه معيّن[4].

ويكون تعريف طرفي الإسناد في الجمل الاسميَّة، وأمّا الجمل الفعليَّة فالفعل فيها بقوّة النكرة، فلا يكون فيها المسند معرَّفًا، وليس بعيدًا أن توجد جملة فعلية هي بقوّة جملة اسمية معرفة الطرفين، لكن لم يتابع البلاغيّون بحثهم في هذا المجال، وكان تركيزهم على الجملة الاسميَّة التي عُرِّف طرفاها، إذ يرون أنَّ تعريفَ طرفي الإسناد فيها قد يفيد معنى القصر بمساعدة القرائن الأخرى الحاليَّة أو المقاليَّة[5]، وذكروا الأحوال التي

(1) انظر: **دلائل الإعجاز، الجرجانيّ** (ص 179-182). بيت الشعر من البحر الوافر وهو للخنساء في ديوانها (ص 99)، **والخَنْسَاء** هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد السلمي، تُوفِّيت سنة 24 هـ، صحابية شاعرة، لها ديوان شعر فيه ما بقي محفوظًا من شعرها، والبكاء المذكور في البيت على أخيها صخر. انظر: **وفيات الأعيان، ابن خلكان** (34/6)، **والأعلام، خير الدين الزركلي** (2/ 86).

(2) انظر: **حاشية الدسوقي على مختصر المعاني** (2/ 130، 131).

(3) انظر: **دلالات التراكيب، محمّد أبو موسى** (ص 85، 86).

(4) انظر: **معجم القواعد العربية، عبد الغني الدقر** (ص 440).

(5) انظر: **البلاغة العربية، عبد الرحمن حَبَنَّكَة الميداني** (1/ 544).

يفيد فيها التعريفُ القصرَ؛ فإذا عُرِّفَ المسند أفاد القصرَ بخلاف تعريف المسند إليه الذي لا يفيد تعريفه القصر. وخلاصة القول إنَّ تعريفَ المسند الاسمي يفيد القصرَ، وهو ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجانيّ في مثاله الشهير: (زيد المنطلقُ)، وقد شرح فيه أثر المقام والمخاطَب في تحديد دلالة التراكيب، إذ قال: "اعلمْ أنَّك إذا قلتَ: (زيدٌ منطلقٌ)، كانَ كلامك مع مَنْ لم يعلَمْ أنَّ انطلاقاً كان، لا مِنْ زَيْد ولا مِنْ عَمْرو، فأنتَ تفيده ذلك ابتداءً. وإذا قلتَ: (زيدٌ المنطلقُ)، كان كلامك مع مَنْ عرف أنَّ انطلاقاً كان، إمَّا مِن زَيْد وإمّا مِن عَمرو، فأنتَ تُعْلِمه أنَّه كان مِن زيدٍ دون غيره"[1]، فالجرجانيّ وضَّح في مثاله المقام وحال المخاطَب من جهة العِلْم بالخبر والجهل به، وأورد ما يستفاد من الخبر بناءً على معرفة المخاطَب، مؤكِّدًا بذلك على خصوصية المقام وحال المخاطَب، وعلى أنَّ البنى اللغوية مرهونةٌ بهما في إفادتها القصرَ.

(1) **دلائل الإعجاز، الجرجانيّ** (ص 177).

المبحث الأول

أثر أسلوب القصر بتعريف طرفي الإسناد في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة

يتضمَّن هذا المبحث آثارَ أسلوب القصر بتعريف طرفي الإسناد في تفسير الآيات المكيَّة من المفصَّل، وشواهدَ لتلك الآثار.

المطلب الأول: بيان المعنى:

الفرع الأول: الإثبات: قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ [الإخلاص: 2].

موضع الشاهد: (اللَّهُ الصَّمَدُ).

المقصور به: تعريف طرفي الإسناد في الجملة الاسميَّة[1]؛ فالمسند إليه: (اللَّهُ)، والمسند: الاسم المعرَّف بـ (أل) الجنس (الصَّمَدُ).

المقصور: (الصَّمَدُ)، خبر يحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الصمدية.

ومعنى (الصَّمَدُ): لغةً: هناك وجهان؛ الأوَّل: صَمَدَهُ: قصد معتمدًا عليه، والصَّمَد هو السَّيِّد الذي يُصْمَدُ إليه في الأمر[2]، والثاني: الصَّمَد هو الذي لا جوف له[3]، ومنه يقال: الصَّمَد هو كلّ مكان صلب[4]. ولأنَّ الصمد بهذا المعنى صفة للأجسام -وتعالى الله عن ذلك- فيجب أنْ يُحمَل على مجازه؛ إذ إنَّ الجسم الذي يكون كذلك يكون عديم الانفعال والتأثّر، وهذا يشير إلى كونه سبحانه واجبًا لذاته ممتنع التغيّر في وجوده وبقائه وجميع صفاته.

واصطلاحًا: هناك وجوه؛ بعضها يليق بالوجه اللغويّ الأوَّل وهو كونه تعالى سيدًا مرجوعًا إليه في دفع الحاجات، وهو إشارة إلى الصفات الإضافية، وبعضها يليق بالوجه اللغويّ الثاني وهو كونه تعالى

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 618).

(2) انظر: **مقاييس اللغة، ابن فارس** (3/ 309)، مادة (صمد)، و**المفردات، الراغب الأصفهاني** (ص 492)، مادة (صمد).

(3) انظر: **المفردات، الراغب الأصفهاني** (ص 492)، مادة (صمد).

(4) انظر: **مقاييس اللغة، ابن فارس** (3/ 309، 310)، مادة (صمد).

واجب الوجود في ذاته وفي صفاته ممتنع التغير فيهما وهو إشارة إلى الصفات السلبية، وتارةً يفسّرون الصمد بما يكون جامعًا للوجهين[1]. ولعلّ حمل لفظ الصمد على كلّها هو الراجح؛ فقد ذُكِر أنَّه بحسب دلالته على الوجوب الذاتي يدلُّ على جميع السلوب، وبحسب دلالته على كونه مبدأ للكلّ يدلُّ على جميع الصفات الإلهية[2]، وبذلك يكون الصمد اسمًا جامعًا لأسماء الله الحسنى وصفاته المثبَتة والمنفية جميعًا.

ويقوّي هذا الترجيح ما روي عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم؛ فقد قال: «أَيَعْجِزُ أحدُكُمْ أنْ يقرأَ في ليلةٍ ثُلُثَ القرآنِ؟» قالُوا: وَكيفَ يقرأُ ثُلُثَ القرآنِ؟ قالَ: «قُلْ هوَ اللهُ أحدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ القرآن»[3]، ولعلَّ سورة الإخلاص تَعْدِل ثلث القرآن لِوجود اسم (الصَّمَدُ) فيها، وعدم وجوده في غيرها من السور.

المقصور عليه: (اللَّهُ)، مبتدأ، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ شيء ما عداه عزّ وجلّ.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة الصمديَّة على الله تعالى[4]، إذ لا صمد سواه.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ شيء ما عدا الله تعالى، ولكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي الحديث عن صفات الله جلّ جلاله.

- باعتبار حال المخاطَب: قصر قَلْب؛ لِإبطال ما تعوَّده أهل الشرك في الجاهلية من دعائهم الأصنام في الحوائج والفزع إليها في النوائب[5].

---

(1) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (32/ 362).

(2) انظر: **المصدر نفسه** (32/ 363).

(3) **صحيح البخاريّ**: كتاب فضائل القرآن، باب فضل قل هو الله أحد (6/ 189)، رقم الحديث (5015). و**صحيح مسلم**: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد (1/ 556)، رقم الحديث (811)، واللفظ له. والراوي: أبو الدرداء.

(4) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 618).

(5) انظر: **المصدر نفسه**.

أثر القصر في التفسير:

للمفسِّرين في معنى الشاهد ثلاثة أقوال؛ أوَّلها: "المعبود الذي لا تصلح العبادة إلَّا له الصمد"[1]، وثانيها: هو الذي يصمد إليه جميع الخلق لا يستغنون عنه، وهو الغني عَنْهم[2]، وثالثها: لا صمد في الوجود سوى الله تعالى[3]، ولعلَّ القول الأخير هو الراجح؛ فالسياق يؤيّده، إذ يبيّن قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] ألوهيتَه، ثمَّ أحديتَه (المنزهَّة عن التعدد والتركيب والمشاركة في الحقيقة وخواصها)، ثمَّ صمديتَه المقتضية نعوت الكمال كلّها، فصرَّح ببعض تلك النعوت فقال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: 3]، وبعدها أكّد تلك الصمدية بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: 4].

وقد جاء القصر بتعريف طرفي الإسناد مُثبِتًا صفة الصمدية لله عزّ وجلّ؛ أي: مُثبِتًا اجتماع كلّ صفات الكمال التي يسأله بها العباد[4]، فَوحده مَن يُقصَد بقضاء الحاجات؛ إذ ليس كمثله شيء، ولا يظهر هذا الأثر عند عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (الله صمد)؛ فهي جملة خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب.

الفرع الثاني: الإظهار: قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾ [الواقعة: 10- 12].

موضع الشاهد: (أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ).

المقصور به: تعريف طرفي الإسناد في الجملة الاسميَّة؛ فالمسند إليه: اسم الإشارة (أُولَئِكَ)، والمسند: الاسم المعرّف بـ (أل) العهد (الْمُقَرَّبُونَ).

المقصور: (الْمُقَرَّبُونَ)، خبر يحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الاصطفاء.

المقصور عليه: (أُولَئِكَ)، مبتدأ، أي: السابقون، وهو الموصوف.

---

(1) **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 689).

(2) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 818).

(3) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (32/ 363)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 347)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 570)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 212)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 512)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 617).

(4) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (32/ 363)، **ونظم الدرر، البقاعي** (22/ 384).

وقوله تعالى: (السَّابِقُونَ) معرَّف بـ (أل) المستغرقة لجنسهم[1].

المقصور عنه: كلّ المكلَّفين ما عدا السابقين.

نوع القصر:

■ باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة الاصطفاء على أولئك الموصوفين بِكونهم السابقين.

■ باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ المكلَّفين ما عدا السابقين، ولكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي الحديث عن انقسام الناس يوم القيامة إلى ثلاث طوائف، وأحوالهم في ذلك اليوم.

■ باعتبار حال المخاطَب: قصر إفراد؛ فَأَصحاب الميمنة من المقربين ولكن للتقريب درجات، والسابقون في غاية القرب[2]؛ لا يشاركهم بذلك القرب أحد.

أثر القصر في التفسير:

هناك ثلاثة أقوال في تفسير الشاهد؛ أوَّلها: أولئك الموصوفون بِذلك النعت الجليل يُقرّبهم الله منه[3]، وثانيها: أولئك السابقون الذين قربت درجاتهم من العرش العظيم[4]، وثالثها: أولئك السابقون هم المقرَّبون من الأزواج الثلاثة لا غيرهم[5].

ولعلَّ القول الثالث هو الراجح؛ إذ إنَّ المقام يقتضي القصر، فقد ذَكَر تعالى أصحاب الميمنة متعجّبًا مِنْهم في سعادتهم، وأصحاب المشأمة متعجّبًا مِنْهم في شقاوتهم، فَنَاسب أنْ يَذكُر السابقين مُخبِرًا أنَّهم غايةً في العظمة والسعادة؛ لِعموم سبقهم إلى أعمال الطاعات، وإلى ترك المعاصي[6].

---

(1) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 390).

(2) انظر: **المصدر نفسه.**

(3) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 98)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 288).

(4) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 458)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 178)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 79)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 190)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 133).

(5) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 390).

(6) انظر: **البحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 79).

وفي جعل المسند إليه اسم إشارة تنبيهٌ على أنَّهم جديرون بِمَا يُخْبَر عنهم مِن أجل الوصف الوارد قبل اسم الإشارة؛ وهو أنَّهم السابقون[1]، مع ما في اسم الإشارة من التنويه والتعظيم، وبذلك جاء القصر بتعريف طرفي الإسناد مُظهِرًا علوّ شأن السابقين؛ فَهُم المقرَّبون من الأزواج الثلاثة -لِفضيلتهم- لا غيرهم[2]، ينعمون بما أُعِدّ لهم في الآخرة ممَّا لا نظير له. ولا يُلاحَظ هذا الأثر عند عدم استعمال أسلوب القصر في الشاهد، كأنْ يقال: (سابقون مقرَّبون في جنَّات النعيم)؛ فهي جملة خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب.

المطلب الثاني: تعزيز المعنى:

الفرع الأول: التذكير: قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: 15].

موضع الشاهد: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا).

المقصور به: تعريف طرفي الإسناد في الجملة الاسميَّة[3]؛ فالمسند إليه: الضمير المنفصل (هُوَ)، والمسند: الاسم الموصول وصلته (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا).

المقصور: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا)، الاسم الموصول (الخبر) وصلته، يحملان صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة اللين والانقياد للأرض.

والتعريف في قوله: (الْأَرْضَ) تعريف الجنس؛ فَيَعمّ كلّ أرض[4].

المقصور عليه: (هُوَ)، مبتدأ؛ أي: الله تعالى، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ شيء ما عدا الله عزّ وجلّ.

---

(1) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 190)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 133)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 288).

(2) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 390).

(3) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 32).

(4) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (15/ 17).

نوع القصر:

■ باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة اللين والانقياد للأرض على الله تعالى.

■ باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ شيء ما عدا الله جلّ جلاله، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي الحديث عن قدرة الخالق وعظمته.

■ باعتبار حال المخاطَب: قصر قَلْب؛ لِعَكْسِه اعتقاد الكفّار بِتَنزيلهم منزلة مَن يعتقد أنَّ الأصنامَ خَلَقتْ الأرضَ، لِأنَّ اعتقادهم ألوهيتها يقتضي إلزامهم بِهذا الظن الفاسد وإنْ لم يقولوه[1].

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد قولان؛ أوّلهما: الله ذلَّل للناس الأرضَ وسَهَّلها لَهُم[2]، وثانيهما: وحده الله مَن خَلَق الأرضَ هَيّنة لَهُم[3]، ولعلَّ القول الثاني هو الراجح؛ إذ إنَّ السياق يناسبه القصر، فقد أورد الله بعض الأدلَّة على قدرته تعالى وعلمه قائلًا: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الملك: 13]، ثمَّ أَعقب ذلك بِالتحذير مِن عقابه، قال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: 16].

وقد انقطع الوحي عن العالم بعد نبوَّة عيسى عليه السلام، أمّا العرب في الجزيرة العربية والذين كانوا على الحنفيّة السمحة؛ فقد كان آخر نبيٍّ مُرْسَل إليهم -قبل انقطاع الوحي- هو إسماعيل عليه السلام، وفي ظلّ غياب الوحي والرسالة زمنًا طويلًا ظهرت تحريفاتٍ في الأديان الموجودة تَعكِسُ الحاجةَ للوحي والرسالة[4]، فكان تعريف طرفي الإسناد في هذا الشاهد القرآني لِيَقصر صفة تذليل الأرض على الله وحده، وَمِن ثَمَّ لِيُذَكِّر الناسَ بِشواهد الربوبية والإنعام لِيتدبّروا فَيَتركوا العناد[5]، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّمَّا

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 32).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 511)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 580)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 591)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 230)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 225)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 7)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 16).

(3) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 31).

(4) انظر: **موجز التاريخ الإسلامي، أحمد العسيري** (ص 48، 49).

(5) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 32).

خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ [النحل: 81]. ولو ورد الشاهد دون استعمال أسلوب القصر فيه لَتلاشى هذا الأثر، كأنْ يقال: (جعل الله لكم الأرض ذَلولًا)؛ فهي جملة خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب.

الفرع الثاني: التعليل: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ [المدثر: 56].

موضع الشاهد: (هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ).

المقصور به: تعريف طرفي الإسناد في الجملة الاسميَّة[1]؛ فالمسند إليه: الضمير المنفصل (هُوَ)، والمسند: الاسم المعرَّف بالإضافة والمعطوف المضاف (أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ).

المقصور: (أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ)، خبر مضاف ومعطوف عليه، يحملان صفتين تدلُّان على معنيين قائمين فيهما، وهما صفة استحقاق الاتِّقاء وصفة المغفرة.

المقصور عليه: (هُوَ)، مبتدأ؛ أي: الله تعالى، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ شيء ما عدا الله تعالى.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة استحقاق الاتِّقاء وَصِفة المغفرة على الله تعالى.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ[2]؛ فالمقصور عنه هو كلّ شيء ما عدا الله تعالى، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي سبب إعراض المشركين عن الإيمان.

- باعتبار حال المخاطَب: قصر قَلْب؛ لِعكس معتقد المشركين الذين يخشون غضب الأصنام ويطلبون رضاها[3].

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 334).

(2) انظر: **المصدر نفسه.**

(3) انظر: **المصدر نفسه.**

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد قولان؛ الأوَّل: الله تعالى حقيق بأنْ يخافوا عقابه، وحقيق بأنْ يغفر لِعباده سيَّما المتَّقين مِنْهم[1]، والثاني: الله مستحقٌّ اتِّقاء عباده، وغيره لا يستحقّ أنْ يُتَّقى ويُتجنَّب غضبه، فَمَن يتَّقيه مِن عباده ولم يَجعل معه إلهًا آخر فالله أهل أنْ يغفر له[2]، ولعلَّ القول الثاني هو الراجح؛ إذ إنَّ المقام يقتضي القصر، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾[الأحزاب: 37].

وقد جعل تعريف طرفي الإسناد استحقاقَ التَّقوى مُقْتَصَرًا على الله تعالى دون سواه؛ فَالعباد مطالبون باتِّقائه وحده، وهو سبحانه دون سواه مَن يتفضَّل بِالمغفرة عليهم، وقد أفاد القصر بالتعريف تعليلَ الترغيب بالتذكّر الذي أشعر به السباق[3]، مِمَّا عزّز المعنى، ولا يبدو هذا الأثر واضحًا عند عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (هو مُتَّقَى وغفور)؛ فهي خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب.

المطلب الثالث: إضافة معنى جديد:

الفرع الأول: التوبيخ: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ [الملك: 27].

موضع الشاهد: (هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ).

المقصور به: تعريف طرفي الإسناد في الجملة الاسميَّة؛ فالمسند إليه: اسم الإشارة (هَذَا)، والمسند: الاسم الموصول وصلته (الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ).

المقصور: (الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ)، الاسم الموصول (الخبر) وصلته، يحملان صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الادِّعاء.

المقصور عليه: (هَذَا)، مبتدأ، أي: الوعد، والمقصود: البعث والحشر، وهو الموصوف.

---

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 44)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 657)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 718)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 264)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 63).

(2) انظر: **البحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 340)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 149)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 334).

(3) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 334).

المقصور عنه: كلّ شيء ما عدا البعث والحشر.

نوع القصر:

■ باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة الادِّعاء للكفّار على الوعد.

■ باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ شيء ما عدا البعث والحشر، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي التحذير من عذاب الله وسخطه أنْ يحلّ بأولئك الجاحدين.

■ باعتبار حال المخاطَب: قصر قَلْب؛ لِعكسه زعم المشركين أنْ لا بعث ولا حشر، فَهَا هو ما كانوا يبطلونه.

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد ثلاثة أقوال؛ أوّلها: هذا الذي كنتم تطلبون من ربكم أنْ يُعجّله لَكُم[1]، وثانيها: هذا الذي كنتم تقولون إنَّه باطل لا يأتيكم[2]، وثالثها: "أهذا الذي تدَّعون، لا بل كنتم تدَّعون عدمه"[3]. ولعلّ القول الثاني هو الصواب؛ فالشاهد لا يحمل معنى الاستفهام لذلك فإنَّ القول الثالث مردود، وكذلك رُدَّ القول الأول؛ لأنَّ الجمهور قرأ (تَدَّعُونَ) بفتح الدال المشددة من الادِّعاء وليس بِسكونها من الدعاء[4]، بالإضافة إلى كون الجارّ والمجرور (بِهِ) متعلِّقين بالفعل (تَدَّعُونَ)، فقد عُدِّي الفعل (تَدَّعُونَ) بِالباء لِتَضمينه معنى (تُكذِّبون)[5]، فأشار بذلك إلى ادِّعاء المشركين الأباطيل والأكاذيب، أي: تكذيبهم، وهو نظير قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الصافات: 21].

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 518)، **والكشاف، الزمخشريّ** (4/ 583)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 597)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 232)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 229)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 10)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 23).

(2) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 597)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 232)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 229)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 51).

(3) **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 597).

(4) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 597)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 229)، **والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري** (2/ 389)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 50، 51).

(5) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 50).

وقد جَعَل أسلوب القصر الكفَّار في مواجهة مع ما يكذِّبون به؛ إذ هو حقيقة لا شكّ فيها، فأفاد بذلك معنى آخر هو توبيخهم على تكذيبهم في الحياة الدنيا بالبعث والحساب[1]، بيد أنَّ ابن عاشور رأى أنَّ القصر في الشاهد للتعريض بالكفَّار؛ إذ إنَّهم من شدَّة جحودهم بمنزلة الذين إذا رأوا الوعد حسبوه شيئًا آخر، نحو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾[الأحقاف: 24][2]، ولعلَّ أثر التوبيخ أرجح؛ لأنَّ السِّبَاق يؤيّده، ولا يبدو هذا الأثر واضحًا عند عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (كنتم بهذا تدَّعون)، فهي جملة خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب.

الفرع الثاني: التعريض: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ [النجم: 30].

موضع الشاهد: (هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى).

المقصور به: تعريف طرفي الإسناد في الجملة الاسميَّة؛ فالمسند إليه: الضمير المنفصل (هُوَ)، والمسند: اسم التفضيل (أَعْلَمُ).

المقصور: (أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى)، خبر وجارّ ومجرور متعلِّقان به، وهذه العبارة تحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة العلم.

المقصور عليه: (هُوَ)، المبتدأ؛ أي: الله تعالى، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ شيء ما عدا الله سبحانه.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة العلم بِحَال المؤمنين على الله عزّ وجلّ.
- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ تحقيقيّ؛ إذ إنَّ الله بِكلّ شيءٍ عليم، وعِلْمه أزليّ، فلا يشتبه عليه أمر.

(1) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 10)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 23).

(2) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 51).

أثر القصر في التفسير:

هناك أقوال عدّة في معنى الشاهد؛ الأوَّل: ربّك أعلم بِمَن أصاب طريقه (طريق الإسلام) فَسَلَكه[1]، والثاني: إنّما يعلم الله مَن يجيب، وأنت لا تعلم، فَلَا تتعب نفسك، فَمَا عليك إلَّا البلاغ، إنَّ ربّك أعلم بالمهتدي، وهو مجازيه بِمَا يستحقّه[2]، والثالث: إنَّ الله يعلم مَن يجيب لا غيره، فَلا تتعب نفسك في دعوتهم، إنّ ربّك أعلم بالمهتدي، ومجازيه بِمَا يستحقّه[3]، والرابع: إنّما يعلم الله مَن يجيب، فَلَا تتعب نفسك في الحرص على إيمانهم، إذ ما عليك إلّا البلاغ وقد بلّغت[4]، والخامس: الله أعلم بِمَن يجيب لا غيره، فَلا تتعب نفسك في دعوتهم، ولا تبالغ في الحرص عليها[5]، والسادس: الله أعلم مِنْك بِمَن آمن، وهو متولي حسابهم وجزائهم[6]، والسابع: الله عالم بِالمهتدي ومجازيه[7]، والثامن: لا عالم مثل الله، ولا أعلم بِمَن آمَنَ إلَّا هو[8]، ولعلَّ القول الثالث هو الراجح؛ فالمقام يقتضيه، وَمَع أنَّ المخاطَب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلَّا أنَّ العبرة بِعموم اللفظ.

وقد أفاد تعريف طرفي الإسناد قصر العلم بحال المؤمنين على الله عزّ وجلّ، وَلَمَّا كان هناك ارتباط بين عمل الإنسان –سواء أكان صالحًا أم طالحًا– وجزائه أضاف هذا القصر معنى آخر هو التعريض بأنَّ الله يعامل المؤمنين بِمُوجب عِلْمه بِهِم فَيُجازيهم عليه، وفي ذلك وعد للمؤمنين وَبِشارة لِرسوله الكريم عليه الصلاة والسلام[9]، ولا يُلاحَظ هذا الأثر عند عدم استعمال أسلوب القصر في الشاهد، كأنْ يقال: (يعلم الله من اهتدى)؛ فهذا القول جملة خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب.

---

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (22/ 531).

(2) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 425).

(3) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 161).

(4) انظر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 160).

(5) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (14/ 60).

(6) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 118).

(7) انظر: **البحر المحيط، أبو حيّان** (10/ 20).

(8) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 266).

(9) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 161).

الفرع الثالث: التعظيم: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [البروج: 11].

موضع الشاهد: (ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ).

المقصور به: تعريف طرفي الإسناد في الجملة الاسميَّة؛ فالمسند إليه: اسم الإشارة (ذَلِكَ)، والمسند: الاسم المعرَّف بـ (أل) الجنس (الْفَوْزُ).

المقصور: (الْفَوْزُ الْكَبِيرُ)، خبر وَنَعْته، يحملان صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة عُلُوّ المنزلة في الشرف والفضل.

المقصور عليه: (ذَلِكَ)، مبتدأ؛ أي: المذكور -عظيمُ الشأنِ- مِن حيازة هؤلاء المؤمنين للجنَّات، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ البشائر ما عدا دخولهم الجنَّات.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة عُلُوّ المنزلة في الشرف والفضل على حيازة الجنَّات.
- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ مجازيّ مبنيّ على عدم الاعتداد بِفوزٍ غيره؛ لأنَّ كلّ ذلك مُعرَّضٌ للزوال.

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد ثلاثة أقوال؛ أوَّلها: الجنَّات بِأوصافها المذكورة لا ذاتها فقط هي الفوز الكبير[1]، وثانيها: حصول المؤمنين على الجنَّات هو الفوز الكبير[2]، وثالثها: إخبار الله بِحُصول الجنَّة يدلّ على كَونه راضيًا، والفوز الكبير هو رضا الله لا دخول الجنَّة[3]. ولعلَّ الراجح هو القول الثاني؛ فقوله تعالى: (ذَلِكَ

(1) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 138)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 301).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 344)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 138)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 301)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 247).

(3) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (31/ 113).

إشارةً إلى إخباره عزّ وجلّ بحصول هذه الجنَّات، في حين لو قال: (تلك) لَكان قوله إشارةً إلى نفس الجنَّات[1]، والجنَّات من حيث هي ليست بفوز، وإنَّما الفوز هو حصولها ودخولها، هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإنَّ حصول الجنَّات هو الفوز الكبير، وأمَّا حصول رضا الله فهو الفوز الأكبر، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 72].

وَبَعد سرد قصة المؤمنين مع أصحاب الأخدود كان لا بدَّ من ذِكْر مصيرهم في الآخرة، فاستُعمِل تعريف طرفي الإسناد لِقَصر جزائهم على المنزلة الفضلى، وَلَمَّا كان هذا الجزاء هو مقابل حريق الآخرة المؤبد للطاغين أعطى هذا القصر معنى العلوّ والتعظيم لِجزائهم؛ إذ سيَنجُو المؤمنون في الآخرة من عذاب الحريق –وهذا فوز– وسيفوزون أيضًا بنعيم الجنَّات، وبذلك يتَّضح استعلاء الإيمان على الكفر، ولا يُلاحَظ هذا الأثر دون استعمال أسلوب القصر، كأنْ يقال: (وَلهم فوزٌ كبير)؛ فهي جملة خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب.

الفرع الرابع: الترهيب: قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ [ق: 20].

موضع الشاهد: (ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ).

المقصور به: تعريف طرفي الإسناد في الجملة الاسميَّة؛ فالمسند إليه: اسم الإشارة (ذَلِكَ)، والمسند: الاسم المعرّف بالإضافة (يَوْمُ الْوَعِيدِ).

المقصور: (يَوْمُ الْوَعِيدِ)، خبر مضاف يحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الرهبة.

المقصور عليه: (ذَلِكَ)، مبتدأ؛ أي: وقت ذلك النفخ –النفخة الثانية– على تقدير حذف المضاف، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ زمان ما عدا وقت نفخة البعث.

نوع القصر:

■ باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة الرهبة على وقت نفخة البعث.

(1) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (31/ 113).

■ باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ مجازيّ؛ إذ دواعي رهبة غير يوم الوعيد في جانب دواعي رهبة يوم الوعيد بِمَنزلة العدم.

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد قولان؛ أحدهما: ذلك الزمان الذي نُفِخ فيه هو يوم الوعيد الذي توعَّده الله للكفَّار[1]، والآخر: وقت ذلك النفخ هو يوم الوعيد[2]، ولعلَّ القول الثاني -على تقدير حذف المضاف- هو الراجح؛ إذ إنَّ القول الأوَّل -كما قال بعضهم- يشير إلى الزمان المفهوم من قوله تعالى: (نُفِخَ)، فالفعل كما يدلُّ على الحدث يدلُّ على الزمان، وعليه لا حاجة إلى تقدير شيء، وهذا الكلام مردود؛ لأنَّ الإشارة إلى زمان الفعل مِمَّا لا نظير له[3].

وقد أفاد تعريف طرفي الإسناد في الشاهد قصر يوم الوعيد على وقت نفخة البعث، وَيُعدُّ الكفَّار هم المقصود الأول من هذه الآية، وإضافة يوم إلى الوعيد من إضافة الشيء إلى ما يقع فيه؛ أي: يوم تحقُّق الوعيد الذي كانوا توعِّدوا به[4]، لذلك أضاف القصر معنى آخر إليه وهو تخويف الكفّار وترهيبهم من ذلك اليوم العصيب، كما أنَّ في الاقتصار على ذكر الوعيد مع أنَّه يوم الوعد أيضًا دلالة على ذلك[5]. ولو جُرِّد الشاهد من أسلوب القصر -كأنْ يقال: (ونفخ في الصور فَكَان يوم وعيد)- لم يُفِد هذا الأثر؛ فجملة (فَكَان يوم وعيد) خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب.

الفرع الخامس: التسلية: قوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق: 45].

موضع الشاهد: (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ).

---

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (22/ 347)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (28/ 135)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (26/ 307).

(2) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 386)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 141)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (9/ 535)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 130)، **وروح المعاني، الآلوسي** (13/ 333).

(3) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (13/ 333).

(4) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (26/ 307).

(5) انظر: **البحر المحيط، أبو حيَّان** (9/ 535).

المقصور به: تعريف طرفي الإسناد في الجملة الاسميَّة؛ فالمسند إليه: الضمير المنفصل (نَحْنُ)، والمسند: اسم التفضيل (أَعْلَمُ).

المقصور: (أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ)، خبر وجارّ ومجرور متعلِّقان به، يحملون صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة العِلْم.

المقصور عليه: (نَحْنُ)، مبتدأ، والجمع للتعظيم؛ أي: الله تعالى، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ شيء ما عدا الله سبحانه.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة العِلْم بأقوال المشركين على الله جلّ جلاله.
- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ تحقيقيّ؛ فالله عزّ وجلّ يعلم بِعِلْمه الأزليّ كلّ شيءٍ، قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: 98].

أثر القصر في التفسير:

هناك قولان للمفسّرين في معنى الشاهد؛ أوَّلهما: الله أعلم بما يقول هؤلاء المشركون من نفي لِقُدرته -سبحانه- على البعث وتكذيبٍ لِآياته وغير ذلك من الافتراءات[1]، وثانيهما: إنَّا نعلم أقوالهم ولا عالم بها سوانا[2]، ولعلَّ القول الثاني هو الراجح؛ إذ إنَّ أفعل الواردة في قوله تعالى: (أَعْلَمُ) لا تقتضي الاشتراك في أصل الفعل كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: 27][3].

وقد أفاد تعريف طرفي الإسناد في الجملة قصر العلم بافتراءات المشركين على الله تعالى، وَلَمَّا كان المخاطَب في الآية هو رسولنا الكريم -صلَّى الله عليه وسلَّم- أعطى القصر بتعريف طرفي الإسناد معانيَ

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (22/ 383)، و**إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 135)، و**روح المعاني، الآلوسي** (13/ 344).

(2) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (28/ 157).

(3) انظر: **المصدر نفسه**.

أخرى، هي: التسلية والتثبيت للرسول تجاه تكذيب الكفَّار[1] والتعريض بِوَعيدهم[2]؛ إذ لِعلم الله عواقبه. ولا تُلاحَظ هذه الآثار في حال عدم استعمال أسلوب القصر كما في الجملة: (يعلم الله ما يقولون)؛ فهي جملة خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب.

الفرع السادس: الترغيب: قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ [البلد: 18].

موضع الشاهد: (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ).

المقصور به: تعريف طرفي الإسناد في الجملة الاسميَّة؛ فالمسند إليه: اسم الإشارة (أُولَئِكَ)، والمسند: الاسم المعرَّف بالإضافة (أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ).

المقصور: (أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ)، خبر مضاف يحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة السعادة.

ولا ميمنة على الحقيقة؛ لأنَّ حقيقة الميمنة تقتضي حيزًا لِمَن تنسب إليه الجهة[3].

المقصور عليه: (أُولَئِكَ)، مبتدأ؛ أي: المؤمنون الموصوفون بالنعوت المذكورة، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ المكلَّفين ما عدا المؤمنين الموصوفين.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة السعادة في الدار الآخرة على المؤمنين الموصوفين بالنعوت المذكورة.
- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ المكلَّفين ما عدا المؤمنين الموصوفين، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي مآل المؤمنين بالله والكفَّار في دار الجزاء.
- باعتبار حال المخاطَب: قصر قَلْب؛ ردًّا على الكفَّار المكذِّبين بالبعث والحساب.

---

(1) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 393)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (28/ 157)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 145)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (9/ 544)، **وروح المعاني، الآلوسي** (13/ 344)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (26/ 333).

(2) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (26/ 333).

(3) انظر: **المصدر نفسه** (30/ 363).

أثر القصر في التفسير:

ذهب المفسّرون إلى أنَّ معنى الشاهد: أولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة أصحاب اليمين السعداء في الآخرة[1].

وقد أفاد تعريف طرفي الإسناد في الآية القصرَ، فَهؤلاء المؤمنون هم أصحاب السعادة في الآخرة، وبذلك كان هذا القصر وعدًا للمؤمنين وبشارةً لهم[2]، ولعلَّ افتتاح الشاهد باسم الإشارة (أُولَئِكَ) كان لِتمييز المشار إليهم مِن غيرهم أكمل تمييز لإحضارهم بِصفاتهم في ذهن السامع، مع ما في اسم الإشارة من إرادة التنويه والتعظيم[3]، وَلَمَّا كان هؤلاء المؤمنون هم أصحاب الكرامة عند الله أفاد هذا القصر أيضًا معنى الترغيب للخلق بالإيمان وبتلك الأعمال التي استحقّوا عليها الميمنة. ولا يُلاحَظ هذا الأثر عند عدم استعمال أسلوب القصر في الشاهد، كأنْ يقال: (وكان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة وكان من أصحاب الميمنة)؛ فجملة (كان من أصحاب الميمنة) خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب.

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 446)، و**إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 162)، و**روح المعاني، الآلوسي** (15/ 356)، و**التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 362).

(2) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 362).

(3) انظر: **المصدر نفسه**.

المبحث الثاني

أثر أسلوب القصر بتعريف طرفي الإسناد في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة

يشتمل هذا المبحث على آثار أسلوب القصر بتعريف طرفي الإسناد في تفسير الآيات المدنيَّة من المفصَّل، وشواهد لتلك الآثار.

المطلب الأول: بيان المعنى:

الفرع الأول: الإظهار: قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [التغابن: 2].

موضع الشاهد: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ).

المقصور به: تعريف طرفي الإسناد في الجملة الاسميَّة[1]؛ فالمسند إليه: الضمير المنفصل (هُوَ)، والمسند: الاسم الموصول وصلته (الَّذِي خَلَقَكُمْ).

المقصور: (الَّذِي خَلَقَكُمْ)، الاسم الموصول (الخبر) وصلته، يحملان صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الإيجاد من العدم.

المقصور عليه: (هُوَ)، مبتدأ؛ أي: الله عزّ وجلّ، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ شيء ما عدا الله تعالى.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة الإيجاد للناس من العدم على الله تعالى.

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 262).

■ باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ تحقيقيّ؛ ردًّا على المشركين الذين تعمَّدوا عبادة الأصنام، وهم يعلمون أنَّها لم تخلقهم، فما كانت مستحقَّةً لِلعبادة، قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: 17][1].

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد ثلاثة أقوال؛ أوّلها: الله الذي خلقكم أيُّها الناس[2]، وثانيها: هو الذي أنعم عليكم فَخَلَقكم خلقًا بديعًا، فَكان الواجب أنْ تكونوا بِأجمعكم عبادًا شاكرين[3]، وثالثها: الله هو الذي خلقكم أيُّها الناس لا غيره[4]. ولعلَّ القول الثالث هو الراجح؛ لِأنَّه يناسب السباق، فقد ورد قبل الشاهد قوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التغابن: 1]، فَتسبيحُ المخلوقات لله دلالةٌ على كماله واستغنائه؛ إذ مقصور عليه مُلْك السماوات الأرض وكذلك الحمد، فَأُصول النعم وفروعها مِنْه، فَهو قادرٌ على كلّ شيء، وَمِن ذلك الخلق.

وقد جاء القصر بتعريف طرفي الإسناد مُظهِرًا بعض قدرة الله تعالى العامَّة؛ فقد تفرّد بالخلق والإيجاد مِن العدم[5]، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر: 24]، ولو لم يُستعمَل أسلوب القصر في الشاهد لم يُلاحَظ هذا الأثر، كأنْ يقال: (خلقَ الله الناسَ)؛ فهي جملة خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب.

الفرع الثاني: الإثبات: قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: 5].

موضع الشاهد: (ذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ).

---

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 262).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 415)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 552)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 217)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 188)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 315).

(3) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 546)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 255).

(4) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 262).

(5) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (14/ 315).

المقصور به: تعريف طرفي الإسناد في الجملة الاسميَّة؛ فالمسند إليه: اسم الإشارة (ذَلِكَ)، والمسند: الاسم المعرَّف بالإضافة (دِينُ الْقَيِّمَةِ).

المقصور: (دِينُ الْقَيِّمَةِ)، خبر مضاف يحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الاستقامة.

المقصور عليه: (ذَلِكَ)، مبتدأ؛ أي: المذكور من عبادة الله تعالى بإخلاص وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ الأفعال ما عدا ذلك المذكور.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة الاستقامة على مجموع الأصول المذكورة؛ التوحيد الخالص والصلاة والزكاة.
- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ تحقيقيّ؛ فَالذي أُمِروا به دينٌ قيّمٌ قائمٌ بِمَصالح الخلق في الدنيا والآخرة.

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد ثلاثة أقوال؛ أوّلها: ما دُعِي إليه هؤلاء الذين كفروا -من أهل الكتاب والمشركين- هو الملَّة القيّمة دون اليهودية والنصرانية [1]، وثانيها: الذي ذُكِر -من عبادة الله تعالى بإخلاص وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة- دين الملّة القيّمة[2]، وثالثها: ذلك المذكور هو دين الكتب القيّمة التي جاء بها الأنبياء السابقون، وهو عين ما جاء به خاتم النبيين صلّى الله عليه وسلّم[3]، ولعلّ القول الأخير هو الراجح لِسببين؛ أحدهما: أنَّ التعريف في قوله: (الْقَيِّمَةِ) لِلعهد إشارة إلى ما تقدَّم في قوله تعالى: ﴿فِيهَا

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (3/ 89).

(2) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 782)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (32/ 244)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 328)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 185).

(3) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (15/ 429)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 481).

﴿كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾[البينة: 3][1]، والآخر: أنَّ التوراة أكدَّت على اليهود تجنب عبادة الأصنام، وأَمرَت بالصلاة وبالزَكاة أمرًا مؤكّدًا، ولم يخالف الإنجيلُ التوراة، وهي أصول دين الإسلام قبل فرض صوم رمضان والحج[2].

وقد جاء القصر بتعريف طرفي الإسناد مُثْبِتًا ومُبيّنًا شَرع محمَّد عليه الصلاة والسلام؛ إذ حَكَم بِكَون الأُصول المذكورة في الآية دينًا قيّمًا، فَوَجَب أنْ يكون شرعًا في حقّ المسلمين سواء قيل إنّه شرع من قبلنا أم شرع جديد[3]. وتعريف الخبر (دِينُ الْقَيِّمَة) هو لِإفادة أنَّ مضمونَ الخبر مناطُ الإثبات بِخِلاف ما لو قيل: (ذلك دين قيّم)؛ لِأنَّ الجملة خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب هذا من جهة، ولأنَّها لا تدلّ على نفي كَون غير ذلك الدين قيّم من جهة أخرى، ومن ثَمَّ لم يكن هناك إثبات لِذلك الدين في حقّنا.

المطلب الثاني: تعزيز المعنى:

الفرع الأول: التعليل: قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد: 1].

موضع الشاهد: (هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

المقصور به: تعريف طرفي الإسناد في الجملة الاسميَّة؛ فالمسند إليه: الضمير المنفصل (هُوَ)، والمسند (الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) المعرفان بـ (أل) الجنس.

المقصور: (الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)، خبر أول وخبر ثانٍ، وهذان الخبران يحملان صفتين تدلّان على معنيين قائمين فيهما، وهما صفة العزّة وصفة الحِكْمة.

المقصور عليه: (هُوَ)، مبتدأ؛ أي: الله عزّ وجلّ، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ الأشياء ما عداه سبحانه.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفتا العزّة والحكمة على الله تعالى.

---

(1) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (15/ 429).

(2) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 480).

(3) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (32/ 241).

■ باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ الأشياء ما عداه تعالى، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي تنزيه الخالق عمَّا لا يليق بِجَلاله.

■ باعتبار حال المخاطَب: قصر إفراد؛ إذ لا إله إلَّا الواحد القهَّار، لأنَّ غَيره ليس بِعَزيز ولا بِحَكيم، وما لا يكون كذلك لا يكون إلهًا[1].

أثر القصر في التفسير:

هناك ثلاثة أقوال في معنى الشاهد؛ أوَّلها: جلّ جَلاله العزيز في انتقامه من العاصيين له، والحكيم في تدبيره أمرهم[2]، وثانيها: العزيز ليس إلَّا الله، والحكيم ليس إلَّا إيَّاه[3]، وثالثها: هو الغالب على أمره الذي لا يمانعه ولا ينازعه شيء، والحكيم في أفعاله الذي لا يفعل إلَّا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة[4]، ولعلَّ القول الثاني هو الأرجح؛ لأنَّ السياق يناسبه القصر، فَتَسبيح ما في السماوات والأرض لله جلَّ وعلا يدلّ على خضوعهم لِعظمة خالقهم العزيز الحكيم.

وقد أفاد تعريف طرفي الإسناد قصرَ الهيمنة على كلّ شيء والحكمة في تدبير الأشياء، على الله دون سواه، فجاء القصر بِذلك معلِّلًا مَضمون السِّبَاق؛ من تسبيح الخلق لله جلّ جلاله[5]، وَمِن ثَمَّ فَإنَّ تعريف الخبر (الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) كان لِإفادة أنَّ مضمونه هو مناط التعليل بخلاف ما لو قيل: (هو عزيز حكيم)، لأنَّها جملة خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب، كما أنَّها لا تدلّ على نفي كون غير الله عزيزًا حكيمًا.

الفرع الثاني: التذكير: قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [الحشر: 2].

موضع الشاهد: (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ).

(1) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 443).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 165).

(3) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 443).

(4) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 203)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 166)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 358).

(5) انظر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 185)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 203)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 166).

المقصور به: تعريف طرفي الإسناد في الجملة الاسميَّة[1]؛ فالمسند إليه: الضمير المنفصل (هُوَ)، والمسند: الاسم الموصول وصلته (الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ).

المقصور: (الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ)، الاسم الموصول (الخبر) وصلته، يحملان صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الإخراج.

المقصور عليه: (هُوَ)، مبتدأ؛ أي: الله تعالى، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ شيء ما عدا الله جلّ وعلا.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة الإخراج –للذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم– على الله تعالى.
- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ مجازيّ؛ لِعدم الاعتداد بِسَعي المؤمنين في ذلك الإخراج ومشاركتهم بِبَعض أسبابه كتخريب ديار بني النضير[2].

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد قولان؛ أوَّلهما: الله الذي أخرج الذين جَحَدوا نبوَّة محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم (من أهل الكتاب) من منازلهم[3]، والآخر: الله تعالى لا غيره مَن أخرج الذين كفروا (من أهل الكتاب) من ديارهم[4]، ولعلَّ القول الثاني المفيد للقصر هو الراجح؛ إذ يؤكّده اللِّحَاق، قال تعالى: ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ [الحشر: 2].

وقد جاء تعريف طرفي الإسناد في الشاهد لإفادة القصر؛ فالله عزّ وجلّ وحده هو مُخرِج الذين كفروا من أهل الكتاب، وَلَمَّا عُقِّبَ على الإخراج في الآية بالأمر بالاعتبار أفاد القصر التذكيرَ بِنِعمة الله على

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 65).

(2) انظر: **المصدر نفسه** (28/ 66).

(3) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 259).

(4) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 65).

المسلمين، ما يقتضي الشكر على ذلك الإخراج العجيب[1]؛ فالله هو فاعل الإخراج من غير ستار لِقدرته بأشياء من فعل البشر، ولو لم يُستعمَل أسلوب القصر في الشاهد لم يُلاحَظ هذا الأثر، كأنْ يقال: (أخرج الله الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم)؛ فهي جملة خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب.

المطلب الثالث: إضافة معنى جديد:

الفرع الأول: التعظيم: قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: 12].

موضع الشاهد: (ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).

المقصور به: تعريف طرفي الإسناد في الجملة الاسميَّة؛ فالمسند إليه: اسم الإشارة (ذَلِكَ)، والمسند: الاسم المعرَّف بـ (أل) الجنس (الْفَوْزُ).

المقصور: (الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)، خبر وَنَعْته، يحملان صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة العَظمة.

المقصور عليه: (ذَلِكَ)، مبتدأ؛ أي: المذكور من المغفرة ودخول الجنَّات، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ البشائر ما عدا المغفرة ودخول الجنَّات.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة العظمة على المذكور من المغفرة ودخول الجنَّات.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ مجازيّ مَبْنِيّ على عدم الاعتداد بِفوزٍ آخر؛ لِأنّ غيره لا يشمل دفع أعظم المضار- العذاب الأليم- وجلب أفضل المنافع -المغفرة ودخول جنَّات- كهذا الفوز، فهو فوزٌ أبديٌّ لِذلك عدَّ فوز غيرهم بِبَعض أمور الدنيا كالعدم.

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 65).

أثر القصر في التفسير:

للمفسِّرين في معنى الشاهد ثلاثة أقوال؛ أوَّلها: أنَّ ما ذُكِرَ الخلاص العظيم من نكال الآخرة وأهوالها[1]، وثانيها: "ذلك الجزاء الدائم هو الفوز العظيم"[2]، وثالثها: ذلك المذكور من المغفرة، وإدخال الجنَّات الموصوفة بما ذكر من الأوصاف الجليلة هو الفوز العظيم الذي لا فوز بعده[3]، ولعلَّ الراجح هو القول الأخير؛ لأنَّ المقام يقتضيه.

وقد أفاد تعريف طرفي الإسناد في الجملة قصر جنس الفوز على المذكور من المغفرة ودخول الجنات الموصوفة، وَلَمَّا كان هذا الفوز جامعًا لِلنجاة من الهلاك العظيم ونَيل أجلّ الطلبات، أضاف هذا القصر معنى التعظيم للفوز الأخروي؛ فهو الفوز الذي لا أعظم منه، قال تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات: 61]. ولو لم يُستعمَل أسلوب القصر في الشاهد لم يُلاحَظ هذا الأثر، كأنْ يقال: (ذلك فوز عظيم)؛ فقد يكون هناك فوز آخر محتمَل حسب هذا القول.

الفرع الثاني: الترهيب: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التغابن: 9].

موضع الشاهد: (ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ).

المقصور به: تعريف طرفي الإسناد في الجملة الاسميَّة؛ فالمسند إليه: اسم الإشارة (ذَلِكَ)، والمسند: الاسم المعرَّف بالإضافة (يَوْمُ التَّغَابُنِ).

المقصور: (يَوْمُ التَّغَابُنِ)، خبر مضاف يحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الخسران[4]، والتعريف في قوله: (التَّغَابُنِ) للجنس[5].

---

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 363).

(2) **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 532).

(3) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 245)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 284).

(4) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 277).

(5) انظر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 218)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 319)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 277).

المقصور عليه: (ذَلِكَ)، مبتدأ؛ أي: يوم الجمع، وهو الموصوف[1].

المقصور عنه: كلّ الأيام ما عدا يوم الجمع.

نوع القصر:

■ باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة الخسران للمشركين على يوم الجمع.

■ باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ مجازيّ؛ لِعَدَم أهمية غبن الناس في الدنيا إذا ما قورن بالغبن في الآخرة، ما جعل غبن الدنيا كالعدم[2].

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد ثلاثة أقوال؛ أوَّلها: يوم الجمع يوم غبن أهل الجنَّة أهل النار[3]، وثانيها: يوم القيامة هو يوم التغابن؛ فَتَغابنه هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في أمور الدنيا وإنْ عظُمَت[4]، وثالثها: يوم غبن بعض الناس بعضًا؛ لِنزول السعداء منازل الأشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس[5]، ولعلَّ القول الثاني هو الراجح؛ فهو نظير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: 15].

وقد أفاد تعريف طرفي الإسناد قصر جنس التغابن على يوم القيامة دون غيره من الأيام، ونظرًا لِمَا يحدث في ذلك اليوم من فوز المؤمنين بالنعيم وصيرورة الكافرين إلى الجحيم -كما جاء في اللِّحَاق- حَمَلَ القصر أيضًا معنى الترهيب للمشركين بِسوء حالهم في يوم الجمع فَذَلك يوم غبنهم الشديد[6]؛ إذ يفوز

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 277).

(2) انظر: **المصدر نفسه**.

(3) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 419)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 554).

(4) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 549)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 218)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 257)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 319)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 277).

(5) انظر: **البحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 190).

(6) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 276، 277).

المؤمنون بِكلّ شيء، ولو لم يُستعمَل أسلوب القصر في الشاهد لم يُلاحَظ هذا الأثر، كأنْ يقال: (يوم يجمعكم ليوم الجمع فيكون يوم تغابن)، فجملة (فيكون يوم تغابن) خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب.

الفرع الثالث: التحدي: قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [الصف: 9].

موضع الشاهد: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ).

المقصور به: تعريف طرفي الإسناد في الجملة الاسميَّة[1]؛ فالمسند إليه: الضمير المنفصل (هُوَ)، والمسند: الاسم الموصول وصلته (الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ).

المقصور: (الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ)، الاسم الموصول (الخبر) وصلته، يحملان صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الإرسال.

المقصور عليه: (هُوَ)، مبتدأ؛ أي: الله عزّ وجلّ، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ شيء ما عدا الله تعالى.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة الإرسال على الله عزّ وجلّ.
- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ[2]؛ فالمقصور عنه هو كلّ شيء ما عدا الله تعالى، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي الحديث عن سُنَّة الله في نصرة دينه وأنبيائه.
- باعتبار حال المخاطَب: قصر قَلْب؛ ردًّا على زعم الكافرين أنَّ رسولنا صلَّى الله عليه وسلَّم أتى مِن قِبَل نفسه[3].

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 192).

(2) انظر: **المصدر نفسه.**

(3) انظر: **المصدر نفسه.**

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد قولان؛ أحدهما: الله الذي أرسل رسوله محمَّدًا بالهدى والملّة الحنيفة[1]، والآخر: الله لا غيره أرسل محمَّدًا صلَّى الله عليه وسلَّم بالهدى ودين الحقّ، وَلَن يتمكَّن أحد من هَزْم شيءٍ تَوَلَّى الله فعله[2]، ولعلَّ القول الثاني هو الراجح؛ إذ يقتضيه المقام، ويؤيّده قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: 2].

وعُرِّف طرفا الإسناد في الشاهد فَقُصِر إرسال الهدى على الله الواحد القهَّار، فَحَمَل القصر بذلك معنى التحدّي للمشركين وأحلافهم[3]؛ وَلَو ورد دون استعمال أسلوب القصر فيه لَاختفى هذا الأثر، كأنْ يقال: (أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحقّ)؛ فَهَذا القول يفيد الإخبار دون القصد الحِجاجي الذي يقصر المعنى على نتيجة واحدة دون غيرها من الاحتمالات المستنتَجة من التركيب اللغوي، وَمِن البلاغة قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ)، فكأنَّه قيل: (إرسال الله الرسولَ إليكم لِتهتدوا يحتّم عليكم عبادته وتوحيده دون غيره، إذن اعبدوا الله ولا تعبدوا الأصنام).

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 360)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 209)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 245)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 283).

(2) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 192).

(3) انظر: **المصدر نفسه.**

المبحث الثالث

عرض النتائج وتحليلها

استُقرِيت سور المفصَّل لاستخراج شواهد القصر بتعريف طرفي الإسناد، وَفِيما يأتي نتائج الاستقراء متضمِّنةً نوع القصر في كلّ شاهد وأثره في التفسير.

المطلب الأول: نتائج استقراء أثر القصر بتعريف طرفي الإسناد في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة:

يلخّص الجدول رقم (18) دارسة أسلوب القصر بتعريف طرفي الإسناد في المكيّ من آيات المفصَّل:

الجدول رقم (18)؛ أثر أسلوب القصر بتعريف طرفي الإسناد في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة

الأثر	الشاهد	النوع باعتبار المقصور والمقصور عليه	النوع باعتبار الحقيقة والواقع	النوع باعتبار حال المخاطَب	العدد
الإثبات	﴿هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: 35]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	11
	﴿هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: 37]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	
	﴿نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ [الواقعة: 59]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	
	﴿نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: 64]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	
	﴿نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ [الواقعة: 69]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	
	﴿نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ [الواقعة: 72]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	
	﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: 2]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	–	
	﴿هُوَ الرَّحْمَنُ﴾ [الملك: 29]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	
	﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: 14]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	–	
	﴿هُوَ اللَّهُ﴾ [الإخلاص: 1]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	–	
	﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: 2]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	
الإظهار	﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: 16]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	–	5
	﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: 11]	قصر صفة على موصوف	إضافي	إفراد	
	﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ [الواقعة: 85]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	
	﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ [الملك: 23]	قصر صفة على موصوف	إضافي	إفراد	

الجدول رقم (18)؛ أثر أسلوب القصر بتعريف طرفي الإسناد في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة					
الأثر	الشاهد	النوع باعتبار المقصور والمقصور عليه	النوع باعتبار الحقيقة والواقع	النوع باعتبار حال المخاطَب	العدد
	﴿هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الملك: 24]	قصر صفة على موصوف	إضافي	إفراد	
التوبيخ	﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الذاريات: 14]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	3
	﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾ [الملك: 27]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	
	﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: 17]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	
التعريض	﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ [النجم: 30]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	2
	﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القلم: 7]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
التعظيم	﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ [النبأ: 39]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	-	2
	﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج: 11]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	-	
الترهيب	﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ [ق: 20]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	-	1
التسلية	﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [ق: 45]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	1
التذكير	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ [الملك: 15]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	1
التعليل	﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: 56]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	1
الترغيب	﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [البلد: 18]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	1

المطلب الثاني: نتائج استقراء أثر القصر بتعريف طرفي الإسناد في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة:

يلخّص الجدول رقم (19) دارسة أسلوب القصر بتعريف طرفي الإسناد في المدنيّ من آيات المفصَّل:

الجدول رقم (19)؛ أثر أسلوب القصر بتعريف طرفي الإسناد في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة					
الأثر	الشاهد	النوع باعتبار المقصور والمقصور عليه	النوع باعتبار الحقيقة والواقع	النوع باعتبار حال المخاطَب	العدد
الإظهار	﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: 3]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	6
	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الحديد: 4]	قصر صفة على موصوف	إضافي	إفراد	
	﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ [المجادلة: 19]	قصر صفة على موصوف	إضافي	تعيين	
	﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ [المجادلة: 22]	قصر صفة على موصوف	إضافي	تعيين	
	﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: 4]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	-	
	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [التغابن: 2]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
التعظيم	﴿هُوَ اللَّهُ﴾ [الحشر: 22]، [الحشر: 23]، [الحشر: 24]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	6
	﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: 22]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	-	
	﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: 12]، [التغابن: 9].	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	-	
التعليل	﴿هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحديد: 1]، [الحشر: 1]، [الحشر: 24]، [الصف: 1]، [الجمعة: 3].	قصر صفة على موصوف	إضافي	إفراد	5
الترهيب	﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحديد: 19]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	4
	﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [المجادلة: 17]، [التغابن: 10].	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
	﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن: 9]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	-	
التذكير	﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ [الحشر: 2]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	-	2
	﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [الجمعة: 2]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
التحدي	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [الصف: 9]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	1
الإثبات	﴿ذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: 5]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	1

المطلب الثالث: تحليل النتائج:

بلغ عدد شواهد القصر بتعريف طرفي الإسناد في آيات المفصَّل ثلاثةً وخمسين شاهدًا؛ منها ثمانيةٌ وعشرون في الآيات المكيّة، وخمسةٌ وعشرون في الآيات المدنيّة. وتعدَّدت أنواع هذا القصر في السور، ولم تقتصر على نوع واحد، فَكَان باعتبار الحقيقة والواقع حقيقيًا في ستة وعشرين شاهدًا، وإضافيًا في سبعة وعشرين شاهدًا، وأمَّا باعتبار المقصور والمقصور عليه فَكان قصرَ صفة على موصوف في ثلاثة وخمسين شاهدًا، ولم يُلاحَظ ضمن الشواهد قصر موصوف على صفة، انظر الجدول رقم (20).

الجدول رقم (20)؛ عدد شواهد القصر بتعريف طرفي الإسناد في سور المفصَّل											
باعتبار الحقيقة والواقع						باعتبار المقصور والمقصور عليه					
قصر حقيقي			قصر إضافي			قصر موصوف على صفة			قصر صفة على موصوف		
الآيات المكيّة	الآيات المدنيّة	المجموع	الآيات المكيّة	الآيات المدنيّة	المجموع	الآيات المكيّة	الآيات المدنيّة	المجموع	الآيات المكيّة	الآيات المدنيّة	المجموع
10	16	26	18	9	27	0	0	0	28	25	53

وظهرت آثار متعددة لأسلوب القصر بتعريف طرفي الإسناد في تفسير سور المفصَّل، وهي موضَّحة في الجدولين (21) و(22).

الجدول رقم (21)؛ آثار القصر بتعريف طرفي الإسناد في تفسير المكيّ والمدنيّ من آيات المفصّل			
الأثر	العدد في الآيات المكيّة	العدد في الآيات المدنيّة	المجموع
الإثبات	11	1	12
الإظهار	5	6	11
التعظيم	2	6	8
التعليل	1	5	6
الترهيب	1	4	5
التذكير	1	2	3

الجدول رقم (22)؛ آثار القصر بتعريف طرفي الإسناد في تفسير المكيّ أو المدنيّ من آيات المفصّل			
الآيات المكيّة		الآيات المدنيّة	
الأثر	العدد	الأثر	العدد
التوبيخ	3	التحدي	1
التعريض	2		
التسلية	1		
الترغيب	1		

ويُلاحَظ من الجدول رقم (21) وجود آثار مشتركة للقصر بتعريف طرفي الإسناد في تفسير المكيّ والمدنيّ من آيات المفصّل؛ وهي: الإثبات، والإظهار، والتعظيم، والتعليل، والترهيب، والتذكير. وقد انفردت الآيات المكيّة في الجدول رقم (22) ببعض الآثار؛ وهي: التوبيخ، والتعريض، والتسلية، والترغيب، وانفردت الآيات المدنيّة بأثر واحد؛ وهو: التحدي.

خلاصة:

يمكن من استعراض شواهد القصر بتعريف طرفي الإسناد في سور المفصَّل ملاحظة الآتي:

- القرائن السياقيّة والمقاميّة هي الدالّة على القصر بتعريف طرفي الإسناد لا التركيب اللغويّ.

- تقارُب عدد شواهد القصر بهذا الأسلوب بين المكيّ والمدنيّ، وتميُّز المكيّ من المدنيّ بِفَارق بسيط.

- انحصار القصر بتعريف طرفي الإسناد -باعتبار المقصور والمقصور عليه- في قصر الصفة على الموصوف، وأمَّا باعتبار الحقيقة والواقع فقد تقاربت عدد شواهد القصر الحقيقيّ والقصر الإضافيّ.

- تنوُّع آثار هذا الأسلوب، فَكَان أثر الإثبات في المرتبة الأولى بِعَدد الشواهد، إذ نال اثني عشرَ شاهدًا، وجاء بعده في المرتبة الثانية أثر الإظهار بأحدَ عشرَ شاهدًا، تلاهما في المرتبة الثالثة أثر التعظيم الذي حصل على ثمانية شواهد.

- تشابُه بعض آثار هذا الأسلوب في الآيات المكيَّة والمدنيَّة، واختلاف بعضها الآخر.

- استعمال هذا الأسلوب في حال جهل المخاطَب وإنكاره، أو في حال علمه وإقراره، إضافة لِوروده في مواطن الحديث عن صفة أو فعل لِشيء واحد ينفرد به عن غيره.

- اكتساب جملة القصر بتعريف طرفي الإسناد بعدًا حِجاجيًا ناجعًا في توجيه المخاطَب نحو وجهة واحدة وإقناعه بها.

الفصل السادس

أثر أسلوب القصر بضمير الفصل في تفسير آيات المفصَّل

تمهيد.

المبحث الأول: أثر أسلوب القصر بضمير الفصل في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة.

المبحث الثاني: أثر أسلوب القصر بضمير الفصل في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة.

المبحث الثالث: عرض النتائج وتحليلها.

خلاصة.

تمهيد:

ضمير الفصل هو ضمير منفصل من ضمائر الرفع، يؤتى به لِغَرَض الفصل بين ما هو خبر وما هو تابع، فَيَقَع فصلًا بين المبتدأ والخبر؛ مثل: (المتنبي هو شاعر العربية المبدع)، ويقع فصلًا بين ما أصله مبتدأ وخبر مِمَّا دخل عليه أحد النواسخ، كقوله تعالى: ﴿ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: 58][1].

والفصل هو اصطلاح البصريين؛ إذ بالضمير فُصِل بين كون ما بعده نعتًا وكونه خبرًا، فَعِنْد قولك: (زيد القائم) جاز أن يتوهّم السامع كون (القائم) صفة فَيَنْتظر الخبر، فَجِئْت بالفصل لِيتعين كونه خبرًا لا صفة، وأمَّا الكوفيون فَيُسَمّونه عمادًا؛ لِكونه حافظًا لِمَا بعده حتَّى لا يسقط عن الخَبريَّة كالعماد للبيت الحافظ للسقف من السقوط[2].

وَلِهَذا الضمير فوائد عدَّة ذَكَرها النحاة وإنْ اختلفوا في بعضها، وقد أوردها ابن هشام كالآتي:

الفائدة الأولى: لفظيَّة وهي الإعلام من أول الأمر بِأَنَّ ما بعده خبر لا تابع، ولهذا سمّي فصلًا فقد فَصَل بين الخبر والتابع، وَسُمِّي أيضًا عمادًا لأنَّه يعتمد عليه معنى الكلام، وأكثر النحويين يقتصر على ذِكْر هذه الفائدة.

الفائدة الثانية: معنويَّة وهي التوكيد، ذَكَرَه جماعة، وَبَنوا عليه أنَّه لا يجامع التوكيد، فلا يقال: (زيد نفسه هو الفاضل)، وعلى ذلك سمَّاه بعض الكوفيين دعامة؛ لأنَّه يُدَعَّم به الكلام، أي: يُقَوَّى ويُؤَكَّد.

الفائدة الثالثة: معنويَّة وهي الاختصاص[3]، واستُنبِطت دلالته على القصر والاختصاص من مواضع في القرآن؛ مِنْها قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [المائدة: 117] لأنَّه لو لم يكن للحصر، لَمَا حَسُن، فالله ما يزال رقيبًا عليهم، وإنَّما الذي حصل بِتَوفّيه أنَّه لم يبقَ لهم رقيبٌ غير الله تعالى، ومنها قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [الحشر: 20]،

(1) انظر: **البلاغة العربية، عبد الرحمن حَبَنَّكَة الميداني** (1/ 470).

(2) انظر: **شرح كافية ابن الحاجب، الرضي الأستراباذي** (456/2).

(3) انظر: **مغني اللبيب، ابن هشام** (ص 644، 645).

فإنَّه ذُكِر لِإظهار عدم الاستواء، وذلك لا يَحْسُن إلَّا بأنْ يكون الضمير للاختصاص[1]، وبهذا يتعين كَون الضمير (هم) فصلًا، فلا يُعرَب مبتدأ ولا تأكيدًا إلَّا في حالة اعتبار القصر حاصلًا من تعريف الخبر[2].

وَذَكَر الزمخشري الفوائد الثلاثة لِضَمير الفصل في تفسير قوله عزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 5]، فقال: "وفائدته: الدلالة على أنَّ الذي بعده خبر لا صفة، والتوكيد، وإيجاب أنَّ فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره"[3]، وأمَّا في تفسير قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾[التوبة: 104] فقد ذَكَر أنَّ (هو) للتخصيص والتوكيد[4].

وقد يكون ضمير الفصل لِمُجرَّد التأكيد إذا كان التخصيص حاصلًا مِن دُونه بأنْ يكون في الكلام ما يفيد القصر، كقولك: (الله هو الرزّاق)؛ أي: لا رزّاق إلَّا هو[5]، وأمَّا في إفادته القصرَ فَقيل: "لو قلت: (الإنسان ضاحك)، فهذا لا يفيد أنَّ الضاحكية لا تحصل إلَّا في الإنسان، أمّا لو قلت: (الإنسان هو الضاحك) فهذا يفيد أنَّ الضاحكية لا تحصل إلَّا في الإنسان"[6]، وهذا لا يعدّ دليلًا؛ فقد يقال إنَّ القصر جاء من التعريف لا من ضمير الفصل، وما جاء الضمير إلَّا لِتوكيد القصر الموجود، وَيُرَدُّ على ذلك بأنَّ ضمير الفصل قد يأتي بنفسه للدلالة على القصر، ومن دلالته قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ [البلد: 19]، فقد أفاد الضمير القصرَ ولو حُذِف لَكان القصر محتمَلًا[7].

ويفيد ضمير الفصل القصرَ بِفَحوى الكلام[8]، ويكون توسط ضمير الفصل بين المسند إليه والمسند

(1) انظر: **عروس الأفراح، السبكي** (1/ 227)، **والإتقان في علوم القرآن، السيوطيّ** (3/ 171).

(2) انظر: **عروس الأفراح، السبكي** (1/ 227).

(3) **الكشاف، الزمخشريّ** (1/ 46).

(4) انظر: **المصدر نفسه** (2/ 308).

(5) انظر: **حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي** (1/ 250).

(6) **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (2/ 279).

(7) انظر: **معاني النحو، السامرائي** (1/ 48- 50).

(8) انظر: **البلاغة العربية، عبد الرحمن حَبَنَّكَة الميداني** (1/ 545).

لِتَخصيصه به؛ أي: قَصْر المسند على المسند إليه[1]، ويقال: إنَّه لِتَخصيص المسند إليه بالمسند[2]، ولعلَّ الرأي الأوَّل هو الصواب، فقولك: (زيد هو المنطلق) قد قَصَرْتَ فيه الانطلاق على زيد (المسند إليه)؛ لأنَّ معناه ما المنطلق إلَّا زيد.

ويُشْتَرَط لِضمير الفصل الآتي:

أوَّلًا- أن يكون ما قبله مبتدأ في حال التكلُّم أو في أصله؛ أي: أنْ يدخل عليه ناسخ من نواسخ الابتداء، كقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 5] و﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ [الصافات: 165].

ثانيًا- أن يكون ما قبله معرفة، وقيل يجوز أنْ يكون نكرةً؛ كقولك: (ما ظننت أحدًا هو القائم).

ثالثًا- أن يكون ما بعده خبرًا لمبتدأ في الحال أو في الأصل؛ كأنْ يدخل عليه حال التَّكلُّم ناسخ من نواسخ الابتداء.

رابعًا- أن يكون ما بعده معرفة أو كالمعرفة في أنَّه لا يقبل (أل) التعريف؛ كما في أسلوب التَّفضيل (خيرًا) و(أقلَّ).

خامسًا- أن يكون الضميرُ ضميرَ رفعٍ منفصل، ولا يجوز أنْ يكون ضميرَ نصبٍ منفصل؛ كقولك: (زيدٌ إياه الفاضل).

سادسًا- أن يطابق هذا الضمير ما قبله، فَيَمتنع (كنت هو الفاضل)[3]، والمطابقة المطلوبة تكون من حيث التكلّم والخطاب والغيبة.

ولا يظهر للفصل حُكْمٌ في باب (إنَّ) وأخواتها، وباب المبتدأ والخبر، لأنَّ الخبر مرفوع فِيهما؛ كقولك: (زيدٌ هو القائمُ)، و(إنَّ زيدًا هو القائمُ)، ولا يُعلَم أكان الضمير فصلًا أم مبتدأً إلَّا بالإرادة والنيَّة، وأمَّا مع الفعل الناسخ فَيَظهر حُكْم الفصل لأنَّ خَبَره منصوب؛ كقولك: (كان زيد هو القائمَ)، و(ظننتُ زيدًا هو العاقلَ)، فعُلِم أنَّ (هو) فصل بِنَصب ما بعده[4].

---

(1) انظر: **مفتاح العلوم، السكاكيّ** (ص 191)، **والإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ** (2/ 49، 50)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (3/ 181)، **وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي** (1/ 250).

(2) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (1/ 46)، **وعروس الأفراح، السبكي** (1/ 229).

(3) انظر: **مغني اللبيب، ابن هشام** (ص 641- 643).

(4) انظر: **شرح المفصل، ابن يعيش** (2/ 331).

وأُجِيزَ أنْ يكون ما بعد ضمير الفصل جملة فعليَّة، فعلها مضارع؛ وذلك لِمُشابهة المضارع الاسم، وَجُعِل منه قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ [البروج: 13][1]؛ إذ أُعرِب (هُوَ) ضمير فصل[2] لأنَّ الضمير هنا يفيد القصر، ويؤدي حذفه إلى وقوع الاحتمال[3]، وقد أورد ابن عاشور إعراب (هو) ضمير فصل وبعده جملة فعلية، فعلها ماضٍ، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾ [النجم: 43][4].

ويأتي ضمير الفصل في كلّ موضع يحتاج إلى تأكيد ورفع تَوهُّم مَن يتشكك في المسند إليه أو ينازع فيه، أو مَن يتوهَّم التشريك فيه، وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ ﴾ [النجم: 43، 44]، و﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴾[النجم: 48]، أثبت (هو) دلالة على ما ذُكِر. وأمَّا في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾ [النجم: 45]، و﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴾ [النجم: 50]، فَلَمْ يأتِ بالضمير (هو) في نسبة خلق الزوجين وإهلاك عاد؛ إذ لا يتوهَّم إسناد ذلك لِغير الله تعالى ولا الشركة فيه، في حين أنَّ الإضحاك والإبكاء والإماتة والإحياء والإغناء والإقناء قد يُدَّعَى الإسناد أو الشركة فيها؛ مثل قصة النمرود[5].

(1) انظر: **مغني اللبيب، ابن هشام** (ص 642).

(2) انظر: **إعراب القرآن، الدعاس وآخرون** (3/ 435).

(3) انظر: **معاني النحو، فاضل السامرائي** (1/ 50).

(4) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 143).

(5) انظر: **البحر المحيط، أبو حيَّان** (1/ 73، 74).

المبحث الأول

أثر أسلوب القصر بضمير الفصل في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة

يتضمَّن هذا المبحث آثارَ أسلوب القصر بضمير الفصل في تفسير الآيات المكيَّة من المفصَّل، وشواهدَ لتلك الآثار.

المطلب الأول: تعزيز المعنى:

الفرع الأول: التأكيد: قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴾ [النجم: 43].

موضع الشاهد: (أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى).

المقصور به: الضمير المنفصل (هُوَ)[1].

المقصور: (أَضْحَكَ وَأَبْكَى)، جملة فعلية معطوف عليها جملة فعلية أخرى، تحملان صفتين تدلّان على معنيين قائمين فيهما؛ وهما صفتا الإضحاك والإبكاء.

المقصور عليه: الضمير المتَّصل (الهاء) في (أَنَّهُ)؛ أي: الله جلَّ جلاله، وهو الموصوف.

المقصور عنه: ما سوى الله من الآلهة المدَّعيين.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفتا الإضحاك والإبكاء على الله تعالى.
- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو ما سوى الله من الآلهة المدَّعيين، والكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي آثار قدرة الله عزّ وجلّ وتفرّده بالألوهية.
- باعتبار حال المخاطَب: قصر إفراد؛ فَالله وحده هو المتصرِّف في الناس بِمَا يجدوه من أحوالهم من

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 143).

الضحك والبكاء، فَلا شريك له في التصرُّف، وَبِذلك تبطل الشركة في الألوهية[1].

أثر القصر في التفسير:

هناك ثلاثة أقوال للمفسّرين في معنى الشاهد؛ أوَّلها: ربّك هو مَن أضحك أهل الجنّة، وأبكى أهل النار، وأضحك مَن أراد مِن أهل الدنيا، وأبكى مَن شاء مِنْهُم[2]، وثانيها: الله خلق قوتي الضحك والبكاء[3]، وثالثها: الله الذي يضحك ويبكي لا غيره[4]، ولعلّ القول الأخير هو الراجح؛ فَالآية الكريمة انتقال من وجوب الاعتبار بأحوال الآخرة إلى وجوب الاعتبار بأحوال الحياة الدنيا؛ ومنها أحوال الإنسان، والله هو مَن أوجد هذا الكون وما يحيط بالإنسان من مؤثرات تضحكه تارةً وتبكيه تارةً أخرى، وهذه المؤثرات ما هي إلَّا وسائط، وتبقى الحقائق لله سبحانه وتعالى فَلَا فاعل إلَّا هو.

وجاء القصر بإضافة ضمير الفصل في الشاهد تأكيدًا على قدرة الله تعالى وتفرّده في الألوهية؛ فقد أوجد ضدين –الضحك والبكاء– في محل واحد، ولا يكون ذلك إلَّا مِن قادرٍ هو الله[5]، وَلَو ورد الشاهد دون ضمير الفصل كأنْ يقال: (الله أَضْحَكَ وأَبْكَى) أو (الله يُضْحِكُ ويُبْكِي)، لَصار المعنى يحتمل وجود مَن يستطيع ذلك غير الله تعالى، ونظرًا لإشراك الناس بالله أكَّدَ بِضمير الفصل لِيكون المعنى: الله هو مَن يُضْحِكُ ويُبْكِي حقيقةً لا غيره، وإنْ زعم أحدهم ذلك فَلَا حقيقة له، إذ إنَّ الله مُتفرِّدٌ بِالتصرَّف في الإنسان.

الفرع الثاني: التعليل: قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ [الطور: 28].

موضع الشاهد: (إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ).

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 143).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (22/ 547).

(3) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (428/4)، و**إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (164/8).

(4) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 279)، و**البحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 26)، و**روح المعاني، الآلوسي** (14/ 67)، و**التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 143).

(5) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 279).

المقصور به: الضمير المنفصل (هُوَ)[1].

المقصور: (الْبَرُّ الرَّحِيمُ)، خبرا إنَّ، يحملان صفتين تدلَّان على معنيين قائمين فيهما؛ وهما صفتا الإحسان وكثرة الرحمة.

المقصور عليه: الضمير المتَّصل (الهاء) في (إِنَّهُ)؛ أي: الله عزّ وجلَّ، وهو الموصوف.

المقصور عنه: ما سوى الله تعالى من الأرباب المدَّعيين.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفتا الإحسان وكثرة الرحمة على الله تعالى.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ مجازيّ لِعدم الاعتداد بِبرّ غير الله ورحمته بِالنسبة إلى برّ الله ورحمته؛ بِاعتبار القوَّة: فرحمة الله وإحسانه لا يبلغهما أحد، وَبِاعتبار عموم المتعلِّق: فالله برّ في الدنيا والآخرة، وغيره برّ في بعض أوقات الدنيا ولا يملك في الآخرة شيئًا[2].

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين ثلاثة أقوال في معنى الشاهد؛ أوَّلها: إنّه هو اللطيف بِعِباده والرحيم بِهم لنْ يعذّبهم بعد توبتهم[3]، وثانيها: إنّه هو المحسِن العظيم الرحمة[4]، وثالثها: إنّه هو المحسِن الشديد الرحمة لا غيره[5]، ولعلّ القول الأخير هو الراجح؛ فالبَرّ هو المحسِن، إذ ورد أنَّ "البَرُّ خِلَاف البحر، وتصوّرٌ مِنْه التوسُّع فاشتق مِنْه البِرُّ، أي: التوسُّع في فعل الخير"[6] هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنَّ المقام يقتضي القصرَ، وهو ما يتوافق مع القول الثالث.

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 58).

(2) انظر: **المصدر نفسه**.

(3) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (22/ 477).

(4) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 412)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 154)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (9/ 572)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 150)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 36).

(5) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 58).

(6) **المفردات، الراغب الأصفهاني** (ص 114)، مادة (برَّ).

وجاء ضمير الفصل في الشاهد فَقَصَر الإحسان وكثرة الرحمة عليه سبحانه، وَلَمَّا ورد في السِباق قول الذين آمنوا:(إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ) كان القصر تعليلًا لِدُعائهم وَتعظيمهم أَمر الله عزّ وجلَّ[1]، وَتُقَوّي هذا المعنى القراءةُ بِفَتح الهَمزة[2] (أَنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ) على تقدير حرف جرٍّ محذوف (اللام) تعليلًا لِقولهم: (نَدْعُوهُ)[3]. ولا يُلاحَظ أثر القصر عند عدم استعمال ضمير الفصل كأنْ يُقال: (الله بَرٌّ رحيم)؛ فَهَذا القول إخبارٌ يحتمل وجود بَرّ رحيم غيره سبحانه، ولكن دخول ضمير الفصل أظهر البعد الحِجاجي للقصر في قوله تعالى: (إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ)؛ فَكأنَّه تابع قائلًا: (أمَّا غير الله فَلَا يُعدُّ برًّا رحيمًا، ادعوه يَمُنُّن عليكم، وَيَقِكُم عذاب السموم).

المطلب الثاني: إضافة معنى جديد:

الفرع الأول: الإنكار والإبطال: قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: 3].

موضع الشاهد: (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ).

المقصور به: ضمير المنفصل (هُوَ)[4].

المقصور: (الْأَبْتَرُ)، خبر إنَّ، يحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة انعدام الخير.

والأَبْتَر لغةً: الرجل الذي لا عَقِبَ له، ويقال لِكلّ مَن انقطع أثره مِن الخير إنَّه أَبْتَر[5]. وقد اختلف المفسّرون في المراد من قوله تعالى: (الْأَبْتَرُ) على أقوال عدَّة؛ أوَّلها: الأقلّ الأذلّ المنقطِع عَقِبه[6]، وثانيها:

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 58).

(2) قراءة نافع والكسائي. انظر: **السبعة في القراءات، ابن مجاهد البغدادي** (ص 613)، **والبدور الزاهرة، عبد الفتاح القاضي** (ص 306).

(3) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 58).

(4) انظر: **المصدر نفسه** (30/ 576).

(5) انظر: **مقاييس اللغة، ابن فارس** (1/ 194)، مادة (بتر).

(6) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 658).

الذي لا خير فيه[1]، وثالثها: مَن لا عَقِبَ لَه ولا حُسْن ذِكْر[2]، ولعلَّ الراجح أنَّ المراد هو الرجل الذي لا خير فيه؛ لأنَّ الآية ردٌّ لِقول أحد المشركين في حقّ النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم، إذ لَمَزَ النبيَّ بأنَّه أبْتَر؛ أي: لا عَقِبَ له، فَأَنزل الله تعالى: (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)، فالأبتر في الآية هو المقطوع عَمَّا يَنْفعه من خيري الدنيا والآخرة[3]؛ لأنَّ مَن نزلَت فيه لَه أولاد[4].

المقصور عليه: (شَانِئَكَ)، اسم إنَّ مضاف؛ أي: مُبْغِض رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهو الموصوف.

وتشمل الآية كلَّ مُبْغِض للنبيّ ومات على ذلك، فَكُلّهم مبتورون عن الخير بِسَبب شنآنهم للنبيّ صلوات الله وسلامه عليه، فَذِكْر الصفة (شَانِئَكَ) دون اسم الخصم أفاد العموم؛ أي: الحكم على كلّ شانئ لَه بِالبَتْر لا على شخص بِعينه، فَمَن كانت تلك صفته هو الأبْتَر الحقيقي، والعبرة بِعموم اللفظ لا بخصوص السبب[5].

المقصور عنه: كلّ الناس ما عدا مُبْغِض الرسول.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة انعدام الخير على مُبْغِض رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ الناس ما عدا مُبْغِض رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي فضل الله تعالى وَنِعَمه العظيمة على نبيّه الكريم.

- باعتبار حال المخاطَب: قصر قَلْب؛ ردًّا لِلكيد إلى كائديه، فالأبْتَر ليس هو رسول الله، إنّما هو كارهه، فقد قَلَب الله عليه الأمور.

---

(1) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (32/ 320)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 576).

(2) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 807)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 342)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 557)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 205)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 481).

(3) انظر: **أسباب نزول القرآن، الواحدي** (ص 466)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 576).

(4) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 576).

(5) انظر: **المصدر نفسه** (30/ 577).

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد ثلاثة أقوال؛ أوَّلها: إنَّ مُبْغِضك يا محمَّد هو الأقلّ الأذلّ، المنقطِع عَقِبه[1]، وثانيها: إنَّ كارهك يا محمَّد هو الأبْتَر حقًّا لا أنتَ؛ إذ لا يبقى لَه نسل ولا يحسن ذِكْره[2]، وثالثها: إنَّ المبغِض لك يا محمَّد هو مَن لا خير فيه، وَلَسْتَ أنتَ[3]، ولعلَّ القول الأخير هو الراجح لِسببين؛ أوّلهما: أنَّ الإنكار في الآية لا يحصل إلَّا بِالقَصْر[4]، وثانيهما: أنَّ المراد بالأبْتَر هو الرجل الذي لا خير فيه، ووَصْفُ الأبْتَر في الآية نَفْيٌ لِقول القائل: "محمَّد أبتر"، فقد كان عُرْفُهم في وصف الأبْتَر أنَّه الذي لا عَقِب لَه، فَجَاء هذا النفي ضربًا من ضروب الأسلوب الحكيم، وذلك بِصَرف مراد القائل عن الأبْتَر الذي هو عديم الابن الذَكَر إلى ما هو أجدر بالاعتبار، وهو الناقصُ حظَّ الخير[5].

وجاء ضمير الفصل في الشاهد فَقَصَر صفة انعدام الخير على مُبْغِض نَبِيّنا الكريم -عليه الصلاة والسلام- وَلَمَّا كان هذا القصر إثباتًا لهذه الصفة لِأعدائه وكارهيه أضاف معنى آخر هو الإبطال والنفي لِصفة البَتْر عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[6]، وقد جعل الله لِنَبيّه لسان صدق لم يَجْعَل مثله لِأحد من خلقه، فَتجلّى كمالُه الذاتيّ بأنْ جعل الله رسالَته فيه، وكمالُه العرضيّ بِالمؤمنين؛ إذ جعله أولى بِهِم من أنفسهم[7]، وَلَا يحصل هذا الأثر إلَّا بالقصر، فلو قيل: (شانئك أبْتَر)، لَأَخبرت الجملة فقط عن كَون الشانئ أبترًا، وهذا الخبر يحتمل التصديق والتكذيب.

الفرع الثاني: الترهيب: قوله تعالى: ﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴾ [الطور: 42].

موضع الشاهد: (فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ).

---

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 656- 658).

(2) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 807)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 342)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 557)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 205، 206)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 481).

(3) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (32/ 320)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 576).

(4) انظر: **عروس الأفراح، السبكي** (1/ 228).

(5) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 577).

(6) انظر: **المصدر نفسه** (30/ 576).

(7) انظر: **المصدر نفسه** (30/ 577).

المقصور به: الضمير المنفصل (هُمُ)[1].

المقصور: (الْمَكِيدُونَ)، خبرٌ يحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الكَيد.

المقصور عليه: (الَّذِينَ كَفَرُوا)، الاسم الموصول وصلته، مبتدأ، وهو الموصوف.

وقوله تعالى: (الَّذِينَ كَفَرُوا) يحتمل الخصوص؛ أي: هُم المذكورون المريدون كَيده عليه الصلاة والسلام، ويحتمل العموم؛ أي: هُم جميع الكفرة، والمذكورون داخلون فيه دخولًا أوليًا[2].

المقصور عنه: كلّ الخلق ما عدا الذين كفروا.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة الكَيد على الذين كفروا.
- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ الخلق ما عدا الذين كفروا، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي التهكم بِالكفَّار وأوثانهم.
- باعتبار حال المخاطَب: قصر قَلْب؛ قلبًا لِمُعْتَقَد الكفَّار الذين يظنّون أنَّ بِإمكانهم الإضرار بِرسول الله وبالإسلام.

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد قولان؛ أحدهما: الذين كفروا هُم الذين يحيق بِهِم كَيدهم[3]، والآخر: الذين

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 77).

(2) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 414)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 155)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (9/ 576)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 152)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 39).

(3) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 414)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (28/ 222)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 155)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (9/ 576).

كفروا هُم الذين يعود عليهم وَبَال كَيدهم لا مَن أرادوا الكَيد به[1]، ولعلّ القول الأخير هو الراجح؛ فالشاهد نظير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: 43].

وجاء ضمير الفصل في الشاهد فَقَصَر الكَيد على الذين كفروا، وَلَمَّا عَدَل الله عن الإضمار إلى الإظهار في قوله: (فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ) أشعر بِعلّة حلول الكَيد بِهِم وهي الكفر بالله، فالله يدافع عن رسالته وعن رسوله والمؤمنين ويوقعهم فِيما نووا فِعْلَه، وَبِذَلك أفاد القصر معنى آخر هو التهديد والترهيب للكفَّار من وَبَال كَيدهم على رسولنا الكريم صلَّى الله عليه وسلَّم وعلى الإسلام والمسلمين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: 30]، ومن مظاهر هذا التهديد ما حلَّ بِهِم يوم بدر[2]، ولا يُلاحَظ هذا الأثر لو جاء الشاهد دون ضمير الفصل كأنْ يقال: (فالذين كفروا مكيدون) أو (فالذين كفروا المكيدون)، فَهَذا القول يحتمل وجود مكيد غيرهم، وبعبارة أخرى أفاد الضمير (هُمُ) معنى القصر، ولو حُذِف لَكان القصر محتمَلًا لا مُعَيَّنًا؛ أي: قد يكون إخبارًا بأنَّ الذين كفروا مكيدون دون إفادة القصر.

الفرع الثالث: التعريض والتثبيت: قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ [الإنسان: 23].

موضع الشاهد: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا).

المقصور به: الضمير المنفصل (نَحْنُ).

المقصور: (نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا)، جملة فعلية في محل نصب خبر إنَّ، تحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة التنزيل بالتدريج.

المقصور عليه: الضمير المتَّصل –(نا) الدَّالة هنا على التعظيم– في قوله: (إِنَّا)، اسم إنَّ؛ أي: الله جلَّ جَلاله، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ شيء ما عدا الله تعالى.

---

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (22/ 484)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 152)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 39)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 77).

(2) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 78). **والعدول البلاغيّ**: هو العدول عن صِيغةٍ من الألفاظ إلى صِيغةٍ أخرى، ولا يكون إلَّا لِخصوصيَّة اقتضت ذلك. انظر: **المثل السائر، ابن الأثير** (2/ 12).

نوع القصر:

■ باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة التنزيل التدريجيّ على الله تعالى.

■ باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ تحقيقيّ؛ فقد أنزل الله تعالى القرآنَ على سيدنا محمَّد – صلَّى الله عليه وسلَّم– مُفرَّقًا مُنجَّمًا في نحو ثلاث وعشرين سنة.

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد قولان؛ أحدهما: إنَّا نحن نَزَّلنا عليك يا محمّد هذا القرآن تنزيلًا[1]، والآخر: ما أَنْزَل عليك القرآنَ تنزيلًا مُفرَّقًا مُنجَّمًا إلَّا نحن لا غيرنا، وذلك لِحِكَم بالغة مقتضية له[2]، ولعلَّ القول الأخير المفيد للقصر هو الراجح؛ إذ المقام يناسبه القصر.

وإنَّ تكرار الضمير –العائد على الله تعالى– بعد إيقاعه اسمًا لِإنَّ يفيد مزيدًا من تأكيد اختصاص الله بالتنزيل؛ لِيتقرَّر في نفس نبيّه الكريم أنَّه إذا كان الله هو المنزِّل الوحيد للقرآن فَلَم يكن تنزيله –على أي وجه نزل– إلَّا لِحِكْمة[3]، ومَن نَزَّل القرآنَ على نبيّه لن يتركه، وبذلك أفاد القصر بِضمير الفصل معنى آخر هو التثبيت للرسول صلَّى الله عليه وسلَّم، والتأييد له، والربط على قلبه، والتعريض بِالمشركين الذين جعلوا تنزيله مُفرَّقًا شبهة للطعن في كَونه من عند الله تعالى[4]، فقالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: 32]، وَلَو وَرَد الشاهد دون ضمير الفصل لَأفاد مُجَرَّد الإخبار كما في الجملة: (نَزَّلنا عليك القرآن تنزيلًا)، وَذِكْرُ ضميرِ الفصل عَيَّن القَصْرَ الذي كان محتمَلًا قبل دخوله.

الفرع الرابع: الترغيب: قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: 40، 41].

موضع الشاهد: (فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى).

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 115)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 369).

(2) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 674)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (30/ 758)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 272)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 75)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 182)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 403).

(3) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 674).

(4) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (29/ 403).

المقصور به: الضمير المنفصل (هِيَ).

المقصور: (الْمَأْوَى)، خبر إنَّ؛ أي: مأوى مَن خاف مقام ربّه، وهو الموصوف.

المقصور عليه: (الْجَنَّةَ)، اسم إنَّ، يحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة السعادة الأبديَّة.

المقصور عنه: كلّ الصفات ما عدا صفة السعادة الأبديَّة.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر موصوف على صفة؛ فَمأوى مَن خاف مقام ربّه مقصورٌ على الجنَّة، أي على السعادة الأبديَّة.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ مجازيّ لِعدم الاعتداد بِمَأوى سواها؛ لِقُصُوره عن بلوغ الكمال.

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين قولان في معنى الشاهد؛ أوَّلهما: فَإِنَّ الجنَّة هي مقرّ مَن خاف الله[1]، وثانيهما: فَإِنَّ الجنَّة هي المأوى لِمَن خاف الله لا غيرها[2]، ولعلّ القول الثاني هو الراجح؛ إذ تدخل جميع الطاعات والحسنات في الوصفين المذكورين -الخوف من الله واجتناب المعاصي والشهوات- فيصبح الشاهد نظيرًا لقوله تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: 19].

وجاء ضمير الفصل في الشاهد لِيفيد القصر؛ فالجنَّة هي المأوى لا سواها لِمَن خاف الله وَكَبَح جِماح نفسه، وَلَمَّا كان الشاهد مع سِبَاقه يَتحدَّث عن ميزان دقيق لِمَعرفة الإنسان مَصيره في الآخرة -هل هو من أهل الجنَّة أم من أهل النار؟- دُفِع لِيَضع نفسه في هذا الميزان، وَمِن ثَمَّ أعطى أسلوب القصر ضمن سياقه معنى آخر هو ترغيب الناس بأداء فرائض الله واجتناب معاصيه، ولا يُلاحَظ هذا الأثر عند عدم إثبات ضمير الفصل كأنْ يقال: (فإنَّ الجنَّة مأواه)، فَهَذا القول إخبارٌ يحتمل التصديق والتكذيب؛ أي: إنَّ المعنى قد ضَعُف وجاء ناقصًا عند حذف الضمير.

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 212)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 93).

(2) انظر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 285)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 104)، **وروح المعاني، الآلوسي** (15/ 238).

المبحث الثاني

أثر أسلوب القصر بضمير الفصل في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة

يشتمل هذا المبحث على آثار أسلوب القصر بضمير الفصل في تفسير الآيات المدنيَّة من المفصَّل، وشواهد لتلك الآثار.

المطلب الأول: بيان المعنى:

الفرع الأول: الإثبات: قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: 8].

موضع الشاهد: (أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ).

المقصور به: الضمير المنفصل (هُمُ).

المقصور: (الصَّادِقُونَ)، خبر، يحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الصدق.

المقصور عليه: (أُولَئِكَ)، اسم الإشارة: مبتدأ؛ أي: الموصوفون بأنَّهم أُخرِجوا من ديارهم وأموالهم، وَبِابتغائهم فضلًا من الله ورضوانًا، وبِنصرهم الله ورسوله، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ الخلق ما عدا الموصوفين بتلك الصفات الجليلة.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة الصدق على أولئك الموصوفين بتلك الصفات الجليلة.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ مجازيّ؛ فَهُم الكاملون في الصدق، وكأنَّ صدق غيرهم ليس صدقًا في جانب صدقهم[1].

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 89).

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين في معنى الشاهد أربعة أقوال؛ أوّلها: هؤلاء الفقراء المهاجرون المتَّصفون بتلك الصفات هُم الصادقون فِيمَا يقولون[1]، وثانيها: عندما هاجر هؤلاء الفقراء وتحمَّلوا الشدائد من أجل الدين تبيَّن صدقهم في دينهم[2]، وثالثها: أولئك الفقراء المهاجرون الموصوفون هُم الصادقون في إيمانهم[3]، ورابعها: أولئك الموصوفون بما ذُكِر من الصفات الحميدة هم الكاملون في الصدق في إيمانهم[4]، وقد يرجع تعدّدُ الأقوال التفسيرية في الشاهد إلى حَذْف مُتعلِّق الصدق، ومآل هذه الأقوال واحد.

وقد جاء القصر بإضافة ضمير الفصل في الشاهد مُثبِتًا الصدقَ الكامل للفقراء المهاجرين الذين مِن صِفَاتهم ما ذَكَرَتْه الآية الكريمة، فَهُم الكاملون في صدق إيمانهم؛ إذ فَعَلُوا ما يدلّ عليه دلالةً قوية[5]، ولو وَرَد الشاهد دون أسلوب القصر لَزَالَ أثر الإثبات، كأنْ يقال: (أولئك صادقون أو من الصادقين)؛ لأنَّ هذا القول يفيد عدم كمال صفة الصدق فِيهم أو مشاركة غيرهم لَهُم في هذه الصفة، ولكن إضافة ضمير الفصل قصر الصدق عليهم.

المطلب الثاني: تعزيز المعنى:

الفرع الأول: التأكيد: قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [المجادلة: 18].

موضع الشاهد: (إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ).

المقصور به: الضمير المنفصل (هُمُ)[6].

---

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 281).

(2) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 507).

(3) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 504)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 200)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 142).

(4) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 228)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 245)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 89).

(5) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (14/ 245).

(6) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 53).

المقصور: (الْكَاذِبُونَ)، خبر إنَّ، يحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الكذب.

المقصور عليه: الضمير المتَّصل –الهاء– في قوله: (إِنَّهُمْ)، اسم إنَّ، والمراد: أصحاب النار، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ المخلوقات ما عدا أصحاب النار.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة الكذب على أصحاب النار.
- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ مجازيّ؛ لِعدم الاعتداد بِكَذِب غيرهم[1].

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين ثلاثة أقوال في معنى الشاهد؛ أوَّلها: إنَّ أصحاب النار كاذبون فِيمَا يحلفون عليه[2]، وثانيها: إنَّهم البالغون في الكَذِب الغايةَ القصوى، وقد استوت حالهم فيه بالدنيا والآخرة[3]، وثالثها: كَذِب غيرهم بالمقارنة مع كذبهم كَعَدم الكَذِب، فَكَذِبهم لا يُماثله كَذِب[4]، ولعلَّ القول الثالث هو الراجح؛ إذ يقتضي المقامُ القصرَ.

وجاء ضمير الفصل في الشاهد فَقَصَر الكَذِب على أصحاب النار، فَكَذِب غيرهم لا يبدو أمام كَذِبهم، وَلَمَّا كان كَذِبهم بين يدي علَّام الغيوب أفاد أسلوب القصر تأكيدَ حال كَذِبهم[5]؛ فَهُم –لِشدَّة كَذِبهم– الكاملون في الكَذِب، وَلَو لم يُستعمَل أسلوب القصر في الشاهد لم يُلاحَظ هذا الأثر، كأنْ يقال: (يوم يبعثهم الله جميعًا فيحلفون كما يحلفون لكم ويحسبون أنَّهم على شيء وَهُم كاذبون)، فجملة (هُم كاذبون) تحتمل التكذيب والتصديق بالإضافة إلى أنَّها لم تُظهِر انعدام وجود كَذِبٍ مماثل لِكَذِبهم.

---

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 53).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 255)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 498).

(3) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 496)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 196)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 222)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 227).

(4) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 53).

(5) انظر: **المصدر نفسه**.

الفرع الثاني: التعليل: قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الممتحنة: 5].

موضع الشاهد: (إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ).

المقصور به: الضمير المنفصل (أَنْتَ).

المقصور: (العَزِيزُ الحَكِيمُ)، العزيز: خبر إنَّ الأوَّل، الحكيم: خبر إنَّ الثاني، وهذان الخبران يحملان صفتين تدلّان على معنيين قائمين فيهما؛ وهما صفتا العزَّة والحِكْمة.

المقصور عليه: الضمير المتَّصل (الكاف) في (إنَّك)؛ أي: الله جلَّ جلاله، وهو الموصوف.

المقصور عنه: ما سوى الله تعالى من الأرباب المدَّعيين.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفتا العزَّة والحِكْمة على الله سبحانه وتعالى.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو ما سوى الله تعالى من الأرباب المدَّعيين، والكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي دائرة الربوبيَّة.

- باعتبار حال المخاطَب: يختلف المخاطَب في الآية الكريمة لِوجود قولين للمفسِّرين فيها؛ القول الأوَّل: إنَّ الآية إخبار عن قول سيدنا إبراهيم عليه السلام والذين معه[1]، وهذا القول الظاهر، وأمَّا القول الثاني: فإنَّ الآية تلقينٌ للمؤمنين وأمرٌ لهم من الله أنْ يتوكلوا عليه وَيُنِيبوا إليه ويَسْتَعيذوا به من فتنة الكفَّار ويستغفروا[2]، وهذا قولٌ محتمَل.

(1) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 319)، **والكشاف، الزمخشريّ** (514/4)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (519/29)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 205)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 155)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 237-238)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 266)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 146).

(2) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (514/4)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (519/29)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 205)، **والبحر المحيط، أبو حيَّان** (10/ 155)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 266)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 146).

ويمكن تحديد المخاطَب بناءً على القولين السابقين كالآتي:

– حسب القول الأوَّل يكون المخاطَب هو الله تعالى، وَمِن ثَمَّ لا يمكن تطبيق اعتبار حال المخاطَب لِتَحديد نوع القصر؛ إذْ تُعدُّ مسألة اعتبار حال المخاطَب عند البلاغيين مسألة افتراضية في كثير من جوانبها وليست جوهرية، فهي وسيلة للإيضاح يحاولون بِواسطتها شرح بعض خصائص الأسلوب، فالمخاطَب كما في بعض الآيات قد يكون الله سبحانه وتعالى، فَلَا يمكن حينها تطبيق هذا الاعتبار[1].

– وحسب القول الثاني يكون الخطاب موجَّهًا للمؤمنين، وَبِتطبيق اعتبار حال المخاطَب يكون القصرُ قصرَ إفراد؛ لِنَفي شركة غير الله من الأرباب المدَّعيين لِصفتي العزَّة والحِكْمة.

أثر القصر في التفسير:

ذهب المفسّرون إلى أنَّ الشاهد تعليلٌ للدعوات كلّها الواردة في قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: 4]، فإنَّ التوكُّل والإنابة والمصير تُناسبُ صفة العزيز الذي لا يذلّ مَن التجأ إليه ولا يخيِّب رجاء مَن توكَّل عليه، وطَلَبُ أنْ لا يجعلهم فتنة وأنْ يغفر لهم يُناسبُ صفة الحكيم الذي لا يَفعل إلَّا ما فيه حِكْمة بالغة، لِأنَّهم رأوا أنَّ حكمته تُناسبها إجابة دعائهم لِمَا فيه من صلاحهم[2]، وهذا المعنى يتوافق مع السياق.

ولا يُلاحَظ أثر التعليل عند حَذْف ضمير الفصل كأنْ يقال: (الله العزيز الحكيم)؛ فَهَذا القول مُجَرَّد إخبار، يحتمل وجود عزيز حكيم غيره سبحانه، وإثبات الضمير عَيَّن القصر الذي كان محتمَلًا قبل وضعه، وأشار إلى كمال الصفتين فيه تعالى، فَهَذه المعاني تضافرت باستعمال أسلوب القصر عن طريق التعريف وعن طريق ضمير الفصل معًا.

المطلب الثالث: إضافة معنى جديد:

الفرع الأول: الترهيب: قوله تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: 19].

(1) انظر: **دلالات التراكيب، محمّد أبو موسى** (ص 71).

(2) انظر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 205)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 237)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 267)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 149).

موضع الشاهد: (إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ).

المقصور به: الضمير المنفصل (هُمُ)[1].

المقصور: (الْخَاسِرُونَ)، خبر إنّ، يحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الخسران.

المقصور عليه: (حِزْبَ الشَّيْطَانِ)، اسم إنَّ مضاف؛ أي: جند الشيطان وأتباعه، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ المكلَّفين ما عدا جند الشيطان وأتباعه.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة الخسران على جند الشيطان وأتباعه.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ مجازيّ؛ للمبالغة في مقدار خسران المنافقين، فلا خسران أشدّ منه، وكأنَّ كلّ خسران غيره عدم[2].

أثر القصر في التفسير:

للمفسّرين قولان في معنى الشاهد؛ أوَّلهما: إنَّ جند الشيطان وأتباعه هم الخاسرون؛ لِأنّهم أضاعوا النعيمَ المقيم وعرَّضوا أنفسهم للعذاب المخلَّد[3]، وثانيهما: إنَّهم المتَّصفون بالخسارة إلى الحدّ الأقصى، وكأنَّهم الخاسرون دون غيرهم[4]، ولعلَّ القول الثاني هو الراجح؛ فَالسِّبَاق يؤيّده، ذلك أنَّ ذِكْر الله يشمل جميع الفرائض، ولا يكون أي عمل لله إلَّا إذا كان صاحبه ذاكراً لله بِقلبه أو لسانه، قال تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: 55]، وقال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: 14]، فَذِكْر الله عامّ؛ أي: يكون في الثناء على الله تعالى وفي الصلاة وغير ذلك، فَكَان خسران حزب الشيطان شديدًا بِسبب استحواذه عليهم، وَكَانوا أولى مَن يقال عَنْهم خاسرون؛ أي: إنَّ هؤلاء لا غيرهم هُم الخاسرون حقًّا.

---

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 55).

(2) انظر: **المصدر نفسه.**

(3) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 256)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 196).

(4) انظر: **إرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 223)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 228)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 55).

ونتيجةً لِاستعمال ضمير الفصل في الشاهد تجلَّى معنى القصر؛ فَقُصِر الخسران على المنافقين، وَلَمَّا كان الخطاب في الآية الكريمة وما سبقها للمؤمنين أضاف أسلوب القصر معنى آخر هو الترهيب والتحذير للمسلمين أنْ تغرهم حبائل الشيطان، ويتلبَّسوا بأحوال المنافقين، وتخدعهم أيمانهم الكاذبة[1]، ولا يظهر هذا الأثر لو قيل: (إنَّ حزب الشيطان خاسرون أو من الخاسرين)؛ لأنّه يفيد أنَّ خسارتهم قد تكون قليلة أو قد يشاركهم فيها غيرهم، ولكن إضافة ضمير الفصل قصر الخسارة عليهم، فَهُم أولى مَن يُسَمَّى الاسم؛ فَنِسيان ذِكْر الله أعظم الخسائر، وَبِذلك يتوضَّح البعد الحِجاجي للقصر بِضمير الفصل، فهو يجعل المخاطَب يتوجَّه نحو نتيجة واحدة هي: وجوب ذِكْر الله تعالى، ويمكن استنباط صورة الاستدلال المنطقي في الشاهد كالآتي: حزب الشيطان خاسرون، وخسارة غير هؤلاء لا تُعدُّ خسارة، إذن اذكروا الله لِكَيلا تكونوا من الخاسرين.

الفرع الثاني: الترغيب: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة: 7].

موضع الشاهد: (أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ).

المقصور به: الضمير المنفصل (هُمُ)[2].

المقصور: (خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)، خبر مضاف، يحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة الخيريَّة.

المقصور عليه: (أُولَئِكَ)، اسم الإشارة: مبتدأ؛ أي: الموصوفون بالإيمان وعمل الصالحات، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ الخلق ما عدا الموصوفين بالإيمان وعمل الصالحات.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة الخيريَّة على أولئك الموصوفين بالإيمان وعمل الصالحات.

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (28/ 55).

(2) انظر: **المصدر نفسه** (30/ 485).

■ باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ الخلق ما عدا الموصوفين بالإيمان والعمل الصالح، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي مصير كلّ الكفّار والمؤمنين في الآخرة.

■ باعتبار حال المخاطَب: قصر قَلْب؛ ردًّا على زَعْم أهل الكتاب والمشركين مِن أنَّهم هُم خير البريَّة[1].

أثر القصر في التفسير:

هناك قولان للمفسّرين في معنى الشاهد؛ أحدهما: مَن آمن وعمل صالحًا هُم خير البريَّة[2]، والآخر: أولئك الموصوفون بالإيمان والطاعة هُم خير البريَّة دون غيرهم[3]، ولعلَّ القول الثاني هو الراجح؛ إذ يقتضيه المقام، وقد جاء الشاهد في هذا الموضع لتأكيد قوله تعالى: ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾[البينة: 5]، فَلَا تحقيق لِكَونها الملّة القيّمة فوق أنْ يكون جزاء الممتثل هذا.

وأتى ضمير الفصل في الشاهد لِقَصْر الخيريَّة على المؤمنين العاملين للصالحات تبصيرًا للناس بِمَراتبهم في الآخرة، وَلَمَّا كانت الدار الآخرة هي دار الدوام أضاف القصر معنى الترغيب لَهُم بالإيمان وبِعَمل الصالحات في الدنيا[4]، والوعد بأنَّهم من أجل هذه الأوصاف سيكونون خيرَ البريَّة في الآخرة[5]، وبالنتيجة فقد أفاد توسيطُ ضمير الفصل اختصاصَهم بِكَونِهم خيرَ البريَّة لا يُشاركهم في ذلك غيرهم، بِخِلاف ما لو قيل: (أولئك خير بريَّة)؛ لأنَّها جملة خبريَّة تحتمل التصديق والتكذيب، ولا تنفي مشاركة غيرهم.

الفرع الثالث: الإنكار والإبطال: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الحديد: 19].

موضع الشاهد: (أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ).

---

(1) انظر: **روح المعاني للآلوسي** (15/ 431).

(2) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (24/ 542)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (32/ 247، 248)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (9/ 186).

(3) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (15/ 431)، **والتحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 484، 485).

(4) انظر: **روح المعاني، الآلوسي** (15/ 430).

(5) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (30/ 485).

المقصور به: الضمير المنفصل (هُمُ)[1].

المقصور: (الصِّدِّيقُونَ)، خبر، يحمل صفةً تدلُّ على معنى قائم فيها، وهي صفة كثرة الصدق.

المقصور عليه: (أُولَئِكَ)، اسم الإشارة: مبتدأ؛ أي: المؤمنون بالله ورسله، وهو الموصوف.

المقصور عنه: كلّ الخلق ما عدا المؤمنين بالله ورسله.

نوع القصر:

- باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف؛ فقد قُصِرت صفة كثرة الصدق على المؤمنين بالله ورسله.

- باعتبار الحقيقة والواقع: قصر إضافيّ؛ فالمقصور عنه هو كلّ الخلق ما عدا المؤمنين بالله ورسله، لكنَّ الكلام يجري في دائرةٍ خاصة، وهي الحديث عن أهل الإيمان.

- باعتبار حال المخاطَب: قصر إفراد؛ فَالذين آمنوا بالله ورسله كلّهم هم الصدّيقون لا الذين كذَّبوا بعض الرسل، إذ لم تَمْنعهم عصبية ولا عناد عن تصديق جميع الرسل[2].

أثر القصر في التفسير:

هناك أربعة أقوال للمفسّرين في معنى الشاهد؛ الأوّل: المؤمنون بالله ورسله هم الصدّيقون[3]، والثاني: الذين آمنوا بالله ورسله هُم عند الله بِمَنزلة الصدّيقين[4]، والثالث: الذين آمنوا بالله وبالرسل حين أتوهم ولم يكذِّبوا ساعة قط هُم الصدّيقون[5]، والرابع: المؤمنون بالله وجميع رسله هُم الصدّيقون لا الذين كذَّبوا بعض الرسل[6]، ولعلّ القول الرابع هو القول الراجح؛ لأنَّ المقام يقتضي القصر، ولأنَّ قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 397).

(2) انظر: **المصدر نفسه.**

(3) انظر: **جامع البيان، الطبريّ** (23/ 193)، **ومفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 463)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 188)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 210)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 182).

(4) انظر: **الكشاف، الزمخشريّ** (4/ 478)، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاويّ** (5/ 188)، **وإرشاد العقل السليم، أبو السعود** (8/ 210)، **وروح المعاني، الآلوسي** (14/ 182).

(5) انظر: **مفاتيح الغيب، الرازيّ** (29/ 462).

(6) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 397).

يعمُّ كلّ مَن ثَبت له مضمون هذه الصلة وما عطف عليها، فالمؤمنون آمنوا بالله وبرسله كلّهم، ولذلك وصفوا بأنّهم الصدّيقون، إذ إنّهم جمعوا صدقًا إلى صدق في الإيمان بالله ورسله.

وقد أفاد إضافة ضمير الفصل في الشاهد قصر الصدّيقين على الذين آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين كلّهم، وَلَمَّا كان في جمع (رُسُلِهِ) تعريضٌ بِأهل الكتاب الذين آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعضهم-فاليهود آمنوا بالله وبموسى، وكفروا بِعيسى وَبِمحمّد عليهما الصلاة والسلام، والنصارى آمنوا بالله وكفروا بِمحمّد صلّى الله عليه وسلّم-[1] أضاف القصر معنى آخر هو إنكار وإبطال كَون أهل الكتاب صدّيقين؛ فَلَا جدوى من تصديقهم رسولهم إذ لم يصدقوا بِرِسالة محمّد صلَّى الله عليه وسلَّم[2]، ولا يظهر هذا الأثر لو قيل: (والذين آمنوا بالله ورسله صدّيقون)؛ لِأنّ هذا القول يفيد أنَّ غيرهم قد يشاركهم في هذه الصفة، وكذلك إذا قيل: (أولئك الصدّيقون) فهو قد يفيد مُجَرَّد الإخبار دون إفادة القصر، واستعمال ضمير الفصل أوصل المعنى كما يقتضيه المقام، وَمِن ثَمَّ كان تعريف طرفي الإسناد وضمير الفصل متضافرين لِتَوضيح معنى القصر في الشاهد.

(1) انظر: **التحرير والتنوير، ابن عاشور** (27/ 397).

(2) انظر: **المصدر نفسه**.

المبحث الثالث

عرض النتائج وتحليلها

استُقرِيت سور المفصَّل لاستخراج شواهد القصر بضمير الفصل، وَفِيما يأتي نتائج الاستقراء متضمِّنةً نوع القصر في كلّ شاهد وأثره في التفسير.

المطلب الأول: نتائج استقراء أثر القصر بضمير الفصل في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة:

يلخّص الجدول رقم (23) دارسة أسلوب القصر بإضافة ضمير الفصل في المكيّ من آيات المفصَّل:

الجدول رقم (23)؛ أثر أسلوب القصر بإضافة ضمير الفصل في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة					
الأثر	الشاهد	النوع باعتبار المقصور والمقصور عليه	النوع باعتبار الحقيقة والواقع	النوع باعتبار حال المخاطَب	العدد
التأكيد	﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ [ق: 43]	قصر صفة على موصوف	إضافي	إفراد	9
	﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ [النجم: 43]	قصر صفة على موصوف	إضافي	إفراد	
	﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [النجم: 44]	قصر صفة على موصوف	إضافي	إفراد	
	﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ [النجم: 48]	قصر صفة على موصوف	إضافي	إفراد	
	﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾ [النجم: 52]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	–	
	﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة: 95]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	–	
	﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المعارج: 31]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	
	﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس: 42]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	–	
	﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: 13]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	

الجدول رقم (23)؛ أثر أسلوب القصر بإضافة ضمير الفصل في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة					
الأثر	الشاهد	النوع باعتبار المقصور والمقصور عليه	النوع باعتبار الحقيقة والواقع	النوع باعتبار حال المخاطَب	العدد
الإنكار والإبطال	﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: 58]	قصر صفة على موصوف	إضافي	إفراد	3
	﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ [النجم: 49]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	–	
	﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: 3]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	
الترهيب	﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ [الطور: 42]	قصر موصوف على صفة	إضافي	قلب	3
	﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: 39]	قصر موصوف على صفة	حقيقي مجازي	–	
	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ [البلد: 19]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	
التعريض والتثبيت	﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [النجم: 30] [القلم: 7]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	–	3
	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ [الإنسان: 23]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	–	
التعليل	﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الذاريات: 30]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	–	2
	﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: 28]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	–	
الترغيب	﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: 41]	قصر موصوف على صفة	حقيقي مجازي	–	1

المطلب الثاني: نتائج استقراء أثر القصر بضمير الفصل في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة:

يلخّص الجدول رقم (24) دارسة أسلوب القصر بإضافة ضمير الفصل في المدني من آيات المفصَّل:

الجدول رقم (24)؛ أثر أسلوب القصر بإضافة ضمير الفصل في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة					
الأثر	الشاهد	النوع باعتبار المقصور والمقصور عليه	النوع باعتبار الحقيقة والواقع	النوع باعتبار حال المخاطَب	العدد
التأكيد	﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: 12]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	-	6
	﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحديد: 24] [الممتحنة: 6]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	-	
	﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [المجادلة: 18]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	-	
	﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: 19]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	-	
	﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: 20]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	-	
الترهيب	﴿إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: 19]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	-	4
	﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: 9]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	-	
	﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: 9]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	-	
	﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: 6]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	
الترغيب	﴿إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: 22]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	-	4
	﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9] [التغابن: 16]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	-	
	﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: 7]	قصر صفة على موصوف	إضافي	قلب	
الإثبات	﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: 8]	قصر صفة على موصوف	حقيقي مجازي	-	2
	﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ [التحريم: 4]	قصر صفة على موصوف	حقيقي تحقيقي	-	
التعليل	﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: 5].	قصر صفة على موصوف	إضافي	إفراد	1
الإنكار والإبطال	﴿أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: 19]	قصر صفة على موصوف	إضافي	إفراد	1

المطلب الثالث: تحليل النتائج:

بلغ عدد شواهد القصر بإضافة ضمير الفصل في سور المفصَّل تسعة وثلاثين شاهدًا؛ منها واحدٌ وعشرون في الآيات المكيّة، وثمانية عشر في الآيات المدنيّة. وتعدَّدت أنواع هذا القصر في السور، ولم تقتصر على نوع واحد، فَكَان باعتبار الحقيقة والواقع حقيقيًا في خمسة وعشرين شاهدًا، وإضافيًا في أربعة عشر شاهدًا، وأمَّا باعتبار المقصور والمقصور عليه فَكان قصرَ موصوف على صفة في ثلاثة شواهد، وقصرَ صفة على موصوف في ستة وثلاثين شاهدًا، انظر الجدول رقم (25).

الجدول رقم (25)؛ عدد شواهد القصر بإضافة ضمير الفصل في سور المفصَّل											
باعتبار الحقيقة والواقع						باعتبار المقصور والمقصور عليه					
قصر حقيقي			قصر إضافي			قصر موصوف على صفة			قصر صفة على موصوف		
الآيات المكيّة	الآيات المدنيّة	المجموع	الآيات المكيّة	الآيات المدنيّة	المجموع	الآيات المكيّة	الآيات المدنيّة	المجموع	الآيات المكيّة	الآيات المدنيّة	المجموع
11	14	25	10	4	14	3	0	3	18	18	36

وقد ظهرت آثار متعددة لأسلوب القصر بإضافة ضمير الفصل في تفسير آيات المفصَّل، وهذه الآثار موضَّحة في الجدولين (26) و(27).

الجدول رقم (26)؛ آثار القصر بضمير الفصل في تفسير المكيّ والمدنيّ من آيات المفصّل			
الأثر	العدد في الآيات المكيّة	العدد في الآيات المدنيّة	المجموع
التأكيد	9	6	15
الترهيب	3	4	7
الترغيب	1	4	5
الإنكار والإبطال	3	1	4
التعليل	2	1	3

الجدول رقم (27)؛ آثار القصر بضمير الفصل في تفسير المكيّ أو المدنيّ من آيات المفصّل			
الآيات المكيّة		الآيات المدنيّة	
الأثر	العدد	الأثر	العدد
التعريض والتثبيت	3	الإثبات	2

ويُلاحَظ من الجدول رقم (26) وجود آثار مشتركة للقصر بإضافة ضمير الفصل في تفسير المكيّ والمدنيّ من آيات المفصّل؛ وهي: التأكيد، والترهيب، والترغيب، والإنكار والإبطال، والتعليل، وقد انفردت

الآيات المكيّة في الجدول رقم (27) بأثر واحد؛ وهو: التعريض والتثبيت، وانفردت الآيات المدنيّة بأثر واحد؛ وهو: الإثبات.

خلاصة:

يمكن من تتبُّع شواهد القصر بضمير الفصل في سور المفصّل ملاحظة الآتي:

– إفادةُ ضمير الفصل القصرَ تابعةٌ للقرائن السياقيّة والمقاميّة.

– ورود أسلوب القصر بضمير الفصل بشكل متقارب في المكيّ والمدنيّ، وتفوّق المكيّ على المدنيّ عدديًّا بفارق بسيط.

– تعدُّد أنواعه، وقد كان قصر الصفة على الموصوف والقصر الحقيقيّ الأكثر حضورًا.

– تنوّع آثاره، فَنَال أثر التأكيد المرتبة الأولى بِعَدد الشواهد، إذ بلغ عدد شواهده خمسةَ عشرَ شاهدًا، وأمَّا المرتبة الثانية فأثر الترهيب بِسبعة شواهد، وأمَّا المرتبة الثالثة فأثر الترغيب بخمسة شواهد.

– تشابُه بعض آثار القصر بضمير الفصل في الآيات المكيَّة والمدنيَّة، واختلاف بعض آثاره الأخرى.

– دخول ضمير الفصل في التركيب اللغويّ يؤدّي المعنى على أكمل وجه وأتمّ صورة؛ فإذا جاء القصر في الشاهد بتعريف طرفي الإسناد ليُظهِر معناه، فإنَّ ضمير الفصل بين الطرفين المعرَّفين يزيد المعنى وضوحًا ليكون قويًّا جليًّا لا شكَّ فيه.

– مجيء القصر بضمير الفصل في الأخبار المجهولة أو المنكَرة من قبل المخاطَب وفي الأخبار غير المجهولة ولا المنكَرة منه؛ لِرفع توهّم التشكيك أو المنازعة أو التشريك في المسند إليه، وذلك في مقامات الرحمة والنقمة.

– اتِّسام القصر بضمير الفصل بِسِمةٍ حِجاجيّة.

الخاتِمة

الحمد لله حمدًا يليق بعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على سيد الأوّلين والآخرين محمَّد، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

كشفت دراسة أثر أسلوب القصر في تفسير سور المفصَّل عن جملة من النتائج، يمكن إيجازها بما يأتي:

1- يَشِيع أسلوب القصر في المفصَّل؛ إذ يبلغ عدد الشواهد فيه 253 شاهدًا، منها 157 شاهدًا في الآيات المكيّة، و96 شاهدًا في الآيات المدنيّة؛ أي: إنّ وروده في الآيات المكيّة أكثر منه في الآيات المدنيّة، ويمكن عزو ذلك إلى طبيعة المخاطَبين؛ إذ أكثر المخاطَبين في الآيات المكيَّة من المشركين المنكِرين للحقّ الذي أتى به سيدنا محمّد صلّى الله عليه وسلَّم، ولا يليق بهم إلَّا الأساليب القويَّة بغية توضيح حقائق الأمور، في حين أنَّ أكثر المخاطَبين في الآيات المدنيَّة من المؤمنين.

2- كانت أكثر طرق القصر شيوعًا في سور المفصَّل تقديم ما حقّه التأخير، تلاه النفي والاستثناء، وبعدهما تعريف طرفي الإسناد، ثمَّ إضافة ضمير الفصل، فكلمتا (إنَّما) و(أنَّما)، وأخيرًا حرفا العطف (بل، لكن). وقد وردت هذه الطرق في آيات المفصَّل المكيّة والمدنيّة باستثناء القصر بحرفي العطف الذي لم يرد إلّا في الآيات المكيّة منه، ولعلَّ ذلك يعود إلى كَون القصر بهذين الحرفين من أقوى طرق القصر؛ إذ يُصرَّح فيه بكلّ من المثبَت والمنفيّ، فينتج عن اجتماعهما تأكيد أكبر لمضمون الشاهد وتقرير أشدّ للمراد منه، وهذا ما تستدعيه طبيعة المخاطَبين في الآيات المكيّة، فقد كانوا أعداء لله ورسوله، لذلك نزل الوحي محطِّمًا لِوثنيتهم، ومقيمًا لِدلائل النبوَّة والتوحيد، في حين كان المخاطَبون في الآيات المدنيّة مِمَّن امتُحنوا بعقيدتهم فصبروا، فناسب ذلك استعمال طرق القصر الأخرى؛ إذ يُفهَم النفي فيها ضمنًا.

3- تَخْلو آيات المفصَّل المكيّة والمدنيَّة من شواهد القصر بحرف العطف (لا)؛ ولعلَّ ذلك يرجع إلى أنَّ (لا) العاطفة تؤدّي معنى القصر على مرحلتين، هما: إثبات الحكم لما قبلها، ونفيه عمَّا بعدها، ويُفهَم من استعمالها حالين: حال المقصور عليه وحال المقصور، فلا يكون التركيز على المقصور عليه واضحاً كما هو عليه في باقي طرق القصر، ومن ثَمّ فهو لا يؤدّي معنى القصر بنفس قوّة الطرق الأخرى.

4- لم تخرج طرق القصر بالنفي والاستثناء، وبكلمتي (إنَّما) و(أنَّما)، وبحرفي العطف (بل، لكن) عن أصل وضعها؛ فهي ملازمة دائمًا لدلالة القصر، ولا يتعدَّى أثر السياق والمقام فيها تبيين نوعه، وأمَّا تقديم ما حقّه التأخير، وتعريف طرفي الإسناد، وضمير الفصل فقد تكون للقصر وقد تكون لِغيره تبعًا للقرائن.

5- وردت أنواع القصر جميعها في المفصَّل: باعتبار المقصور والمقصور عليه: قصر صفة على موصوف وقصر موصوف على صفة، وباعتبار الحقيقة والواقع: قصر حقيقيّ وقصر إضافيّ، وباعتبار حال

المخاطَب: قصر إفراد وقصر تعيين وقصر قلب؛ إذ لكلّ نوع مكانته وبلاغته. واستُعمِلت هذه الأنواع جميعها مع طرق القصر المدروسة باستثناء قصر صفة على موصوف عند القصر بحرفي العطف (بل، لكن)، وقصر موصوف على صفة عند القصر بتعريف طرفي الإسناد.

6- كان قصر الموصوف على الصفة والقصر الإضافيّ هما الأكثر حضورًا عند القصر ببعض الأدوات التي تدلُّ عليه بالوضع اللغويّ، والتي تشمل: النفي والاستثناء، وكلمتي (إنَّما) و(أنَّما)، والعطف بحرفي (بل، لكن)، ولعلّ ذلك يعود إلى أنَّ استعمال قصر الموصوف على الصفة يُجرِّد الموصوف من كلّ صفاته، ويحصره في صفة واحدة، ويكون هذا مخالفًا للواقع غالبًا؛ إذ قلّما يكون للموصوف صفة واحدة، فناسب أن يكون قصر الموصوف على الصفة قصرًا إضافيًا في أغلب الأحوال.

7- كان قصر الصفة على الموصوف هو الأكثر حضورًا عند القصر بدلالات كلاميَّة تُفهَم بالفحوى، والتي تشمل: تقديم ما حقّه التأخير، وإضافة ضمير الفصل، وتعريف طرفي الإسناد، وكان القصر الحقيقيّ هو الأكثر ورودًا عند القصر بتقديم ما حقّه التأخير أو بضمير الفصل، في حين تقارب عدد شواهد القصر الحقيقيّ والإضافيّ عند القصر بتعريف طرفي الإسناد.

8- يساعد أسلوب القصر: في التعبير عن إرادة المتكلِّم والتأثير بنفس المخاطَب؛ إذ يَترُك استعماله ثلاثة آثار رئيسة في المعنى، وهي:

أ- بيان المعنى بإبراز القصر للمعنى الأساسي للتركيب.

ب- تعزيز المعنى بتقوية معنى القصر في الجملة والتشديد عليه.

ج- إضافة معنى جديد إلى معنى القصر، ما يؤدي إلى تكثير المعاني.

9- جاء أسلوب القصر في سور المفصَّل لِبيان المعنى في 74 شاهدًا بنسبة 29.25%، ولِتعزيز المعنى في 64 شاهدًا بنسبة 25.30%، ولِإضافة معنى جديد في 115 شاهدًا بنسبة 45.45% من إجمالي عدد الشواهد؛ أي: إنَّ استعمال أسلوب القصر لإضافة معنى جديد هو الأكثر شيوعًا، وبذلك يتجلَّى إعجاز القرآن البلاغي في قدرته على إيصال المعاني المختلفة بوضوحٍ واختصار.

10- تعدَّدت آثار أسلوب القصر في تفسير آيات المفصَّل، ويعدُّ أثر التأكيد أكثر الآثار ورودًا (45 مرّة بنسبة 17.78%)، يليه أثر الإثبات (32 مرَّة بنسبة 12.65%)، ثم أثر الإظهار (30 مرَّة بنسبة 11.85%)، ثمّ التعريض (23 مرّة بنسبة 9.09%)، ثم الترهيب (18 مرّة بنسبة 7.11%)، ثم التعليل (16 مرّة بنسبة 6.32%)، ثم الإعلام والتنبيه (12 مرّة بنسبة 4.74%)، ثم الإنكار والإبطال (10 مرّات بنسبة 3.95%)، ثم التعظيم (9 مرّات بنسبة 3.55%)، ثم الترغيب (8 مرّات بنسبة

3.16%)، ثم التسلية (7 مرّات بنسبة 2.77%)، والذمّ والتوبيخ (7 مرّات بنسبة 2.77%)، ثم التأييس (6 مرّات بنسبة 2.37%)، ثم التهكم والاستهزاء (4 مرّات بنسبة 1.58%)، والإكرام والإعلاء (4 مرّات بنسبة 1.58%)، ثم الإذلال والتحقير (3 مرّات بنسبة 1.19%)، والتذكير (3 مرّات بنسبة 1.19%)، والتكذيب (3 مرّات بنسبة 1.19%)، والالتجاء (3 مرّات بنسبة 1.19%)، ثم التبرؤ (مرَّتين بنسبة 0.79%)، وتثبيت النفوس (مرَّتين بنسبة 0.79%)، والتحسّر والندم (مرَّتين بنسبة 0.79%)، ثم التحدي (مرَّة واحدة بنسبة 0.40%)، والتأديب والترويض (مرَّة واحدة بنسبة 0.40%)، والحثّ (مرَّة واحدة بنسبة 0.40%)، والحرص (مرَّة واحدة بنسبة 0.40%). ومن ثَمَّ يُعدُّ التأكيد سمةً أساسيّة في أسلوب القصر، يليه الإثبات، وبعدهما الإظهار، ولعلّ ذلك يعود إلى أنَّ القرآن الكريم هو كتاب هداية، ولا بدّ من تحقيق الفهم الأمثل للمعاني القرآنيّة من قبل المخاطَبين؛ بغية اهتدائهم، وهذا ما يساعد عليه شيوع هذه الآثار.

11- اختُصَّت الآيات المكيّة بوجود بعض آثار القصر بما في ذلك التأييس، والتحسّر والندم، والتأديب والترويض، والتهكم والاستهزاء، والإكرام والإعلاء، والتبرؤ، والتكذيب، والحرص، واختُصَّت الآيات المدنيّة بوجود آثار أخرى؛ هي: الالتجاء، والحثّ، والتحدّي، وهذا ما يتناسب مع الخصائص الأسلوبيّة للقرآن المكيّ والمدنيّ. وقد لوحظ وجود بقية آثار القصر في كلّ من الآيات المكيَّة والمدنيَّة، ويمكن أن يعود ذلك إلى تشابه الموضوعات في كليهما -من عقائد وشرائع وأخلاق- مع اختلاف طريقة عرضها لِتُناسِب متطلبات كلّ واحدة من مرحلتي المكيّ والمدنيّ.

12- اختلفت آثار القصر باختلاف طرقه؛ إذ لوحظ أنَّ التأكيد كان الأثر الأكثر شيوعًا للقصر بالنفي والاستثناء، وبكلمتي (إنَّما) و(أنَّما)، وبحرفي العطف (بل، لكن)، وبضمير الفصل، وكان أثر التعريض الأكثر بالقصر بتقديم ما حقّه التأخير، وأثر الإثبات الأكثر بالقصر بتعريف طرفي الإسناد.

13- تتباين طرق القصر عن بعضها بانفرادها بأثر تفسيري أو أكثر، ومِن ثَمَّ لا يمكن الحكم بالمساواة بين طرق القصر؛ إذ ينفرد القصر بالنفي والاستثناء، بالآثار الآتية: التهكم والاستهزاء، والتكذيب، والحرص، وأمَّا القصر بحرف العطف (بل) فَينفرد بأثر التحسّر والندم، وأمَّا القصر بتقديم ما حقّه التأخير فينفرد بالآثار الآتية: التبرؤ، والتأديب والترويض، والحثّ، والالتجاء، وأمَّا القصر بتعريف طرفي الإسناد فينفرد بأثرين هما: التذكير، والتحدي، وهذا يبيّن ارتباط طرق القصر بالمعاني المراد إيصالها.

14- لكلّ طريق من طرق القصر مواضع وأحوال يختلف فيها عن باقي الطرق وفق الآتي:

أ- استعمال القصر بالنفي والاستثناء للتعبير عن المعاني التي ينكرها المخاطَب أو يجهلها، وتكون الغاية من استعماله إزالة الإنكار والشكّ من ذهنه، وقد يأتي القصر بهذا الطريق فيما لا يُتصوّر فيه إنكار المخاطَب، فتكون الغاية من القصر زيادة التأكيد والتقرير للخبر، وجعله يقينًا بعيدًا عن أي شكّ أو تردّد، وقد لوحظ استعمال هذا الطريق من القصر في المواقف التي تحتاج إلى الشدّة والحسم.

ب- مجيء القصر بكلمتي (إنَّما) و(أنَّما) لأمر واضح لا يجهله المخاطَب ولا ينكره، أو لِمَا يُفترَض به ذلك، فتكون الغاية من القصر تنبيهه إلى هذا الأمر وتقريره في ذهنه تمهيدًا لأمور أخرى ستأتي بعده، ويُستعمَل القصر بهاتين الكلمتين حينما تحتاج المواقف إلى المعاينة والرفق.

ج- ورود القصر بحرفي العطف (بل، لكن) في الأمر الذي يحتاج إلى توضيح، إذ يُسرَد الأمر أوَّلًا فَيُنَبّه على أهميته وخطورته، وَمِن ثَمَّ يُذكَر حرف العطف والمقصور عليه لتصحيح ما ذُهِب إليه، ويؤتى بهذا الطريق من القصر في مواطن التكذيب والتحسّر.

د- استعمال القصر بتقديم ما حقّه التأخير للتعبير عن جميع المعاني سواء أكانت تلك التي يجهلها المخاطَب أو ينكرها أم كانت تلك التي لا يجهلها أو لا ينكرها، وتكون هذه المعاني في مواضيع الإيمان والربوبية والحساب، فيفيد أسلوب القصر ترسيخ التعلّق والخضوع، وقد ورد القصر بهذا الطريق في مواطن الإهانة والتعظيم.

هـ- اجتماع ضمير الفصل مع تعريف طرفي الإسناد لإفادة القصر بهما معًا، أو افتراقهما لِيكون القصر بالمذكور منهما. ويأتي القصر بأحد هذين الطريقين عند الكلام عن أمر مجهول أو منكَر من قبل المخاطَب، وتكون الغاية منهما تبيين مجهول أو الردّ على إنكار، كما يؤتى بهما أيضًا من دون وجود إنكار. ويُستعمَل القصر بتعريف طرفي الإسناد للحديث عن تفرّد الله بالحكم وإدارة جميع الأمور، وكمال صفاته سبحانه، ولإثبات العقيدة في النفوس، وبعبارة أخرى يُستعمَل طريق القصر هذا للحديث عن فعل لا يصحّ إلَّا من واحد أو صفة لا يتَّصف بها إلّا واحد لا غير، وأمَّا القصر بضمير الفصل فيتميّز من القصر بتعريف طرفي الإسناد بأنَّه يرد في كلّ موضع يحتاج إلى التأكيد ورفع التوهّم، ويُستعمَل في مقامات الرحمة والنقمة.

وبناءً على هذه الملاحظات يمكن القول إنَّ تنوّع طرق القصر الواردة في سور المفصّل كان خدمةً للمعاني المتنوّعة، وليس من قبيل الترادف، فهي وإن اشتركت في معنى القصر إلّا أنَّ بينها فروقًا جوهرية، ولا يَصلُح أنْ يحل واحد منها محل الآخر.

15- قد يجتمع طريقان للقصر معًا في الشاهد الواحد، فإن اتفقا في المعنى كان اجتماعهما أكثر دلالة على الاختصاص ممَّا لو أتى كلّ واحد منهما منفردًا؛ فإذا جاء القصر بتعريف طرفي الإسناد فقط أفاد معنى الاختصاص، بيد أنَّ إضافة ضمير الفصل يضفي على ذلك الاختصاص دقّة وقوّة، وإن كان بينهما تعارض -كأنّ يجتمع القصر بطريق إنّما مع القصر بتقديم ما حقّه التأخير في الجملة الاسمية- فيقدَّم عندئذ الطريق الذي يقتضيه السياق والمقام.

16- تُؤثِّر القرائن -سواء اللفظيَّة أو الحاليَّة أو العقليَّة- في تحديد معاني شواهد القصر وَمِن ثَمَّ في آثار أسلوب القصر بطرقه المختلفة، وأكثر ما يكون ذلك جليًّا في إضافة القصر معنى آخر إليه.

17- يتَّسم أسلوب القصر في سور المفصّل بأثر حِجاجيّ؛ إذ يوجِّه ذهن المخاطَب نحو نتيجة واحدة للكلام دون النظر إلى الاحتمالات المتعددة للجملة الخبريَّة المجرَّدة منه، وبذلك يمكن الوصول إلى التأثير في المخاطَب واستمالته إلى ما يصبو إليه المتكلِّم من أفكار وحقائق.

18- تتضمَّن بعض الآيات أكثر من شاهد للقصر، وتتعاضد هذه الشواهد جميعها للتأثير في المخاطَب وإقناعه بالموضوع المطروح.

وجملة القول إنّ أسلوب القصر يتَّصف بتكثيره للمعاني المستفادة من التركيب اللغويّ، وقد قام بترك آثار جَمّة في تفسير آيات المفصَّل، وترجع وفرة آثاره إلى تنوّع طرقه وما بينها من فروق دقيقة، وكان أثر التأكيد في تفسير المفصَّل أكثر استحواذًا من غيره، وقد استطاع أسلوب القصر تصوير المواقف بما فيها من معانٍ -سواء أكانت مثبَتة أم منفية، معلومة أم مجهولة، شديدة أم لينة، ونحو ذلك- فكانت جمل القصر ذات دلالات قطعية لا محتمَلة.

وبعد دراسة أسلوب القصر في سور المفصَّل يمكن التوصية بالآتي:

1- يلازم معنى القصر الأدوات التي تدلُّ عليه بأصل وضعها، في حين أنَّ للسياق القول الفصل في وجود هذا المعنى بطرق القصر بدلالات كلاميَّة تُفهَم بالفحوى، وَمِن ثَمَّ يوصى باستعمال القصر بالأدوات التي تدلُّ عليه بالوضع اللغويّ في الأحوال التي يُخشَى فيها من الالتباس أو التشويش.

2- يملك أسلوب القصر فعلًا حِجاجيًا ناجعًا في توجيه المخاطَب إلى النتيجة المرادة من قِبَل المتكلِّم، وهذا يشير إلى جدوى استعمال هذا الأسلوب في مجال الدعوة الإسلامية وفي الخطابة؛ فهو من الأساليب الدقيقة والقويّة في التعبير، والبعيدة عن التكلّف.

كما يُقترَح متابعة البحث في تفسير باقي أجزاء القرآن الكريم لِمعرفة آثار أسلوب القصر فيه.

وفي النهاية أسأل الله أنْ يكون عملي خالصاً لوجهه سبحانه، وأنْ ينفع به في الدنيا والآخرة، ما كان به من صواب فَمِن العليم وبفضله، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، أسأله تعالى أنْ يعاملني بما هو أهله –هو أهل التقوى وأهل المغفرة– والحمد لله ربّ العالمين.

المصادر والمراجع

1- الكتب:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1. الإبهاج في شرح المنهاج (منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي المتوفى سنة 685هـ)، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي (المتوفى: 756 هـ) وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب (المتوفى: 771 هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية، 1416هـ / 1995م.

2. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطيّ (المتوفى: 911هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ / 1974م.

3. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء)، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1414هـ / 1993م.

4. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (المتوفى: 982هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

5. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر، جار الله الزمخشري (المتوفى: 538هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1419هـ / 1998م.

6. أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، صبَّاح عبيد دراز، مصر: مطبعة الأمانة، الطبعة الأولى، 1406هـ / 1986م.

7. أساليب بلاغية، الفصاحة البلاغة المعاني، أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي، الكويت: وكالة المطبوعات، الطبعة الأولى، 1980م.

8. أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تحقيق عصام بن عبد المحسن الحميدان، الدمام: دار الإصلاح، الطبعة الثانية، 1412هـ / 1992م.

9. أسد الغابة، علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري، ابن الأثير (ت: 630هـ)، بيروت، دار الفكر، 1409هـ / 1989م.

10. الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1415هـ.

11. الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي (المتوفى: 943 هـ)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية.

12. إعراب القرآن الكريم، أحمد عبيد الدعاس وأحمد محمد حميدان وإسماعيل محمود القاسم، دمشق: دار المنير ودار الفارابي، الطبعة الأولى، 1425هـ.

13. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، 2002م.

14. الأقصى القريب في علم البيان، زين الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمر التنوخي (المتوفى: في القرن السابع الهجري)، القاهرة: مكتبة محمد أمين الخانجي، الطبعة الأولى، 1327هـ.

15. الإكليل في استنباط التنزيل، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تحقيق سيف الدين عبد القادر الكاتب، بيروت: دار الكتب العلمية، 1401هـ / 1981م.

16. الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو 400هـ)، بيروت: المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، 1424هـ.

17. الإنجاز العلمي العربي وتأثيره على النهضة الأوروبية، اكتشافات ابن النفيس علاء الدين أبي الحَزْم القَرْشي المتوفى سنة 687هـ، محمّد سعيد تكروري وميزر محمّد الخلف، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الأولى، 1424هـ / 2003م.

18. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، 1418هـ.

19. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: 761هـ)، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر.

20. الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: 739هـ)، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت: دار الجيل، الطبعة الثالثة.

21. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، تحقيق صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر، 1420هـ.

22. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق علي شيري، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، 1408هـ / 1988م.

23. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، بيروت: دار المعرفة.

24. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة – القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: 1403هـ)، بيروت: دار الكتاب العربي.

25. البديع في البديع، أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (المتوفى: 296هـ)، دار الجيل، الطبعة الأولى، 1410هـ - 1990م.

26. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشيّ (المتوفى: 794هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، 1376هـ / 1957م.

27. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي (المتوفى: 1391هـ)، القاهرة: مكتبة الآداب، الطبعة السابعة عشر، 1426هـ / 2005م.

28. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، صيدا (لبنان): المكتبة العصرية.

29. البلاغة العربية من منابعها، علم المعاني، محمد هيثم غرَّة، دمشق: دار البشائر، الطبعة الأولى، 1420هـ / 1999م.

30. البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: 1425هـ)، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، الطبعة الأولى، 1416هـ / 1996م.

31. البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، فضل حسن عباس (1432هـ)، إربد (الأردن): دار الفرقان، الطَّبعة الرابعة، 1417هـ / 1997م.

32. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.

33. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، تحقيق بشار عوّاد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 2003م.

34. تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (المتوفى: 442هـ)، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة: دار هجر، الطبعة الثانية، 1412هـ / 1992م.

35. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، تونس: الدار التونسية، 1984م.

36. التدرّج في دعوة النبي صلَّى الله عليه وسلَّم، إبراهيم بن عبد الله المطلق، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد: مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، 1417هـ / 1997م.

37. الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك، أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب بن أزداذ البغدادي المعروف بـ ابن شاهين (المتوفى: 385هـ)، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1424هـ / 2004م.

38. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ)، تحقيق عبد الله الخالدي، بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الأولى، 1416هـ.

39. التصريح بمضمون التوضيح في النحو (شرح التصريح على التوضيح)، خالد بن عبد الله بن أبي بكر الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، المعروف بالوقّاد (المتوفى: 905هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1421هـ / 2000م.

40. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1403هـ / 1983م.

41. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية، 1420هـ - 1999م.

42. تقويم اللسان، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597 هـ)، تحقيق عبد العزيز مطر، دار المعارف، الطبعة الثانية، 2006 م.

43. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1387هـ.

44. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (المتوفى: 370هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، 2001م.

45. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، القاهرة: عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1410هـ / 1990م.

46. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ / 2000م.

47. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاريّ)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (المتوفى: 256هـ)، تحقيق محمد زهير الناصر، بيروت: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422هـ.

48. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، 1384هـ / 1964م.

49. الجملة العربية والمعنى، فاضل صالح السامرائيّ، بيروت: دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1421هـ / 2000م.

50. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: 1362هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، بيروت: المكتبة العصرية.

51. حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (المتوفى: 792 هـ)، محمد بن عرفة الدسوقي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، بيروت: المكتبة العصرية.

52. حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، حسن بن محمَّد بن محمود العطار (المتوفى: 1250هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية.

53. الحِجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، بيروت: دار الفارابي، الطبعة الثانية، 2007م.

54. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني (المتوفى: 430هـ)، مصر: دار السعادة، 1394هـ / 1974م.

55. خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله، ابن حجّة الحموي (المتوفى: 837هـ)، تحقيق عصام شقيو، بيروت: دار الهلال، 2004م.

56. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى سنة 911هـ)، بيروت: دار الفكر، 1993م.

57. دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، أحمد درويش، القاهرة، مصر: دار غريب.

58. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، صيدر اباد، الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثانية، 1392هـ / 1972م.

59. دلالات التراكيب دراسة بلاغية، محمد أبو موسى (المتوفى: 1424هـ)، القاهرة: مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، 1408هـ / 1987م.

60. دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ)، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة – جدة: دار المدني، الطبعة الثالثة، 1413هـ / 1992م.

61. ديوان الخنساء، تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد السلمي (المتوفاة: 24 هـ)، شرح معانيه ومفرداته حمدو طمَّاس، بيروت: دار المعرفة، الطبعة الثانية، 1425هـ / 2004م.

62. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (المتوفى: 703 هـ)، تحقيق إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد معروف، تونس: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 2012م.

63. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (المتوفى: 1270هـ)، تحقيق علي عبد الباري عطية، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1415هـ.

64. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، بيروت: مؤسسة الرسالة، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة السابعة والعشرون، 1415هـ / 1994م.

65. السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: 324هـ)، تحقيق شوقي ضيف، مصر: دار المعارف، الطبعة الثانية، 1400هـ.

66. السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ (المتوفى: 911هـ) ومحمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي الأشقودري الألبانيّ (المتوفى: 1420هـ)، رتَّبه وعلق عليه عصام موسى هادي، السعودية: دار الصديق، الطبعة الثالثة، 1430هـ / 2009م.

67. سلم الوصول إلى طبقات الفحول، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بحاجي خليفة (المتوفى: 1067 هـ)، تحقيق محمود عبد القادر الأرناؤوط، إستانبول: مكتبة إرسيكا، 2010م.

68. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينيّ (المتوفى: 273هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ومحمَّد كامل قره بللي وعَبد اللّطيف حرز الله، بيروت: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، 1430هـ / 2009 م.

69. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتانيّ (المتوفى: 275هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمَّد كامل قره بللي، بيروت: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، 1430هـ / 2009م.

70. سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي (المتوفى: 279هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، 1395هـ / 1975م.

71. سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي الدارقطني (المتوفى: 385هـ)، تحقيق شعيب الارنؤوط وحسن عبد المنعم شلبي وعبد اللطيف حرز الله وأحمد برهوم، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1424هـ / 2004م.

72. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، وإشراف شعيب الأرناؤوط، وتقديم عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421هـ / 2001م.

73. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : 748هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405هـ / 1985م.

74. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى، نور الدين الأُشْمُوني (المتوفى: 900هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1419هـ / 1998م.

75. شرح الكافية الشافية، أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني (المتوفى: 672هـ)، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى.

76. شرح المفصّل للزمخشري، أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: 643هـ)، قدم له إميل بديع يعقوب، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1422هـ / 2001م.

77. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: 761هـ)، تحقيق عبد الغني الدقر، سوريا: الشركة المتحدة.

78. شرح كافية ابن الحاجب، الرضي الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن السمنائي النجفي (المتوفى: 686 هـ)، استانبول: شركة الصحافة العثمانية، 1311هـ.

79. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراسانيّ، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد، إشراف مختار أحمد الندوي، الرياض: مكتبة الرشد، بومباي (الهند): الدار السلفية، الطبعة الأولى، 1423هـ / 2003م.

80. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، بيروت: دار الجيل.

81. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: 902هـ)، بيروت: دار مكتبة الحياة.

82. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: 745هـ)، بيروت: المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، 1423هـ.

83. عبد الرحمن حبنكة الميداني العالم المفكر المفسّر، عائدة راغب الجرّاح (المتوفاة: 1423هـ)، دمشق: دار القلم، الطبعة الأولى، 1422هـ / 2001م.

84. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفى: 773هـ)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، بيروت: المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، 1423هـ / 2003م.

85. علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح فيود، (المتوفى: 1408هـ)، القاهرة: مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، 1406هـ / 1985م.

86. علم المعاني، عبد العزيز عتيق (المتوفى: 1396هـ)، بيروت: دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، 1430هـ / 2009م.

87. عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي (حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي)، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: 1069هـ)، بيروت: دار صادر.

88. الغريبين في القرآن والحديث، أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفى 401 هـ)، تحقيق أحمد فريد المزيدي، قدَّم له وراجعه فتحي حجازي، المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى، 1419هـ / 1999م.

89. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلانيّ الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصحَّحه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب، عليه تعليقات عبد العزيز بن عبد الله بن باز، بيروت: دار المعرفة، 1379هـ.

90. الفردوس بمأثور الخطاب، شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني (المتوفى: 509هـ)، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1406هـ / 1986م.

91. فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، أبو عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس بن يسار الضريس البجلي الرازيّ (المتوفى: 294هـ)، تحقيق غزوة بدير، دمشق: دار الفكر، الطبعة الأولى، 1408هـ / 1987م.

92. فضائل القرآن، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصريّ ثم الدمشقيّ (المتوفى: 774هـ)، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى، 1416هـ.

93. فقه الإسلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، عبد القادر شيبة الحمد، المدينة المنورة: مطابع الرشيد، الطبعة الأولى، 1402هـ / 1982م.

94. فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: 764هـ)، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر، الطبعة الأولى، الجزء 1 عام 1973م، الجزء: 2، و3، و4 عام 1974م.

95. في نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبيق، خليل احمد عمايرة، جدة: عالم المعرفة، الطبعة الأولى، 1404هـ / 1984م.

96. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسُوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، 1426هـ / 2005م.

97. قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهِجراني الحضرمي الشافعي (870 - 947 هـ)، عُني به بو جمعة مكري وخالد زواري، جدة: دار المنهاج، الطبعة الأولى، 1428هـ / 2008م.

98. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (مصنف ابن أبي شيبة)، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: 235هـ)، تحقيق كمال يوسف الحوت، الرياض: مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، 1409هـ.

99. الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: 180هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، 1408هـ / 1988م.

100. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمر، جار الله الزمخشري (المتوفى: 538هـ)، بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، 1407هـ.

101. الكلِّيات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة.

102. الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين محمد بن محمد الغزي (المتوفى: 1061هـ)، تحقيق خليل المنصور، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1418هـ / 1997م.

103. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، بيروت: دار صادر، الطبعة الثالثة، 1414هـ.

104. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله بن محمد، ضياء الدين بن الأثير (المتوفى: 637هـ)، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القاهرة: دار نهضة مصر.

105. المجتبى من مشكل إعراب القرآن، أبو بلال أحمد بن محمد الخرّاط، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1426 هـ.

106. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ)، تحقيق حسام الدين القدسي، القاهرة: مكتبة القدسي، 1414هـ / 1994م.

107. مختصر المعاني (مختصر لشرح تلخيص المفتاح)، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (المتوفى: 793هـ)، قم: دار الفكر، الطبعة الأولى، 1411هـ.

108. مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع، ابن خَالوَيْه، تحقيق جوتهلف برجشتراسر، القاهرة: مكتبة المتنبي.

109. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ)، تحقيق يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له محيي الدين ديب مستو، بيروت: دار الكلم الطيب، الطبعة الأولى، 1419هـ/ 1998م.

110. المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان، حلب: دار عالم القرآن، الطبعة الأولى، 1426هـ / 2005م.

111. مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (المتوفى: 204هـ)، تحقيق محمد بن عبد المحسن التركي، مصر: دار هجر، الطبعة الأولى، 1419هـ / 1999م.

112. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421هـ / 2001م.

113. مسند الدارمي (سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقنديّ (المتوفى: 255هـ)، تحقيق حسين سليم أسد الداراني، المملكة العربية السعودية: دار المغني، الطبعة الأولى، 1412هـ / 2000م.

114. مسند الشاميين، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخميّ الشاميّ، أبو القاسم الطبرانيّ (المتوفى: 360هـ)، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1405هـ / 1984م.

115. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوريّ (المتوفى: 261هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

116. مصطلحات في كتب العقائد، محمد بن إبراهيم الحمد، الرياض: دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى.

117. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: 207هـ)، تحقيق أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، مصر: دار المصرية، الطبعة الأولى.

118. معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، الأردن: دار الفكر، الطبعة الأولى، 1420هـ / 2000م.

119. معجم القواعد العربية في النحو والتصريف، عبد الغني بن علي الدقر (المتوفى: 1423هـ)، دمشق: دار القلم، الطبعة الأولى، 1406هـ / 1986م.

120. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب اللخميّ الشاميّ، أبو القاسم الطبرانيّ (المتوفى: 360هـ)، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.

121. معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية، الطبعة الثالثة، 1409هـ / 1988م.

122. المعجم المفصَّل في النحو العربي، عزيزة فوال بابتي، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1413هـ / 1992م.

123. المعجم الميسر في القواعد والبلاغة والإنشاء والعروض، محمد أمين صناوي، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1420هـ / 1999م.

124. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار)، الاسكندرية: دار الدعوة.

125. المعنى في البلاغة العربية، حسن طبل، القاهرة: دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، 1418هـ / 1998م.

126. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: 761هـ)، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دمشق: دار الفكر، الطبعة السادسة، 1985م.

127. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، 1420هـ.

128. مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي (المتوفى: 626هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1407هـ / 1987م.

129. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، الطبعة الأولى، 1412هـ.

130. المفصَّل في علوم اللغة العربية (المعاني، البيان، البديع)، عيسى علي العاكوب، منشورات جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1421هـ / 2000م.

131. مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (المتوفى: 395هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر، 1399هـ / 1979م.

132. المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرّد (المتوفى: 285هـ)، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، بيروت: عالم الكتب.

133. الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: 548هـ)، مؤسسة الحلبي.

134. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: 1367هـ)، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.

135. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، 1392هـ.

136. مواهب الفتَّاح في شرح تلخيص المفتاح، أبو العباس أحمد بن محمد بن يعقوب الولالي المغربي (المتوفى: 1128هـ)، تحقيق خليل إبراهيم خليل، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1424هـ / 2003م.

137. موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر، أحمد معمور العسيري، الطبعة الأولى، 1417هـ / 1996م.

138. النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833 هـ)، تحقيق علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.

139. نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، حسن خميس الملخ، عَمَّان: دار الشروق، الطبعة الأولى، 2001م.

140. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

141. نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: 733هـ)، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة الأولى، 1423هـ.

142. الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا ومحيي الدين ديب مستو، دمشق: دار الكلم الطيب، الطبعة الثانية، 1418هـ / 1998م.

143. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: 764هـ)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث، 1420هـ / 2000م.

144. الوجوه والنظائر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، تحقيق محمد عثمان، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، 1428هـ / 2007م.

145.الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وأحمد محمد صيرة وأحمد عبد الغني الجمل وعبد الرحمن عويس، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1415هـ / 1994م.

146.وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر، الطبعة الأولى، 1994م.

2- الرسائل الجامعية:

1. الاستثناء ومعالمه بين القاعدة النحوية والواقع الاستعمالي من خلال معلقات العرب العشر: دراسة إحصائية دلالية استعمالية، خالد صالح الشراري، رسالة دكتوراة، جامعة مؤتة- عمادة الدراسات العليا: قسم اللغة العربية، 2011م، الأردن.

2. أسلوب القصر في القرآن الكريم، البنية والوظيفة، صافي الدين لعبابسة، رسالة ماجستير، جامعة سطيف الثانية- كليَّة الآداب واللغات: قسم اللغة والأدب العربيّ، 2014م، الجزائر.

3. أسلوب القصر في سورة النساء وطريقة تدريسه، دراسة تحليليَّة بلاغيَّة، سرلي زهيرية، بحث جامعيّ، جامعة شريف هداية الله الإسلاميَّة الحكوميَّة- كلية التربية: قسم تعليم اللغة العربيَّة، 1432هـ /2011م، أندونيسيا.

4. أسلوب القصر وأنواعه في اللغة العربية، دراسة تطبيقية في سورتي البقرة وآل عمران، منى محمد علي محمد أحمد، رسالة ماجستير، جامعة الجزيرة- كليَّة العلوم التربويَّة: قسم اللغة العربيَّة والدراسات الإسلاميَّة، 2018م، السودان.

5. أسلوب القصر وبلاغته، دراسة تطبيقيَّة في سورة آل عمران، سوسن محمَّد عثمان جابر، رسالة ماجستير، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا- كليَّة اللغات: قسم اللغة العربيَّة، 2007م، السودان.

فهرس الشواهد القرآنية

الشاهد	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾	ق	15	121
﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾	ق	20	195
﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾	ق	27	118
﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾	ق	45	196
﴿مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	الذاريات	56	43
﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾	الطور	28	222
﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾	الطور	42	226
﴿لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾	النجم	24	151
﴿لَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾	النجم	29	41
﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾	النجم	30	192
﴿إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾	النجم	42	153
﴿أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾	النجم	43	221
﴿أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾	القمر	25	124
﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾	الرحمن	33	46
﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾	الواقعة	11	185
﴿هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	الحديد	1	203
﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	الحديد	2	163
﴿إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾	الحديد	5	165
﴿لِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	الحديد	10	169
﴿أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾	الحديد	19	238
﴿أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾	الحديد	20	103
﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾	الحديد	20	171
﴿مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾	الحديد	20	65
﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾	الحديد	22	63
﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾	الحديد	22	161
﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾	الحديد	27	67
﴿إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾	المجادلة	2	76
﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾	المجادلة	7	69
﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾	المجادلة	10	105
﴿لَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾	المجادلة	10	71
﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾	المجادلة	18	232
﴿إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾	المجادلة	19	235

الشاهد	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾	الحشر	2	204
﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾	الحشر	8	231
﴿إِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾	الممتحنة	4	166
﴿إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾	الممتحنة	5	234
﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ﴾	الممتحنة	9	98
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾	الصف	9	209
﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾	الصف	12	206
﴿لِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	المنافقون	7	159
﴿لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾	المنافقون	8	158
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾	التغابن	2	200
﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾	التغابن	9	207
﴿فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾	التغابن	12	100
﴿عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾	التغابن	13	167
﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾	التغابن	15	102
﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾	الطلاق	7	73
﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾	الملك	6	138
﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾	الملك	9	35
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾	الملك	15	187
﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾	الملك	20	59
﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾	الملك	26	91
﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾	الملك	27	190
﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾	الملك	29	145
﴿إِنَّا لَضَالُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾	القلم	27، 26	120
﴿مَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾	القلم	52	52
﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾	الحاقة	35	146
﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾	الحاقة	37	58
﴿لَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾	نوح	28	61
﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾	الجن	27، 26	49
﴿رَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾	المدثر	3	141
﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾	المدثر	24	47
﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾	المدثر	56	189
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾	الإنسان	23	228
﴿مَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾	الإنسان	30	37
﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾	النازعات	13	94
﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾	النازعات	41	229

الشاهد	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾	النازعات	44	143
﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾	النازعات	45	92
﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾	النازعات	46	39
﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ... كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾	الانفطار	8، 9	116
﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾	المطففين	12، 13	56
﴿عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾	المطففين	15	154
﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾	المطففين	34	139
﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾	البروج	11	194
﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾	الغاشية	21	96
﴿إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾	الغاشية	26	147
﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾	البلد	18	198
﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾	الليل	17- 20	54
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾	القدر	1	155
﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾	القدر	5	136
﴿مَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾	البينة	4	75
﴿ذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾	البينة	5	201
﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾	البينة	7	237
﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾	الكوثر	3	224
﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾	الكافرون	6	149
﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾	الإخلاص	2	183

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الصفحة
«أُعطِيتُ مكانَ التَّوراةِ السَّبْعَ...»	20
«أَيَعْجِزُ أحدُكُمْ أنْ يقرأَ في ليلةٍ...»	184
«فَتَّانٌ، فَتَّانٌ، فَتَّانٌ»	21
«قدْ كانَ يكونُ في الأُممِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثونَ...»	51
«كَتَبَ اللهُ مقاديرَ الخلائقِ قَبْلَ ...»	65
«لا يَحِلُّ لِامرأةٍ تَسألُ طلاقَ أختِهَا...»	152
«مَفَاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ...»	92
«مَنْ قامَ ليلةَ القَدْرِ إيمانًا وَاحتسابًا...»	137
«وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»	68
«يا غلامُ إنِّي أُعَلِّمُكَ كلماتٍ...»	72

فهرس الآثار

طرف الأثر	اسم الصحابي أو التابعي	الصفحة
"أَتَتْنِي أُمِّي رَاغِبَةً..."	أسماء بنت أبي بكر	99
"إنَّ لِكلِّ شيءٍ سَنامًا..."	عبد الله بن مسعود	21
"فَسَألْنا أصحابَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وَسلَّمَ..."	أوس بن حذيفة	20

فهرس الأعلام

اسم العلم	الصفحة
ابن الأثير	132، 135
ابن النفيس	132
ابن جُزَيّ	19
ابن عاشور	36، 77، 123، 192، 220
ابن عيينة	99
أبو بكر الصدّيق	55
أبو حيَّان	19، 35، 87، 88
أسماء بنت أبي بكر الصدّيق	99
الأشعري	39
أوس بن حذيفة	20
بهاء الدين السُّبْكي	18
البيضاوي	88
التَّفْتَازَانِي	27
جلال الدين السيوطي	17، 23، 29، 132، 135
الخطيب القزويني	14، 28، 134
الخَنْسَاء	181
الزَّرْكَشِي	19
الزمخشري	88، 218
زيد بن ثابت	114
سراج الدين السكاكي	13، 14، 17، 18، 24، 27، 28، 113، 132، 133، 134
سِيبَوَيْه	14
الشريف الجُرْجَاني	15
صاحب الفلك الدائر	132
عبد الرحمن حَبَنَّكَة	26
عبد القاهر الجُرْجَاني	13
عبد الله بن عمر بن الخطاب	92
عبد الله بن مسعود	21
معاذ بن جبل	21
الوليد بن المغيرة	48

فهرس المصطلحات

المصطلح	الصفحة
الاتّحاد	71
الاستغراق	61
الأسلوب الحكيم	92
الإسناد	23
الاشتغال	135
الإضراب	114
البَداء	162
التضمين	49
التعريض	90
الحال	13
الحِجاج	43
الحُلُول	71
السياق	43
العامل	32
العدول البلاغيّ	228
فحوى الكلام	23
القرائن	23
الكناية	45
المسند	130
المسند إليه	130
المعمول	131
المقابلة	141
المقام	16
وحدة الوجود	71

فهرس الأشعار

البيت	اسم الشاعر	الصفحة
إذا قَبُحَ البكاءُ على قتيلٍ ... رأيتُ بكاءَكَ الحسَنَ الجميلا	الخنساء	181

فهرس الجداول

اسم الجدول	الصفحة
الجدول رقم (1)؛ أثر أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة	79
الجدول رقم (2)؛ أثر أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة	82
الجدول رقم (3)؛ عدد شواهد القصر بالنفي والاستثناء في سور المفصَّل	84
الجدول رقم (4)؛ آثار القصر بالنفي والاستثناء في تفسير المكيّ والمدنيّ من آيات المفصّل	84
الجدول رقم (5)؛ آثار القصر بالنفي والاستثناء في تفسير المكيّ أو المدنيّ من آيات المفصّل	84
الجدول رقم (6)؛ أثر أسلوب القصر بكلمتي (إنَّما) و(أنَّما) في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة	107
الجدول رقم (7)؛ أثر أسلوب القصر بكلمتي (إنَّما) و(أنَّما) في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة	108
الجدول رقم (8)؛ عدد شواهد القصر بكلمتي (إنَّما) و(أنَّما) في سور المفصَّل	109
الجدول رقم (9)؛ آثار القصر بكلمتي (إنَّما) و(أنَّما) في تفسير المكيّ والمدنيّ من آيات المفصّل	109
الجدول رقم (10)؛ آثار القصر بكلمتي (إنَّما) و(أنَّما) في تفسير المكيّ أو المدنيّ من آيات المفصّل	109
الجدول رقم (11)؛ أثر أسلوب القصر بحروف العطف (لا، بل، لكن) في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة	126
الجدول رقم (12)؛ عدد شواهد القصر بحرفي العطف (بل، لكن) في آيات المفصَّل المكيَّة	127
الجدول رقم (13)؛ أثر أسلوب القصر بتقديم ما حقّه التأخير في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة	173
الجدول رقم (14)؛ أثر أسلوب القصر بتقديم ما حقّه التأخير في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة	175
الجدول رقم (15)؛ عدد شواهد القصر بتقديم ما حقّه التأخير في سور المفصَّل	177
الجدول رقم (16)؛ آثار القصر بتقديم ما حقّه التأخير في تفسير المكيّ والمدنيّ من آيات المفصّل	177
الجدول رقم (17)؛ آثار القصر بتقديم ما حقّه التأخير في تفسير المكيّ أو المدنيّ من آيات المفصّل	177
الجدول رقم (18)؛ أثر أسلوب القصر بتعريف طرفي الإسناد في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة	211
الجدول رقم (19)؛ أثر أسلوب القصر بتعريف طرفي الإسناد في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة	213
الجدول رقم (20)؛ عدد شواهد القصر بتعريف طرفي الإسناد في سور المفصَّل	214
الجدول رقم (21)؛ آثار القصر بتعريف طرفي الإسناد في تفسير المكيّ والمدنيّ من آيات المفصّل	214
الجدول رقم (22)؛ آثار القصر بتعريف طرفي الإسناد في تفسير المكيّ أو المدنيّ من آيات المفصّل	214
الجدول رقم (23)؛ أثر أسلوب القصر بإضافة ضمير الفصل في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة	241
الجدول رقم (24)؛ أثر أسلوب القصر بإضافة ضمير الفصل في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة	243
الجدول رقم (25)؛ عدد شواهد القصر بإضافة ضمير الفصل في سور المفصَّل	244
الجدول رقم (26)؛ آثار القصر بضمير الفصل في تفسير المكيّ والمدنيّ من آيات المفصّل	244
الجدول رقم (27)؛ آثار القصر بضمير الفصل في تفسير المكيّ أو المدنيّ من آيات المفصّل	244

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الغلاف	أ
شكر وتقدير	ب
إهـداء	ج
المستخلَص	د
المقدّمة	**11-1**
أوّلًا- مشكلة البحث	2
ثانيًا- أهداف البحث	2
ثالثًا- أهميّة البحث	3
رابعًا- مبررات البحث	3
خامسًا- حدود البحث	3
سادسًا- الدراسات السابقة	4
سابعًا- منهج البحث	6
ثامنًا-الإجراءات المتّبعة في البحث	7
تاسعًا- خطة البحث	10
عاشرًا- الصعوبات	11
المدخل	**29-12**
توطئة	13
أوّلًا- تعاريف متعلّقة بالبحث	14
ثانيًا- أركان القصر	22
ثالثًا- طرق القصر	22
رابعًا- أنواع القصر	24
خامسًا- المكيّ والمدنيّ من سور المفصَّل	28
الفصل الأول: أثر أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في تفسير آيات المفصَّل	**85-30**
تمهيد	31
المبحث الأول: أثر أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة	35
المطلب الأول: بيان المعنى:	35
الفرع الأول: الإظهار.	35
الفرع الثاني: الإعلام والتنبيه.	37
الفرع الثالث: الإثبات.	39
المطلب الثاني: تعزيز المعنى:	41
الفرع الأول: التأكيد.	41
الفرع الثاني: التعليل.	43

الموضوع	الصفحة
المطلب الثالث: إضافة معنى جديد:	46
الفرع الأول: التأييس.	46
الفرع الثاني: التهكم والاستهزاء.	47
الفرع الثالث: الإنكار والإبطال.	49
الفرع الرابع: الإكرام والإعلاء.	52
الفرع الخامس: التكذيب.	54
الفرع السادس: الترهيب.	56
الفرع السابع: الإذلال والتحقير.	58
الفرع الثامن: الذمّ والتوبيخ.	59
الفرع التاسع: الحرص.	61
المبحث الثاني: أثر أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة	63
المطلب الأول: بيان المعنى:	63
الفرع الأول: الإثبات.	63
الفرع الثاني: الإعلام والتنبيه.	65
المطلب الثاني: تعزيز المعنى:	67
الفرع الأول: التعليل.	67
المطلب الثالث: إضافة معنى جديد:	69
الفرع الأول: التعريض.	69
الفرع الثاني: التسلية.	71
الفرع الثالث: الترغيب والتشجيع.	73
الفرع الرابع: الذمّ والتوبيخ.	75
الفرع الخامس: الإنكار والإبطال.	76
المبحث الثالث: عرض النتائج وتحليلها	79
المطلب الأول: نتائج استقراء أثر القصر بالنفي والاستثناء في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة	79
المطلب الثاني: نتائج استقراء أثر القصر بالنفي والاستثناء في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة	82
المطلب الثالث: تحليل النتائج	83
خلاصة	85
الفصل الثاني: أثر أسلوب القصر بكلمتي (إنَّما) و(أَنَّما) في تفسير آيات المفصَّل	**110-86**
تمهيد	87
المبحث الأول: أثر أسلوب القصر بكلمتي (إنَّما) و(أَنَّما) في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة	91
المطلب الأول: بيان المعنى:	91
الفرع الأول: الإظهار.	91
الفرع الثاني: الإعلام والتنبيه.	92
المطلب الثاني: تعزيز المعنى:	94
الفرع الأول: التأكيد.	94

الموضوع	الصفحة
المطلب الثالث: إضافة معنى جديد:	96
الفرع الأول: التسلية.	96
المبحث الثاني: أثر أسلوب القصر بكلمتي (إنَّما) و(أنَّما) في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة	98
المطلب الأول: بيان المعنى:	98
الفرع الأول: الإظهار.	98
الفرع الثاني: الإعلام والتنبيه.	100
المطلب الثاني: إضافة معنى جديد:	102
الفرع الأول: الترهيب.	102
الفرع الثاني: التحقير.	103
الفرع الثالث: التسلية.	105
المبحث الثالث: عرض النتائج وتحليلها	107
المطلب الأول: نتائج استقراء أثر القصر بكلمتي (إنَّما) و(أنَّما) في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة	107
المطلب الثاني: نتائج استقراء أثر القصر بكلمتي (إنَّما) و(أنَّما) في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة	108
المطلب الثالث: تحليل النتائج	108
خلاصة	109
الفصل الثالث: أثر أسلوب القصر بحروف العطف: (لا، بل، لكن) في تفسير آيات المفصَّل	**128-111**
تمهيد	112
المبحث الأول: أثر أسلوب القصر بحروف العطف: (لا، بل، لكن) في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة	116
المطلب الأول: بيان المعنى:	116
الفرع الأول: الإظهار.	116
المطلب الثاني: تعزيز المعنى.	118
الفرع الأول: التأكيد.	118
المطلب الثالث: إضافة معنى جديد:	120
الفرع الأول: التحسّر والندم.	120
الفرع الثاني: الذمّ والتوبيخ.	121
الفرع الثالث: الإنكار والإبطال.	124
المبحث الثاني: عرض النتائج وتحليلها	126
المطلب الأول: نتائج استقراء أثر القصر بحروف العطف (لا، بل، لكن) في تفسير آيات المفصَّل	126
المطلب الثاني: تحليل النتائج	127
خلاصة	127
الفصل الرابع: أثر أسلوب القصر بتقديم ما حقّه التأخير في تفسير آيات المفصَّل	**178-129**
تمهيد	130
المبحث الأول: أثر أسلوب القصر بتقديم ما حقّه التأخير في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة	136
المطلب الأول: بيان المعنى:	136
الفرع الأول: الإظهار.	136

الموضوع	الصفحة
الفرع الثاني: الإثبات.	138
الفرع الثالث: الإعلام والتنبيه.	139
المطلب الثاني: تعزيز المعنى:	141
الفرع الأول: التأكيد.	141
الفرع الثاني: التعليل.	143
المطلب الثالث: إضافة معنى جديد:	145
الفرع الأول: التعريض.	145
الفرع الثاني: التأييس.	146
الفرع الثالث: الترهيب.	147
الفرع الرابع: التبرؤ.	149
الفرع الخامس: التأديب والترويض.	151
الفرع السادس: التسلية.	153
الفرع السابع: الإذلال والتحقير.	154
الفرع الثامن: الإكرام والإعلاء.	155
المبحث الثاني: أثر أسلوب القصر بتقديم ما حقّه التأخير في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة	158
المطلب الأول: بيان المعنى:	158
الفرع الأول: الإثبات.	158
الفرع الثاني: الإعلام والتنبيه.	159
المطلب الثاني: تعزيز المعنى:	161
الفرع الأول: التأكيد.	161
الفرع الثاني: التعليل.	163
المطلب الثالث: إضافة معنى جديد:	165
الفرع الأول: التعريض.	165
الفرع الثاني: الالتجاء.	166
الفرع الثالث: تثبيت النفوس.	167
الفرع الرابع: الحثّ.	169
الفرع الخامس: التعظيم.	171
المبحث الثالث: عرض النتائج وتحليلها	173
المطلب الأول: نتائج استقراء أثر القصر بتقديم ما حقّه التأخير في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة	173
المطلب الثاني: نتائج استقراء أثر القصر بتقديم ما حقّه التأخير في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة	175
المطلب الثالث: تحليل النتائج	176
خلاصة	178
الفصل الخامس: أثر أسلوب القصر بتعريف طرفي الإسناد في تفسير آيات المفصَّل	**215-179**
تمهيد	180
المبحث الأول: أثر أسلوب القصر بتعريف طرفي الإسناد في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة	183

الموضوع	الصفحة
المطلب الأول: بيان المعنى:	183
الفرع الأول: الإثبات.	183
الفرع الثاني: الإظهار.	185
المطلب الثاني: تعزيز المعنى:	187
الفرع الأول: التذكير.	187
الفرع الثاني: التعليل.	189
المطلب الثالث: إضافة معنى جديد:	190
الفرع الأول: التوبيخ.	190
الفرع الثاني: التعريض.	192
الفرع الثالث: التعظيم.	194
الفرع الرابع: الترهيب.	195
الفرع الخامس: التسلية.	196
الفرع السادس: الترغيب.	198
المبحث الثاني: أثر أسلوب القصر بتعريف طرفي الإسناد في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة	200
المطلب الأول: بيان المعنى:	200
الفرع الأول: الإظهار.	200
الفرع الثاني: الإثبات.	201
المطلب الثاني: تعزيز المعنى:	203
الفرع الأول: التعليل.	203
الفرع الثاني: التذكير.	204
المطلب الثالث: إضافة معنى جديد:	206
الفرع الأول: التعظيم.	206
الفرع الثاني: الترهيب.	207
الفرع الثالث: التحدي.	209
المبحث الثالث: عرض النتائج وتحليلها	211
المطلب الأول: نتائج استقراء أثر القصر بتعريف طرفي الإسناد في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة	211
المطلب الثاني: نتائج استقراء أثر القصر بتعريف طرفي الإسناد في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة	212
المطلب الثالث: تحليل النتائج	214
خلاصة	215
الفصل السادس: أثر أسلوب القصر بضمير الفصل في تفسير آيات المفصَّل	**245-216**
تمهيد	217
المبحث الأول: أثر أسلوب القصر بضمير الفصل في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة	221
المطلب الأول: تعزيز المعنى:	221
الفرع الأول: التأكيد.	221
الفرع الثاني: التعليل.	222

الموضوع	الصفحة
المطلب الثاني: إضافة معنى جديد:	224
الفرع الأول: الإنكار والإبطال.	224
الفرع الثاني: الترهيب.	226
الفرع الثالث: التعريض والتثبيت.	228
الفرع الرابع: الترغيب.	229
المبحث الثاني: أثر أسلوب القصر بضمير الفصل في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة	231
المطلب الأول: بيان المعنى:	231
الفرع الأول: الإثبات.	231
المطلب الثاني: تعزيز المعنى:	232
الفرع الأول: التأكيد.	232
الفرع الثاني: التعليل.	234
المطلب الثالث: إضافة معنى جديد:	235
الفرع الأول: الترهيب.	235
الفرع الثاني: الترغيب.	237
الفرع الثالث: الإنكار والإبطال.	238
المبحث الثالث: عرض النتائج وتحليلها	241
المطلب الأول: نتائج استقراء أثر القصر بضمير الفصل في تفسير آيات المفصَّل المكيَّة	241
المطلب الثاني: نتائج استقراء أثر القصر بضمير الفصل في تفسير آيات المفصَّل المدنيَّة	242
المطلب الثالث: تحليل النتائج	244
خلاصة	245
الخاتِمة	246
المصادر والمراجع	253
فهرس الشواهد القرآنية	270
فهرس الأحاديث النبوية	273
فهرس الآثار	273
فهرس الأعلام	274
فهرس المصطلحات	275
فهرس الأشعار	275
فهرس الجداول	276
فهرس المحتويات	277
Abstract	i

The Effect of Restriction Style on Interpretation:

An Applied Study in al-Mufassal Surahs

Prepared by Fehmieh Rafik Nawaya

Supervised by Dr. Zakaria Habeeb Alkhulee

Abstract

The research dealt with the effect of restriction style on interpretation, an applied study in al-Mufassal surahs. The study aims at revealing the effects of the restriction style in interpreting the verses of al-Mufassal, at detecting differences between Meccan and Medinan ones, and clarifying the differences between the methods of the restriction style in these effects. From the beginning of surat Q to the end of the glory Qurʾan, a complete induction of the verses was conducted to extract the examples of the restriction style, and then these examples were studied to reach the effects of this style in their interpretation using the method of analysis. The study reached the following results: the restriction style is prevalent in al-Mufassal especially the Meccan ones, its examples in al-Mufassal are 253 examples. There are many types of the restriction style contained therein, it varied according to its both sides to adjective restriction and described word restriction, according to the truth to real restriction and additional restriction, and according to the receiver to inversion restriction, singular restriction and specification restriction. The methods of restriction style varied in the verses of al-Mufassal, whether they were Meccan or Medinan. (The restriction by preceding what must be delayed) is the most frequent, followed by (the restriction using negative and exception), then (the restriction by defining both sides of contribution), after that (the restriction by adding interrupting pronoun), followed by (the restriction using "Innama" and "annama"), and finally (the restriction style by using the conjunction "Bal, La, Lakin"). As for the effects of the styles of restriction are substantial effects relating to the meanings of the sentences, as their conjunction with the sentences may lead to their acquiring meanings completely different from their original meanings, may reinforce and multiply meanings; as the restriction style briefly and accurately can convey meanings. The restriction style showed various effects in the interpretation of al-Mufassal surahs. Of which, the most prominent and most frequent was the effect of confirmation, followed by the effect of proof, after them the effect of manifestation, then the effect of exposure, followed by the effect of intimidation. The restriction style was singled out for certain effects in the interpretation of the Meccan verses, while it was singled out for other effects in the interpretation of the Medinan verses. In addition, there were basic differences in the effects between the methods of restriction style. The most important recommendation is to use the restriction style in advocating for the true religion, because of its great capacity to influence the receiver.

Keywords: (Effect), (Restriction Style), (Interpretation), (al-Mufassal Surahs).

Syrian Arab Republic

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Damascus University

Faculty of Sharia

Department of Sciences of al-Quran and al-Hadith

The Effect of Restriction Style on Interpretation

An Applied Study in al-Mufassal Surahs

A thesis submitted to complete the requirements of obtaining the master's degree in Interpretation and Sciences of al-Quran

by

Fehmieh Rafik Nawaya

Supervisor

Dr. Zakaria Habeeb Alkhulee

2022AD - 1443AH